AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY
3 8534 01121 5963

THE AMERICAN UNIVERSITY AT CAIRO
LIBRARY
SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف
الطبعة الأولى ١٣٧١ هـ / ١٩٥١ م
الطبعة الثانية ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م

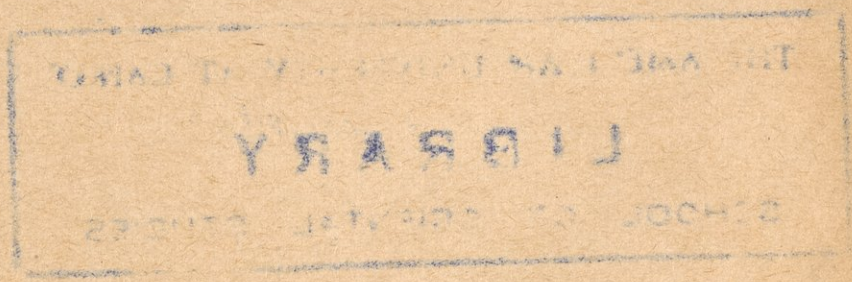

تقسيم الكتاب

الموضوع	الصفحة
١ : الإهداء	٣
٢ : المقدمة	٥
٣ : مقدمة الطبعة الأولى	٧ — ١١
٤ : عوامل قيام النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى	١٣ — ٣٨
٥ : النهضة العربية السعودية	٣٩ — ٣٣١
(ا) عصر الدولة السعودية الأول	٧٥ — ٨٠
(ب) عصر الدولة السعودية الثانى	٨١ — ٨٤
(ج) عصر الدولة السعودية الثالث أو النهضة السعودية الحديثة	٨٥ — ٣٣١
٦ : ملحق الوثائق والمعاهدات	٣٣٣ — ٤٥٠
(ا) القسم الأول	٣٣٥ — ٤١٦
(ب) القسم الثانى	٤١٧ — ٤٥٠
٧ : الفهارس	٤٥١ — ٤٥٩
(ا) فهرس الموضوعات	٤٥١ — ٤٥٨
(ب) فهرس الخرائط والصور	٤٥٩

حاضر العالم الإسلامي

النهضات الحديثة في جزيرة العرب

— ١ —

في المملكة العربية السعودية

DS
244
M3
1952
V.1
C. 2

تأليف

الدكتور محمد عبد الله ماضي

أستاذ التاريخ الإسلامي بكلية أصول الدين

[الطبعة الثانية]

١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م

ملتزمو النشر أصحاب

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابي الحلبي وشركاه

THE AMERICAN UNIVERSITY AT CAIRO
LIBRARY
SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES

٩٥٣,٨
م٢٢ن
م١

36614

الإهداء

إلى رجلي الإصلاح، وزعيمي النهضات الحديثة في الشرق الإسلامي،
إلى المغفور لهما السيد جمال الدين الأفغاني والإمام محمد عبده .

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله نبتدئ الطبعة الثانية لهـذا الـكتاب ، و به نستعين .

وهذه الطبعة توافق سابقتها فى مادة الـكتاب وفى تقسيمها ، ولـكنها تمتاز عنها ببعض الزيادات والتنقيحات .

والله ولى التوفيق ؟

محمد عبد الله ماضى

القاهرة فى { ربيع الأول سنة ١٣٧٢ هـ
نوفمبر سـنة ١٩٥٢ م

مقدمة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله المبعوث بالحق ، بعث بالإسلام فكان الإسلام أساساً لقوة معتنقيه ، وجامعاً لكلمتهم ، ومبعثاً لنهضتهم من فجر التاريخ ومن يوم أن قامت للمسلمين دولة إلى يومنا هذا ، وسوف لايزال كذلك إلى ماشاء الله .

أما بعد ، فإننا نعيش الآن فى عصر نهضة عامة ، نهضة شملت جميع البلاد العربية والشرق الإسلامى ، وتغلغلت فى جميع مناحى الحياة فى هذا الشرق الناهض ، فظهر أثرها واضحاً فى الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . أريد أن أقول : إننا نعيش فى عصرٍ نشهد فيه انبعاث الشعوب الشرقية المسلمة وحركتها الدافعة إلى الأمام فى شتى مناحى الحياة ، فى ميدان التحرر والاستقلال ، وميدان الثقافة والحركة العقلية ، وميدان الاقتصاد والاجتماع ، وكل ناحية من نواحى النهوض والتقدم .

وهذه الشعوب الناهضة تختلف ولاشك اختلافاً كبيراً فى نهضاتها وفق الأوضاع والملابسات الخاصة بكل منها ، فبعضها قد ابتدأ يلج باب النهوض أو ابتدأ يسير فى طريقه ، وبعضها الآخر قد قطع فى ذلك أشواطا أو تم فيه بعض المراحل .

ألا وإن الشعـوب الإسلامية ، عربية وغير عربية ، فى حاجة شديدة إلى التعاون والتآزر حتى يصل كل منها إلى الهدف المنشود من النهوض والتحرر والاستقلال . وهذا التعاون اللازم لا يتم على الوجه الأكمل إلا بعد التعارف ، بعد أن يعرف بعضنا بعضاً معرفة صحيحة خالصة من شوائب القطيعة والتحزب الذى فرقنا سابقاً وأفسد من شئوننا وأضعف من قوتنا ومكن للنفوذ الأجنبى من رقابنا ؛ فإننا إذا تعارفنا تفاهمنا ، وإذا تفاهمنا اتحدنا وعملنا ـ ونحن جبهة واحدة قوية ـ فى سبيل التحرر والنهوض .

* * *

وعلى هذا الأساس قام بحثنا ودراستنا لحاضر العالم الإسلامى ، متجردين عن الهوى والغرض ، ومبتعدين عن كل لون من ألوان الحزبية لنصل إلى الحقيقة المجردة ، ولنستطيع أن نقدم للقارىء صورة صحيحة سليمة لـكل دولة من دول العالم الإسلامى فى حاضره التى نتعرض لدراسة أحوالها .

وكان عمادنا فى البحث التقصى عن الحقيقة ومحاولة الوصول إليها من مصادرها الأصلية بقدر المستطاع ، غير متأثرين فى البحث برأى حزبى أو مذهب معين ، وعاملين على رد المسببات إلى أسبابها وربط الحوادث التاريخية بعضها ببعض ، مع اعتبار أن جميع الأحداث التى تقع فى المحيط العام للدول العربية والإسلامية على الإطلاق ، كل تترابط أجزاؤه وتتفاعل ، وإن حدث بعضها هنا والبعض الآخر هناك .

ولقد قررنا دائما ما نعتقده الحق بكل صراحة ووضوح ، وصممنا على أن نستمسك به وأن ندافع عنه ما دام هو الحق والصواب فى نظرنا ؛ على أننا على استعداد دائما لأن نتنازل ، مع الاطمئنان والسرور ، عن كل رأى لنا يثبت لدينا فيما بعد أن الحق والصواب خلافه . وكانت خطتنا فى بحث المسائل التى يختلف الرأى فيها أن ندرس الآراء المتعارضة ونعرضها على صورتها التى لها عند أصحابها ، ثم نتخذ بعد ذلك موقفنا ونبدى رأينا .

* * *

وإن هـذا الـكتاب الذى نقدمه اليوم من سلسلة دراساتنا لحـاضر العـالم الإسلامى قد تعرض فى البحث الأول منه لدراسة عوامل قيام النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى وبيان أن هذه العوامل ترجع فى جملتها إلى عاملين رئيسيين، عامل دينى وعامل قومى . ولقد ذكرنا أننا نقصد بالعامل الدينى تأثر المسلمين فى حركات النهوض بالمـبادىء الدينية الإسـلامية التى تربى معتنقيها تربية العزة والـكرامة ، وتدعوهم لئلا يجعلوا للأجنبى عليهم ولاية ولأن يأخذوا بأسباب النهوض والتقدم من إعداد العدة ومسايرة الزمن وطَرْق أبواب العلم والمعرفة .

كذلك ذكرنا مانقصده بالعامل القومى ، وحددنا معنى القومية فى الشرق الإسلامى ، وفرقنا بين هذه القومية وبين القومية التى سادت الغرب المسيحى وأعطت حركات الاستقلال فيه طابعها فى القرن التاسع عشر الميلادى ، كما بينا بعد ذلك تآزر العاملين ، الدينى والقومى ، فى دفع شعوب الشرق الإسلامى فى العصر الحديث نحو النهوض والاستقلال .

وبعد هذا التمهيد تعرض الكتاب لبحث النهضة العربية السعودية ، فكان لابد لنا من بحث الأسس التى قامت عليها . فتعرضنا فى اختصار لدراسة تاريخ الزعيم والمصلح الإسلامى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ولبيان دعوته الإسلامية التى عرفت « بالمذهب الوهابى » ثم عقبنا على ذلك بذكر قيام الدولة السعودية الوهابية على أساس من هذه الدعوة ، مع بيان أحوال تلك الدولة فى عصريها الأول والثانى باختصار .

وأخيراً تعرضنا لدراسة النهضة السعودية الحديثة ، أو الدولة السعودية فى عصرها الثالث ، دولة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود . ولقد قسمنا البحث فى هذا القسم من الكتاب إلى أربع مراحل ، المرحلة الأولى من نشأة عبد العزيز آل سعود إلى استيلائه على الرياض وتأسيسه للدولة السعودية الثالثة ، والثانية من الاستيلاء على الرياض فى يناير سنة ١٩٠٢ م إلى تحالفه مع الإنجليز وعقد معاهدة الطائف سنة ١٩١٥ م ، والثالثة من ذلك الحين إلى سنة ١٩٢٦ م حيث نودى بعاهل الجزيرة ملكا على الحجاز بعد أن تم له فتحه ، والمرحلة الرابعة والأخيرة من ذلك الوقت إلى الآن .

ولقد تعرضنا فى بحثنا لتاريخ المملكة العربية السعودية لكثير من مشاكل العالم العربى وقضاياه التى شغلت الأذهان فى الأيام الأخيرة مع بيان موقف الحكومة السعودية منها ، مثل مشروع « سوريا الكبرى » ومسعى الأمة العربية للوحدة الذى انتهى بإنشاء « جامعة الدول العربية » .

وفى النهاية رأينا أن نذيل الكتاب بملحق يجمع الوثائق والمعاهدات التى ورد ذكرها ، والتى تعرضنا لبحثها فى ثنايا الكتاب ليتم الغرض وتكمل

الفائدة ؛ وليسهل على القارىء الرجوع إليها إذا أراد .

ونحب أن نثبت فى ختام هذه الكلمة أننا انتفعنا فى بحثنا بكل الكتب المطبوعة والمخطوطات التى استطعنا الحصول عليها ، ولم ندخر جهداً فى سبيل الحصول عليها . كما انتفعنا بكل مانشرته الصحف والنشرات وبالكثير من معلومات الثقات ومشاهداتهم . وإنا نود أن تهيأ لنا الفرصة القريبة إن شاء الله لزيارة هذه البلاد الكريمة الشقيقة التى كتبنا عنها ، لنشاهد بأنفسنا ، وندرس عن مشاهدة لنؤكد معلوماتنا أو نعدل فيها حسب مايبينه الواقع ويوضحه . وسيرى القارىء فى الهوامش الكثير من المراجع والأسانيد التى انتفعنا بها .

كذلك أحب ألا يفوتنى أن أتقدم بالشكر الجزيل لجميع الذين تفضلوا بإمدادى بمعلوماتهم ، وبمعونتى فى الحصول على بعض الكتب أو الوثائق التى كان يعجزنى الحصول عليها . وأخص من بين هؤلاء بالذكر حضرة صاحب المعالى الأستاذ فؤاد بك حمزة ؛ وزير الدولة فى المملكة العربية السعودية(١) ، فكثيراً ما لجأت إليه حينما كانت تنفد حيلتى فى الحصول على بعض الكتب أو الوثائق ، فكان دائما مثال العالم الكريم الذى لايدخر وسعاً فى إمداد الباحثين بكل ما يستطيع من معونة تيسر لهم البحث وتعينهم على الوصول إلى الحقيقة ، كما انتفعت كثيراً بكتبه القيمة ، التى ألفها عن المملكة العربية السعودية ، فجزاه الله عنا خير الجزاء .

محمد عبد الله ماضى

القاهرة فى : المحرم سنة ١٣٧١ هـ
اكتوبر سنة ١٩٥١ م

(١) توفى الأستاذ فؤاد حمزة إلى رحمة الله تعالى بلبنان بعد ظهور الطبعة الاولى بأيام .

عوامل قيام النهضات الحديثة في الشرق الإسلامي

ليست النهضات الحديثة فى الجزيرة العربية إلا حلقة من سلسلة النهضات القائمة فى الشرق الإسلامى ، التى ترمى إلى تحرير الشعوب الشرقية المسلمة واستقلالها ، وإلى النهوض بها فى شتى نواحى الحياة الفكرية والاجتماعية والاقتصادية . وهذه النهضات على الرغم من كونها متفاوتة فى درجات تطورها وفى قوة اندفاعها وفق حالات الشعوب الإسلامية الخاصة بكل منها فى حدودها السياسية والجغرافية ، على الرغم من كل هذا فهى فى جملتها ترجع إلى عاملين رئيسيين ، عامل دينى وعامل قومى .

العامل الدينى

أما العامل الدينى فهو مبادىء الإسلام التى حفزت المسلمين إلى العمل للحرية والنهوض ، وحركت فى نفوسهم النزعة إلى استعادة مجدهم الضائع ، فنحن نؤمن بأن مبادىء الإسلام القويمة التى دعا بها محمد عليه السلام يوم أن بعثه الله بالحق هادياً ومبشراً ونذيراً فآمن الناس بها وصدقوها ، وأصبح المسلمون بفضل اعتناقها والعمل على ضوئها أمة قوية عزيزة الجانب ، نؤمن بأن هذه المبادىء

بعينها فى مقدمة الأسس التى تقوم عليها نهضات التحرير والاستقلال التى نشهدها وهى فى بدء تطورها ، ونراها اليوم فى كثير من بلاد الشرق الإسلامى .

ولقد كان الإسلام أساساً للنهضات الإصلاحية العامة الشاملة من وقت أن بعث به الرسول إلى اليوم ، يقوى المسلمون ويعزوا كلما أخذوا بتعاليمه ، وحافظوا على العمل بمبادئه ؛ وينالهم الوهن والضعف كلما ضعف إيمانهم بهذه المبادىء ، وتهاونوا فى العمل بها والمحافظة عليها .

تتغير حال المسلمين فى مختلف عصور التاريخ وتتبدل من قوة إلى ضعف ومن ضعف إلى قوة ، والإسلام لا يزال ، وسوف لايزال هو الإسلام بمبادئه الحية القويمة الصالحة لكل زمان ومكان ، كما أنه لا يزال ، وسوف لا يزال أساساً لنهضات الحرية والإصلاح بين معتنقيه ، ومنبع القوة الفياض فى الشعوب المسلمة ، ومعينها الذى لا ينضب .

وليس المقام هنا مقام شرح وبيان لهذه المبادىء ، فهذا غير موضوعنا ومالسنا بحاجة إليه ، ولكنك سوف يزيد إيمانك بهذه النظرية التى ننادى بها إذا عرضنا عليك صورة موجزة لتطور التاريخ الإسلامى واختلاف أحوال المسلمين بين الأمم من مبدأ الدعوة المحمدية وفجر النهضة الإسلامية إلى العصر الحاضر .

العرب قبيل الاسلام

بعث محمد بن عبدالله سيد الخلق والعالم فى اضطراب شامل ، وفوضى تغلغلت فى كل مرافق الحياة ، ولقد وصل سوء الحال فى دولتى الفرس والروم ، أكبر دول الأرض إذ ذاك ، إلى الحد الذى أخذت معه صروح النظم فيها تتداعى إلى الانهيار ، وأخذت معه شعوب هذه الدول طريقها نحو الانحلال .

أما العرب وسكان الجزيرة فهؤلاء كانوا قد بلغت بهم الحال أقصى درجات السوء ، على الرغم مما كان يتصف به الفرد العربى من كريم السجايا وطيب الخصال ، فقد كان العرب أشتاتاً منقسمين على أنفسهم لا تربطهم وحدة ولا تجمعهم فكرة ، ليس لهم دولة عربية تحميهم وتجمع شتاتهم ، فكل قبيلة كانت تعتبر نفسها وحدة مستقلة وأمة منفصلة لا حرمة لغيرها من القبائل عندها ، فهى تستحل دماء غيرها من قبائل العرب ، وتستبيح أموالهم طلباً للغنيمة وسعياً وراء الرزق ، كانوا قساة القلوب لاتعرف الرحمة إلى قلوبهم سبيلا ، فالرجل يقتل أخاه لأدنى أسباب الخلاف وأتفهها ، ويئد ابنته خشية الإملاق .

وفوق هذا فهم قد كانوا أيضاً مختلفين فى العقيدة والفكرة ، وإن شملهم جميعاً سوء الحال بالشرك بالله وعبادة الأوثان ، وهذا هو أصل الداء وجرثومة المرض ؛ فقد كان لكل قبيلة معبود خاص تصنعه بيدها وتعبده من دون الله ، وتقدم له القرابين ، وهى تعلم أنه لايضر ولا ينفع ؛ نزلوا بأنفسهم عن درجة الإنسان المفكر ، وعمتهم الفوضى ، وشملم الاضطراب ، فلا أمن فى جزيرة العرب ولا ثقة ولا اطمئنان ولا قرار .

العرب بعد اعتناقهم للإسلام

فى هذا الوسط نشأ محمد بن عبد الله ، وكأن الله جعل من وسائل إعداده للرسالة أن ينشأ فى الوسط الذى سيكون إصلاحه على يديه ، فتعرف مواطن النقص فى المجتمع العربى ، وشغل بالتفكير فى حال أمته العربية ، ثم بعثه الله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ، فصدع الرسول بالأمر ، وجهر بالدعوة ، ودعا إلى الإصلاح ، ولم يكن له من نصير بعد ربه — وهو نعم المولى ونعم النصير — سوى إيمانه القوى وثقته بالله وبنفسه وبرسالته ، فذللت الصعاب وهانت المشقات ؛ واعتنق العرب الإسلام وتحلوا بفضائله وتركوا ما كانوا عليه من رذائل ، تركوا الفوضى ، وخضعوا للنظام ، وآمنوا بتعاليم الإسلام ، فأصبحوا بفضل الله إخوانا متحابين يجمعهم التوحيد وتظلهم جميعاً راية الإسلام ؛ وحد محمد بينهم برسالته فى العقيدة فأصبحوا يدينون بمبدأ واحد ، ويعبدون الله إلهاً واحداً ، ووحد بينهم فى المظهر فجعل منهم أمة واحدة عربية مسلمة قوية عزيزة ؛ ثم كانوا بعد ذلك دعاة الإسلام وحملة لوائه ، يدعون إليه وينشرونه فى جميع بقاع الأرض ، وينحون عن طريق الدعوة كل ما اعترضها ، ووقف فى سبيل نشرها ، فكانوا أقوياء أعزاء ماداموا يعملون بتعاليم الإسلام آخذين بمبادئه .

كان الإسلام إذاً من يوم أن بعث به الرسول أساساً لنهضة إصلاحية عامة شاملة ابتدأت فى جزيرة العرب ، ثم لم تلبث أن غزت الأمم والبلاد المجاورة للجزيرة ، كما لم تلبث أن شمل خيرها وسادت مبادئها فى العالم .

المسلمون منذ عصر الرسول الى قيام الدولة العباسية

مازال الله يمد رسوله بالوحى والتأييد حتى نشر الرسول دعوته ، وتمم رسالته ، ونزل قوله تعالى : « الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا » ثم اختار الرسول جوار ربه ، وصعدت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى ، بعد أن أسس الدولة الإسلامية الأولى ، وبعد أن قامت النهضة الإصلاحية الإسلامية على أسس الإسلام ومبادئه .

ورث المسلمون هذا التراث العظيم من بعد نبيهم ، وتعهده أبو بكر ، وبقية الخلفاء فى دولة الخلفاء الراشدين ، وقاموا عليه خير قيام . وبعد وفاة الرسول حدثت حركة الردة وغيرها من كبار الحوادث ، فصمد لها أبو بكر ، وتغلب عليها بقوة إيمانه ومضاء عزيمته ، ومن ورائه بقية الصحابة يشدون أزره ويعاونونه فى نشر الإسلام ، وتثبيت قواعده ، فلم تمض سنة كاملة حتى أعاد الخليفة فيها العرب المرتدين إلى حظيرة الإسلام من جديد ، فانضموا إلى إخوانهم المؤمنين وآمنوا بإيمانهم القوى ، وكانوا جميعاً عقب هذا رسل الإسلام ودعاته فى البلاد التى فتحوها ، وأدخلوا فيها الإصلاح الإسلامى ؛ ثم أخذت رقعة الدولة الإسلامية العربية تتسع ، وأخذت الفتوحات تكثر بفضل الإسلام واعتناق مبادئه .

ولقد نشأت العصبية الدينية بين المسلمين مصاحبة لاعتناق السابقين منهم لمبادىء الإسلام ، فأصبح العربى المسلم يصدر فى تصرفاته متأثراً بمبادىء

الإسلام وحدها ، بعيداً عن التأثر بتقاليد الجاهلية الأولى ، وغدت هذه المبادىء هى الموجهة لكل مسلم فى تصرفاته ، فكان الرجل منهم يؤازر الرسول فى نشر الدعوة ، ويقاتل فى صفوف المسلمين ضد الشرك وأنصاره ، ولو كان من بين هؤلاء الأب أو الأخ وذو الرحم والقرابة كما حدث فى غزوة بدر مثلا ، هذه هى العصبية الدينية التى نقصدها ، وهى معنى من معانى البناء والتأسيس .

وفى حجر هذه العصبية الدينية تربت العصبية القومية بالمعنى العام الصالح الذى لايتنافى مع المساواة الإسلامية ، ولا مع المبدأ القائل بأنه « لا فضل لعربى على عجمى إلا بالتقوى » إذ أن جمع العرب على كلمة التوحيد بواسطة مبادىء الدين الحنيف التى اعتنقوها وآمنوا بها كان سبباً فى التفاتهم إلى ما كان بينهم من رابطة قومية هى رابطة العروبة ، وفى تنبه الشعور القومى السليم فى العرب . وكأن الإسلام كان يقصد أن يكون للعرب ، حملة الرسالة الإسلامية للناس كافة من بعد الرسول رابطة أخرى قوية غير الرابطة الدينية تكون سناداً لها وعاملا قويا معها فى تآزر المسلمين وتقوية شعورهم بالتبعة والمسئولية فى العمل لنشر الدعوة خارج الجزيرة العربية ، وفى سائر أنحاء المعمورة . ولعل هذا هو ما كان يريده الرسول عليه الصلاة والسلام حينما أوصى [1] فى آخر حياته بألا يترك فى جزيرة العرب دينان ، فقد كان الرسول يقصد بهذه الوصية أن يسود الإسلام جزيرة العرب وألا يترك دين آخر غير الإسلام فيها ، وهو

---

(١) راجع نيل الأوطار ، جـ ٨ ص ٢٢٠ ، ٢٢٢ طبعة منير الدمشقى بالقاهرة لسنة ١٣٤٤ هـ .

يريد من وراء ذلك ـ فيما نعتقد ـ أن يجتمع للعرب عاملان من عوامل التآزر والقوة ، هما عامل الدين وعامل القومية بالمعنى المعتدل الذى لا يتنافى مع الديمقراطية والمساواة الإسلامية . ولقد فهم عمر بن الخطاب هذه الوصية على وجهها ، ونفذها بما يحفظ للجزيرة العربية وحدتها الدينية ووحدتها القومية حينما أجلى اليهود والنصارى عن الحجاز ونجران إلى الشام والعراق .

اجتمع العرب إذاً على دين واحد هو الإسلام ، وشعروا بأنهم أبناء جنس واحد تربطهم جميعاً رابطة العروبة ، فاجتمع لهم بذلك عاملان من عوامل التأسيس والبناء كما قلنا ، هما العصبية الدينية والعصبية القومية بالمعنى العام الصالح ، فكانتا منبع القوة للدولة الإسلامية .

وبعد انقضاء دولة الخلفاء وقيام الدولة الأموية كان للعصبية القومية المشار إليها المكان الأول ؛ ولكن العصبية الدينية كانت لاتزال قوية بجانبها فأدى ذلك إلى قوة الدولة ، وبلغت الفتوحات الإسلامية فى عهد الأمويين أقصاها إلى أن ضعف الروح الدينى الإسلامى فى نفس القائمين بالأمر ، وانحلت العصبية القومية الصالحة ، وحلت محلها العصبية القبلية الممقوتة التى رجعت بالأمة العربية المسلمة إلى بعض عادات الجاهلية الأولى ، فجعلت من العرب المسلمين شيعاً وأحزاباً ، جعلت منهم يمانية ومضرية ، أو عدنانية وقحطانية ، فتفككت بذلك وحدتهم وضعفت قوتهم ، فأدى هذا وغيره من العوامل إلى سقوط الدولة الأموية .

THE AMERICAN UNIVERSITY AT CAIRO
LIBRARY
SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES

المسلمون فى عصر الدولة العباسية

وبعد سقوط الدولة الأموية قامت الدولة العباسية وورثت ملك الأمويين ، وكان العامل الدينى قوياً والتمسك بالمبادىء الإسلامية واضحاً فى مبدأ قيام الدولة وفى عصرها الأول ؛ ثم انقضى هذا العصر الذهبى الذى اجتمعت فيه عوامل القوة والفتوة للدولة ، وأخذ دبيب الانحلال والضعف يدب فى أوصال هذه الإمبراطورية الإسلامية الكبرى فاضطربت أمور الخلافة ، وضعفت سلطتها المركزية ، واستقلت أطراف الدولة وتكونت الدويلات الإسلامية ، فانحلت جماعة المسلمين الكبرى ، وضعف شأنهم ، وأخذت هذه الدويلات يكيد بعضها للبعض الآخر .

ظهر المسلمون وقتئذ بمظهر الضعف ، وكانوا ضعفاء حقاً لأن الروح الدينى الإسلامى قد ضعف فى نفوسهم فضعفت فيها معانى القوة المبنية على مبادىء الإسلام ، تلك المبادىء التى تدعو إلى الوحدة وإلى التضحية فى سبيل الله ، فى سبيل الجماعة والصالح العام . كانوا ضعفاء لأن نفوسهم أشربت حب الأثرة والأنانية ، ولأنهم مالوا إلى الدعة والتواكل وإيثار الشهوات ؛ وكانت النتيجة أن استضعفهم العدو ، وأخذ الصليبيون يهاجمونهم وينالون منهم ويغلبونهم على ديارهم وأوطانهم ، ويؤسسون فيها الدويلات المسيحية . وهنا ، فى هذه الأوقات العصيبة ، شعر المسلمون بالخطر يحدق بهم ، فأفاقوا من غفلتهم وثابوا إلى رشدهم ، وعادوا إلى دستورهم ، إلى مبادىء الإسلام يستمدون منها القوة فى الدفاع عن كيانهم ومناهضة عدوهم ، فقوى الروح الإسلامى فى نفوس

المسلمين من جديد ، وكان لهم عدة وقوة استطاعوا بها أن ينتصروا على عدوهم ، وأن يطردوا الصليبيين من بلادهم أثناء تلك الحروب الصليبية التى دامت نحو قرنين [١] والتى كانت ميدانا للتلاقى بين الإسلام والنصرانية ، بين الشرق والغرب .

الأتراك العثمانيون يحملون راية الإسلام

انتصر المسلمون على الصليبيين بفضل مبادئ الإسلام ، ثم شرعوا يغزونهم فى بلادهم ، وينتصرون عليهم فى عقر دارهم بفضل المبادئ الإسلامية أيضاً تلك المبادئ التى جعلت من المسلمين قوة متحدة يحصل أفرادها على النصر والحياة باستعدادهم للتضحية والموت فى سبيل الله وإعلاء كلمته ، فلقد ابتدأ بعد الحروب الصليبية الأتراك العثمانيون المسلمون ـ وهم فى كنف السلاجقة فى آسيا الصغرى ـ يغزون بلاد الدولة الرومانية الشرقية ويستولون على مدنها ، وبعد أن قضى المغول على السلاجقة عام ٦٩٩ هـ / ١٣٠٠ م قامت الإمارة العثمانية التى أصبحت فيما بعد دولة كبرى وإمبراطورية شامخة ؛ ثم حمل هؤلاء العثمانيون لواء الإسلام وراية الشرق غازين فاتحين لبلاد الغرب النصرانية ، فساروا من نصر إلى نصر ، وفتحوا عاصمة الدولة البيزنطية [٢] وتوغلوا فى أوربا فاتحين

---

(١) وقعت الحروب الصليبية فى القرنين السادس والسابع للهجرة ؛ من نهاية القرن الحادى عشر إلى نهاية الثالث عشر للميلاد .

(٢) فتحت على عهد محمد الثانى الملقب بالفاتح ، سنة ٨٥٧ هـ / ١٤٥٣ م .

ظافرين حتى وقفوا أمام أبواب ڤينا ، وتوقفت فتوحاتهم عند أسوارها عام ١٠٩٤ هـ / ١٦٨٣ م .

ولقد كان موقف أوربا طول هذا الوقت موقف المدافع المخذول أمام هجمات المسلمين الأبطال الذين عمرت نفوسهم بالإيمان ، وتحلوا بأخلاق الإسلام الذى كان لهم قوة ، وسلك بهم سبل النصر والعزة ماداموا به عاملين ، ولمبادئه منفذين .

المسلمون بعد الحروب الصليبية

وبعد الانتصارات التى أحرزها المسلمون فى الحروب الصليبية ، وفى الوقت الذى حمل فيه الأتراك العثمانيون راية الإسلام وساروا فى فتوحاتهم ، قنع المسلمون فى الشرقين الأدنى والأوسط بما أحرزوا من نصر ، وداخلهم الغرور وجنحوا إلى الكسل ، وتهاونوا من جديد فى الأخذ بمبادئ الإسلام الداعية إلى العمل ، ومواصلة التأهب للحوادث ، وإعداد العدة ، ومسايرة الزمن فى تطوراته ، وشغلتهم شهواتهم وخلافاتهم فضعفوا ووهنت عزائمهم ، وأخذتهم سنة من النوم ، وأصبحوا فى غفلة عن الحوادث العالمية وعما يخبئه لهم القدر .

ولقد كانت قيادة الأتراك العثمانيين وحكمهم للعالم الإسلامى أو معظمه — بعد أن تم لهم الاستيلاء على شمال إفريقية ، ومصر ، والعراق ، والجزيرة العربية فى القرن السادس عشر الميلادى — من الأسباب التى ساعدت على الركود فى الشرق الإسلامى فى ذلك الوقت ، فقد قنعت حكومة السلاطين العثمانيين بما حصلت عليه من نصر حربى ، ولم تعمل على المساهمة فى الحركات العالمية الثقافية

والاقتصادية ، كما كانت تفعل الحكومات الإسلامية الكبرى التى سبقتها ، وكما تقتضى وتتطلب التعاليم الإسلامية ، على الرغم من تهيء الكثير من الأسباب للعثمانيين ليحلوا مكانة الزعامة بين الدول ، فيما لو كانوا قد عملوا لذلك واتجهوا إليه ، إذ أنهم كانوا أصحاب القوة والسلطان ، كما أنهم كانوا قد وضعوا أيديهم على مفاتيح الطرق العالمية الكبرى ؛ ولكنهم آثروا سياسة العزلة والاستكفاء ، وعملوا على قتل كل فكرة إصلاحية جديدة ، سياسية كانت أو اجتماعية ، فساعد ذلك على الركود والضعف فى الشرق الإسلامى ، وأطمع الغرب الناهض رويدا رويدا ، وجعله يتخذ هذه البلاد فيما بعد مواطن للاستعمار ونشر النفوذ .

الغربيون فى نهوضه وتقدمه

أما الغربيون الذين خذلوا أمام المسلمين ، والتقوابهم فى ميدان الحروب الصليبية ، فقد انتفعوا بهذا اللقاء وحملوا إلى بلادهم الكثير من الاصلاحات الإسلامية ، وانتبهوا من غفلتهم ، وأخذوا يدأبون على العمل ، ويسعون لإصلاح مافسد ، واستكمال مانقص .

قامت النهضات المختلفة فى بلادهم ، ثم شغلوا بعد ذلك بالرحلات الاستكشافية إلى جزر الهند الغربية ، وإلى أمريكا ، وباستغلال هذه البلاد الجديدة الشاسعة الغنية بمواردها الطبيعية ، كما شغلوا أيضاً باستغلال الأسواق والمحاصيل الجديدة فى جزر الهند الشرقية والشرق الأقصى ، آخذين طريقهم إلى هذه الجهات النائية

عن طريق رأس الرجاء الصالح ، متجنبين طريق البحر الأبيض المتوسط والمرور بالبلاد الإسلامية فى الشرقين الأدنى والأوسط .

ومازالت صلات الغربيين بهـذه البلاد وأهلها فى حـكم المنقطعة بعد الحروب الصليبية ، لا يعلمون ماوصل إليه هؤلاء من الضعف وسوء الحال ، حتى حصل الالتقاء من جديد وعن غير قصد بين الشرق والغرب .

الشرق والغرب يلتقيان من جديد

فى أواخر القرن الثامن عشر الميلادى ، وبعد مضى قرن كامل على معاهدة كارلوڤيتس [١] التقى الشرق بالغرب من جديد ، وغزا ناپوليون مصر [٢] بدون علم من أهلها ، وبدون سابقة منهم تستوجب غزو بلادهم وتوجيه مثل هـذه الحملة إليهم . وما كانت مصر وقتئذ إلا ميداناً من ميادين الصراع الداخلى فى أوربا ، فلقد أرادت فرنسا تحويل تجارة الهند الرابحة التى كانت تحتكرها انكلترا سيدة البحار عن طريق رأس الرجاء إلى طريق البحر الأحمر الذى يمر بمصر وينتهى فى البحر الأبيض المتوسط ، فيتم لها بذلك الاستيلاء على هذه الموارد الطائلة دون الإنجليز ؛ ولا يتم هـذا إلا بالاستيلاء على مصر التى كانت تابعة للدولة العثمانية .

---

(١) عقدت هذه المعاهدة سـنة ١٦٩٩ م ، بين الأتراك العثمانيين من ناحية — بعد انخذالهم أمام أسوار ڤينا سنة ١٦٨٣ م ، وبعدأن أخذوا يتراجعون أمام القوى الأوربية — وبين الدول الأوربية إذ ذاك من ناحية أخرى ، وكانت نصرا مبينا للغرب على الشرق بما تضمنته من التزام تركيا بالتنازل عن كثير من ممتلـكاتها .

(٢) وصل ناپوليون إلى الاسكندرية سنة ١٧٩٨ م ، وعاد إلى فرنسا سنة ١٧٩٩ م ، وتم جلاء جنوده عن مصر سنة ١٨٠٢ م .

لم تكن مصر إذاً مقصودة بالغزو لذاتها ، ولم تطل مدة احتلال الجنود الفرنسية لها حتى جلوا عنها وعادوا إلى بلادهم ؛ ولكن اتصال الغرب بالشرق بواسطة هذه الحملة نبه الغربيين إلى مواطن الضعف فى هذه البلاد ، وجعلهم يطلعون على ماوصل إليه أهلها من ضعف القوى الحربية ، وتأخر أحوالهم الاقتصادية والاجتماعية ،ويلمسون ضعف الروح المعنوى فى نفوسهم بضعف الروح الإسلامى الدينى فيها ؛ كما جعلهم يبدءون فى اتخاذ الشرق الأدنى والأوسط أسواقا رائجة لتجارتهم ، وميدانا لنشر حضارتهم ؛ولم يلبثوا أن أفلحوا فى تحقيق هذا الغرض معتمدين على قوتهم الحربية التى غدت تفوق قوة المسلمين فى الشرق، وعلى ماتسلحوا به فوق هذا من العلم والمعرفة .

الدولة العثمانية فى انحلال

وفى هذه الأثناء كانت عوامل ضعف الإمبراطورية العثمانية ، وأسباب انحلالها قد تكونت ، فشغل القائمون بالأمر لدى الباب العالى بالدسائس والشهوات ، والسعى وراء تحقيق الأغراض الشخصية ، يضحون فى سبيل ذلك بصالح الدولة العام ، وبصالح الشعوب التابعة للدولة .

ثم تدلى الشرق الأدنى الإسلامى فى الانحطاط ، وظهرت « المسألة الشرقية » فى وضعها الأخير ، وأصبحت هذه البلاد حقلا لتجارب السياسة الأوربية ، خاضعة للنفوذ الغربى ، يصرف الغربيون الأمور فيها حسب أهوائهم ومصالحهم

الخاصة ، غير مراعين لصالح سكانها وكرامتهم . وسار الشرق الإسلامى فى طريق التقهقر والضعف حتى وصل إلى آخر مرحلة فى الانحلال بسقوط الامبراطورية العثمانية فى الحرب الكبرى الأولى .

المسلمون يسعون للنهوض

وفى أثناء هذا الدور الأخير ، وذلكم التطور الخطير ، رجع المسلمون إلى أنفسهم باحثين عن أسباب ماهم فيه من الضعف ، وما وصلوا إليه من الانحلال وعاملين على النهوض ، والتخلص من تحكم الأجنبى فى رقابهم ؛ وساعين لدفع ما أحدق بهم من خطر .

اتجهت الأفكار إلى بعث الروح القومى الوطنى فى النفوس ، وظن القائمون بهذه الحركة فى المبدأ خطأ ، أنهم يستطيعون النهوض بوطنهم وشعوبهم إذا ما قلدوا الغرب فى نهضاته القومية ، متغاضين عن الدين وتعاليمه،فأخذوا يدعون مواطنيهم لاعتناق مبدأ القومية المنقولة عن الغرب ، التى كانت تتضمن مناهضة الكنيسة وبالتالى مناهضة المبادئ الدينية للأسباب التى سنشرحها ، وفاتهم فى دعوتهم أن يعرفوا أن الأحوال فى الغرب كانت غير الأحوال والملابسات فى الشرق سياسياً ودينياً واجتماعياً ، وأنه ليس كل ماصلح للغربيين فى نهضاتهم يصلح مثله للشرقيين ويساعدهم .

ولكن سرعان ما تبين لهم خطؤهم،وأيقن المصلحون أنه لايتم الخلاص للمسلمين مما حل بهم إلا بالرجوع إلى تعاليم الإسلام ، والعمل على إحياء مبادئه القويمة ،

فنشأت حركات الإصلاح الدينى الإسلامى فى الهند[١] وظهرت فكرة « الجامعة الإسلامية » [٢] وأخذ السلطان عبد الحميد يتعهد هذه الفكرة بعد ظهورها ويمدها بنفوذه وتأييده ، ولكنه اتجه بها اتجاها سطحيا غير صائب ، لأنه لم يتخذها غرضا أساسيا يسعى لتحقيقه بكافة الوسائل ، بل جعلها وسيلة يصل بها إلى تحقيق أغراضه السياسية ، فانعكس عليه الغرض ، ولم يصل إلى مايريد .

أما الحركات الإسلامية الإصلاحية فسارت فى طريقها قدما ، وأخذت تتدرج فى أدوار التطور الطبيعية ، وأصبحت حركة إحياء وتجديد بقيادة زعيم الشرق الإسلامى المصلح جمال الدين الأفغانى ومدرسته التى تزعمها بعده الأستاذ الإمام محمد عبده ؛ فلقد آمن هؤلاء المصلحون — وهم على حق — بأنه

---

(١) هذه هى حركات الإصلاح العقلية التى أراد بها طائفة من علماء الهند المسلمين الإصلاح الثقافى ، والتوفيق بين الإسلام وبين مطالب المدنية الأوربية الحديثة . راجع كتاب « الإسلام والتجديد فى مصر » لآدمس ، معرب ص ٤ وكتاب :

Die Richtung der islamischen Koranauslesung

لجولد زيهر ، ص ٢٣٠ .

(٢) ينقل آدمس فى كتابه « الإسلام والتجديد فى مصر » هامش صحيفة ١١—١٢ أن السيد جمال الدين الأفغانى أنشأ بمكة جمعية أم القرى لتدعو إلى الجامعة الإسلامية تحت لواء خليفة واحد يسيطر على العالم الإسلامى أجمع ، وأن السلطان عبد الحميد قضى على هذه الجمعية بعد عام واحد من تأسيسها . ونحن نقول إن قضاء السلطان عبد الحميد على أمثال هذه الجمعية كان من سياسته التقليدية ، فإنه كان يخشى كل حركة إصلاحية ، ولكن قضاءه على جمعية أم القرى لم يمنعه من استخدام فكرة « الجامعة الإسلامية » لحسابه كما بينا .

لابد لإصلاح حال الشعوب الإسلامية سياسيا واجتماعيا من الرجوع بتعاليم الإسلام إلى نقاوتها وبساطتها الأولى ، وتجريدها مما علق بها فى أيام الانحلال والضعف وليس منها ؛ نادى هؤلاء المصلحون بأن الإسلام دين الإصلاح الصالح لكل زمان ومكان ، دين الناس كافة الذى يلائم جميع العصور والثقافات .

* * *

العامل القومى

ومع اعتناق هؤلاء المصلحين للفكرة الدينية وتشجيعهم لها فقد شجعوا أيضا الروح القومية ، ولكنهم عملوا على أن يكون الإصلاح الدينى أساساً للنهضات القومية الوطنية التى كانت فى المبدأ جامحة عن طريق الإسلام ، والتى كان القائمون بها يقلدون الغرب والغربيين فى نهضاتهم ظناً منهم — وهم مخطئون — بأن هذا التقليد الجاهل سيصل بهم إلى ما يبتغون من بعث الشعوب الاسلامية من جديد . أبان هؤلاء المصلحون الإسلاميون لأصحاب الحركات القومية الوطنية الجامحة أن نهضات الشعوب لاتفلح إلا إذا كانت مبنية على أساس من عندها ، وأن التقليد فى أمور الاصلاح محمود إذا أخذ المقلد ما يلائمه ، وما يتناسب مع تكوينه وتقاليده الموروثة ، وأن العمل بمبادىء الاسلام والتمسك بها لايصطدم مع مبدأ القومية الملائم للشرق الاسلامى فى تقاليده ووضعه السياسى ، بل يتضافر معه ويقويه فى الوصول إلى الهدف المنشود من التحرر والنهوض .

ولبيان هذا نود هنا أن نفصل ما أجملناه وأشرنا إليه فنقول : إن مبدأ

القومية الذى ساد فى أوربا وأعطى تاريخها فى القرن التاسع عشر الميلادى طابعه كان يتضمن عداء الكنيسة ومناهضة المبادئ التى تدعو إليها بحكم الوضع السياسى . فهذه إيطاليا مثلا كان وضعها السياسى بعد مؤتمر ڤينا سنة ١٨١٥ م أنها تجزأت إلى عشرة أجزاء هى : مملكة بيدمنت ، ولمبارديا ، والبندقية ، وممتلكات البابا ، ومملكة نابلى ، ودوقيات : تسكانيا ، وموديتا ، وبارما ، ولوكا ، وجمهوريتا : موناكو ، وسان مارينو ، وكان النفوذ والسيادة فى كل هذه الأجزاء نفوذاً أجنبياً وسيادة أجنبية ، فقد كانت النمسا صاحبة السيطرة والسلطان فى إيطاليا بجميع أجزائها فى المبدأ ثم شاركتها فرنسا هذا النفوذ فى بعض المقاطعات الإيطالية بعد حين ، وكان رجال الكنيسة الإيطالية يؤيدون هذا النفوذ الأجنبى ويستنجدون به أحيانا ضد الوطنيين الإيطاليين فى نهضتهم وثوراتهم التى كانت تهدف إلى استقلال إيطاليا ووحدتها ، فنجد البابا غريغورى السادس عشر يستنجد بالنمساضد الوطنيين فى ثورة سنة ١٨٣١ وكذلك فى ثورة سنة ١٨٣٢ ويترتب على ذلك بقاء جيش نمسوى فى ممتلكات البابا لتأييده فى الظاهر ، ولتثبيت دعائم النفوذ النمسوى فى إيطاليا فى الواقع ونفس الأمر ؛ كذلك بعد ثورة سنة ١٨٤٨ نجد فرنسا ترسل جيشا إلى روما سنة ١٨٤٩ لتأييد البابا بيوس التاسع ضد زعماء النهضة الإيطالية ، فيتمكن هذا الجيش من طرد غاريبا لدى وما زينى وجيشهما .

إذاً فقد كان وضع أوربا السياسى فى القرن التاسع عشر فى البلاد الناهضة

الساعية إلى التحرر والاستقلال أن هناك شعباً أوربياً مسيحياً مجزأ مغلوبا على أمره ومشمولا بنفوذ حكومة أو حكومات أوربية مسيحية قوية ، وأن هناك رجال الكنيسة ورجال الدين الإيطاليين يؤيدون هذا النفوذ الأجنبي ضد بنى جنسهم وقوميتهم ويقفون بذلك حائلا بين إيطاليا الناهضة وبين ما يسعى إليه أبناؤها الأحرار ويودونه لها من الوحدة والاستقلال . فليس من الغريب إذاً أن يكون مبدأ القومية الذى ساد فى أوربا وكان فى مقدمة عوامل النهوض والاستقلال لشعوبها المغلوبة على أمرها فى القرن التاسع عشر ، ليس من الغريب أن يكون مبدأ القومية هذا متضمنا لعداء الكنيسة ومناهضة المبادىء التى تدعو إليها ، وهى المبادىء الدينية فى ظاهرها على الأقل .

أما الوضع السياسى للشرق الإسلامى فى القرنين التاسع عشر والعشرين فيغاير وضع أوربا السابق من نواح كثيرة ، حيث منى هذا الشرق الإسلامى بأن يضعف وبأن يشمله فى شعوبه المختلفة نفوذ أجنبى ، وهذا النفوذ الأجنبى وإن تعددت ألوانه وتغيرت أسماؤه فهو فى جوهره شىء واحد ، هو نفوذ أجنبى غربى مسيحى فى شعوب شرقية مسلمة ، ومن هنا لا يمكن أن يتعارض مبدأ القوميه فى الشرق الإسلامى مع المبادىء الدينيه الإسلاميه ، إذ الغايه التى سيؤدى إليها كل من العاملين هنا غاية واحدة مشتركة ، فكما أن غاية العامل القومى فى هذه البلاد الشرقيه المسلمة هى الوصول إلى النهوض والتحرر من النفوذ الأجنبى الغربى المسيحى الذى تغلغل فى سائر أنحائها وعاقها عن النهوض والتقدم وأذاق أهلها ألوانا من الخسف والذل واستعبدهم ،

فكذلك غاية العامل الدينى هى هذه الغاية بعينها ؛ ونضيف إلى هذا أن طبيعة المبادىء الاسلامية غير طبيعة المبادىء التى كانت تدعو إليها الكنيسة المسيحية فالاسلام من مبدأ الدعوة به قد اشترك فى تكوين القوميات بين معتنقيه ، كما سبق أن أشرنا إلى ذلك ، فقد كان العرب قبل الاسلام أشتاتا منقسمين على أنفسهم ، ليست لهم وحدة تجمعهم داخل نطاق القومية العربية ، فلما بعث الرسول عليه السلام بينهم ودعاهم إلى مبادىء الاسلام فاعتنقوها وتوحدوا تحت راية الاسلام كان ذلك سبباً فى تنبيه الشعور القومى فى نفوسهم ، وفى ظهور القومية العربية وسط الشعب العربى وقضائها على العصبية القبلية ولو إلى حين تلك العصبية التى كانت سبباً فى انقسام القبائل العربية وضعف العرب قبل الاسلام ، ثم فى سقوط الدولة الأموية فيما بعد . كذلك الاسلام عندما يسود فى شعب من الشعوب فهو يدعو معتنقيه إلى معاملة بقية إخوانهم وشركائهم فى الجنسية الذين لم يشاركوهم فى الاسلام معاملة حسنة عادلة ، ويكفل لهم المساواة فى الحقوق والواجبات ، فهم لهم ما للمسلمين وعليهم ماعليهم .

لكل هذا نستطيع أن نقرر أن نقل القومية بمعناها الغربى الذى شرحناه والذى يتضمن عداء الكنيسة ومناهضة المبادىء الدينية إلى الشرق الاسلامى وبدون تعديل مناسب للأوضاع والتقاليد خطأ فاحش لايقره الواقع ولا يساعده منطق الأحداث والمبادىء . وإذا وقع هذا الخطأ ـ كما حدث فى القرن التاسع عشر ـ فسنة التطور والزمن كفيلان بتصحيح الأخطاء ووضع الأمور فى نصابها على يد المصلحين الموفقين الذين يمنحهم الله للأمم الناهضة إبان نهضاتها

أمثال : جمال الدين ، ومحمد عبده أصحاب « العروة الوثقى » التى « كان غرضها دعوة المسلمين إلى توحيد جهودهم لمكافحة الاعتداء الأوروبى ومناهضة الاستعمار » (١) .

ونستطيع أن نقرر أيضاً أن القومية فى بلاد الشرق الإسلامى التى هى من عوامل قيام النهضات الحديثة شىء آخر غير القومية الغربية التى شرحناها فالقومية الإسلامية الشرقية تجمع بين القوتين اللتين ظهرتا فى أواخر القرن التاسع عشر ، تجمع بين القومية الوطنية المشابهة للأوروبية من بعض الوجوه وبين المعنى الدينى الإسلامى الذى يقضى بتعاون المسلمين واتحادهم فى سبيل النهوض والاستقلال ودفع سيطرة الأجنبى والتحرر من « ولاية » غير المسلمين ولقد أصبحت القومية بهذا المعنى الجامع مسيطرة على النفوس موجهة لحركات النهوض والاستقلال فى الشرق الإسلامى ، وحلت محل « الجامعة الإسلامية » التى كانت أمنية الجميع وشاغلهم فى نهاية القرن التاسع عشر ومبدأ القرن العشرين إلى قيام الحرب الكبرى الأولى سنة ١٩١٤ ، وبعد انتهاء الحرب وسقوط دولة الخلافة العثمانية اقتنعت الشعوب الإسلامية واقتنع دعاة « الجامعة الإسلامية » منهم بأنها أمنية لم يؤن الأوان لتحقيقها بعد ، فلقد أثبتت الحوادث أنها ليست فكرة عملية وأنها لم تتمكن من نفوس المسلمين تمكن الإيمان والعقيدة ، فلقد حارب العرب المسلمون دولة الخلافة الإسلامية ووقفوا

---

(١) ص ١١ الإسلام والتجديد فى مصر

ضدها فى صفوف أعدائها من غير المسلمين .

أخذ هـذا الشعور القومى أخيراً بعد سنة ١٩١٨ ينمو فى الشرق الإسلامى ويقوى فى سائر بلاده وبين شعوبه المختلفة فى تركيا وفى إيران ، وفى الشعوب العربية ، فوجه حركات النهوض فيها وغذاها ؛ ولقد تطور بين الأمم العربية حتى وصل إلى تـكوين « الجامعة العربية » وأحب أن أنبه هنا إلى أن السعى إلى الجامعة العربية والعمل على تحقيقها لايتنـكب عن طريق الجامعة الإسلامية ولا يتنافى مع العمل لها ، بل نقول إن تحقيق الجامعة العربية من الأسس والمقدمات التى لابد منها لتحقيق الجامعة الإسلامية ؛ كما أحب أن أؤكد ماسبقت الإشارة إليه من أن المبادىء الدينية الإسلامية من عوامل الوحدة العربية ، فلقد رأينا كيف تدخل الإسلام فى تـكوين القوميات بين معتنقيه وكيف أيقظ الشعور العربى وبعثه فى نفوس العرب بعد أن كانوا فى غفلة عنه .

ونضيف إلى هـذا أن الدين الإسلامى — وقوامه القرآن الـكريم ، ذلك الـكتاب العربى المبين الذى أنزله الله على محمد القرشى — يصح أن نعتبره من التراث العربى ، إذا تجوزنا فى التعبير ، فلقد توحد العرب بسبب هـذا الدين فقامت لهم دولة إسلامية ، ثم حملوا رسالته إلى خارج الجزيرة العربيـة فـكانوا دعاته ، وامتزج الإسلام بتاريخهم وآدابهم وعلومهم وتغلغل فى كل ناحيـة من نواحى الثقافة العربية ؛ وعلى هذا الأساس يكون الدين الإسلامى من عوامل الوحدة بين العرب جميعاً لا فرق بين مسلمهم ومسيحيهم ، خصوصاً إذا

ذكرنا أن قانون الإسلام يقرر أن المسيحيين العرب إخواننا « لهم ما لنا وعليهم ما علينا » .

* * *

هذان العاملان : العامل الدينى ، والعامل القومى هما أهم الأسس المشتركة فى قيام النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى ، ومن الطبيعى أن لكل نهضة من هذه النهضات عواملها الخاصة فى حدودها الجغرافية والسياسية. ونحن إذا قلنا « النهضات الحديثة » فإنما نقصد النهوض فى أوسع معانيه ، نقصد انبعاث الشعوب المسلمة الشرقية وحركتها الدافعة إلى الأمام فى شتى مناحى الحياة ، فى ميدان التحرر والاستقلال ، وميدان الثقافة والحركة العقلية ، وميدان الاقتصاد والاجتماع ، وكل ناحية من نواحى النهوض والتقدم .

وهذه الشعوب الناهضة تختلف ولا شك اختلافا كبيراً فى نهضاتها وفق الأوضاع والملابسات الخاصة بكل منها ، فبعضها قد ابتدأ يلج باب النهوض أو ابتدأ يسير فى طريقه ، وبعضها الآخر قد قطع فى ذلك أشواطا أو تمم فيه بعض المراحل ، وهى كما تختلف فى درجة النهوض وفى مقدار سرعة السير فى طريقه تختلف أيضاً فى مقدار تأثرها بأحد هذين العاملين بذاته ، فالنهضة المصرية مثلا تأثرت بكل من العاملين بدرجة تكاد تكون متساوية ، فكما أننا نجد أن الشعور القومى الوطنى قد قوى فى نفوس المصريين وغطى على ما كان بينهم من خلافات مذهبية ووحد بينهم فى نهضتهم ، وأمات فكرة « الأقليات » خصوصاً بعد ثورة سنة ١٩١٩ فأصبح كل مصرى مواطنا لبقية إخوانه المصريين لا فرق فى ذلك بين المسلم

والقبطى ، فكذلك نجد الروح الدينى الإسلامى قد قوى واشتد بجانب الشعور القومى فأصبحت المبادىء الدينية تغذى القومية المصرية العربية وتناصرها وتلهبها فى النفوس ، ورأينا زعماء حركة سنة ١٩١٩ القومية وخطباءها كلهم أو جلهم من الرجال الذين تثقفوا ثقافة دينيـة أو تأثروا بهذه الثقافة على أى وجه ، ورأينا كثيراً من جماعات الإصلاح التى ظهرت إبان النهضة تحمل اسم الإسلام وتنتسب إليه ، وتعمل على إحياء مبادئه وبثها فى روح الشباب ـ والشباب عدة المستقبل ـ مثل جماعات « الشبان المسلمين » و « الإخوان المسلمين » كما رأينا أن جهود هذه الجماعات الموفقة أثمرت كثيراً من الخير ، وأن الشباب المثقف المصرى تبدلت حاله ، وأصبح يسعى إلى الاستزادة فى معرفة أمور دينـه ومكونات قوميته ، كذلك أصبح يفخر بشرقيته وإسلامه ويعتز بهما ، وقد كان قديما لاتسره هذه النسبة ، ولا يرى فيها فخراً ، قانعاً بالاندماج فى الغير وراضياً بالعيش الذليل تحت جناح الأجنبى وكنفه . فالنهضة المصرية تـكافأ فيها العاملان : العامل الدينى ، والعامل القومى .

وهناك بعض النهضات كان العامل القومى فيها أظهر أثراً من العامل الدينى مثل النهضة التركية الحديثة التى تزعمها بعـد الحرب الـكبرى الأولى الزعيم مصطفى كامل ، فهذه ولا شك تأثرت بالعاملين ، وإن كان تأثرها بالعامل الدينى الإسلامى لايظهر عنـد النظرة السطحية التى يكون أفقها محصوراً فى تصرفات الحـكومة الـكمالية ، حيث إنها لم تتمسك بجعل الدين الرسمى للدولة هو الإسلام ، وحيث إنها بعدت فى بعض التصرفات عن التعاليم الإسلامية

وخالفتها مثل إباحتها للمسلمة أن تتزوج بغير المسلم ، ومثل بعض قوانين الميراث التى سنتها ولم تراع فيها المبدأ الإسلامى . فعلى الرغم من هذه التصرفات وأمثالها نقول : إن النهضة التركية تأثرت أيضاً بالعامل الدينى ، إذ أننا نعتبر أن الشعب التركى هو صاحب النهضة ، ونعتقد أنه وإن خضع لحكامه فى كثير مما خالفوا الإسلام فيه لمقتضيات الأحوال الخاصة ، فهو لا يزال شعباً مسلماً يعتز بدينه ، وهو إنما قام بهذه النهضة التى ابتغى بها التحرر من ذل العبودية متأثرا بالروح الإسلامية التى تنادى بالحرية والمحافظة على الكرامة ، وتأبى الذل والعبودية .

والشعب التركى العثمانى مثل الشعب العربى قد تدخل الإسلام فى تكوين قوميته وتنبيه الشعور القومى بين أفراده ، فالأتراك العثمانيون قد توحدوا بفضل الاسلام ، وأصبحت لهم دولة قوية ومنزلة تاريخية بين الدول العظمى بفضل تزعمهم للمسلمين أيام الخلافة العثمانية . وهذه الاعتبارات كلها كانت من الأمور الهامة التى هيأت الشعب للنهوض ، وأثرت فى قيام النهضة التركية الحديثة .

أما ماارتكبته الحكومة الكمالية من تصرفات فأساسه تأثر مصطفى كمال بالثقافة الغربية التى تفرق بين الدولة والكنيسة ، ثم تأثره بظروف تركيا الخاصة إذ ذاك ، وبالأخطاء التى ارتكبتها حكومة الخلافة العثمانية وسلاطين آل عثمان . وكان من آثار ثقافته الغربية ، ومن آثار هذه الظروف الخاصة أن اعتبر — وهو مخطىء — أن أخطاء هؤلاء الخلفاء العثمانيين وهم زعماء المسلمين وقادتهم محسوبة على المبادىء الدينية الإسلامية ، وفاته أن الإسلام شىء وأن تصرفات المسلمين — وإن كانوا خلفاء — شىء آخر .

ولكن النهضة التركية وإن كان تأثرها بالعامل الدينى حقيقة ثابتة ، فتأثرها بالعامل القومى أشد وأظهر ، وهو الذى أعطاها طابعها ؛ ولقد ساعدت ظروف تركيا الخاصة فى جوارها للدول الأوروبية وتأثرها بأفكار الأوروبيين أكثر من غيرها من الشعوب الإسلامية ، ثم تأثرها بالضغط الأوروبى ، ساعد كل ذلك على طغيان الشعور القومى ، خصوصاً فى أواخر أيام السلطان عبد الحميد وبعد ثورة سنة ١٩٠٩ ، فلقد قام رجال « تركيا الفتاة » وأخذوا يسعون أولا إلى تتريك كل الشعوب الإسلامية الخاضعة لحكومة الخلافة العثمانية وساروا فى ذلك شوطا بعيدا ، ثم تطورت الحركة إلى الدعوة « للجامعة التركية » ، وأخيراً إلى العمل « للجامعة الطورانية » (١) .

ومن كل ما تقدم نستطيع أن نفهم كيف أن النهضة التركية تأثرت بالعامل القومى أكثر من تأثرها بالعامل الدينى ، وكيف أنها أخذت من القومية طابعها .

والبعض الآخر من النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى أخذ طابعه من العامل الدينى ، وكان تأثره به أبعد وأظهر مثل النهضة العربية السعودية ، فهى على الرغم من تأثرها بالعامل القومى الذى نما فى المحيط السعودى العربى إلى أن أصبح دعوة حارة وعملا فعالا للوحدة العربية ، فإنها أظهر النهضات الشرقية

---

(١) راجع حاضر العالم الإسلامى تعريب عجاج نويهض ج ٤ ص ٨٠ — ٨٢ .

الإسلامية فى أنها قد أسست وقامت على أساس دينى إسلامى ؛ فكما أن قائد هذه النهضة وباعثها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود زعيم سياسى ، فهو أيضاً زعيم دينى وهابى يعتبره الوهابيون إماماً لهم ، وهو القائم على نشر وتنفيذ تعاليم المصلح الدينى محمد بن عبد الوهاب ، ولا يزال يحكم رعيته من وقت أن تأسست دولته إلى الآن على أساس من المبادىء الدينية الإسلامية .

النهضة العربية السعودية

إن النهضة العربية السعودية أظهر النهضات الحديثة فى الشرق الإسلامى تأثراً بالعامل الدينى ، على الرغم من أنها تأثرت أيضاً بالعامل القومى كما ذكرنا ؛ وإنا نعتبر قيام الدولة السعودية فى عصورها المختلفة بعثا جديدا للدولة الإسلامية الأولى التى قامت فى عصر الرسول الكريم عليه السلام ، فكلتا الدولتين قامتا على أساس روحى هدفه تصحيح العقيدة ، وتهذيب النفوس ، والارتفاع بمستوى البيئة من جميع النواحى ، وبعث نهضة إصلاحية عامة شاملة .

وكما بعث الرسول ـ عليه الصلاة والسلام ـ محمد بن عبد الله بين العرب وهم فى فوضى شاملة ، وانحطاط عام ، وتفكك وانحلال ليس لهم وحدة تربطهم ، ولا فكرة صالحة تجمعهم ، فنشر مبادىء الإسلام بينهم ، وجمعهم على التوحيد، فوحد بينهم فى العقيدة ، فأصبحوا يدينون بمبدأ واحد ويعبدون الله وحده ، ووحد بينهم فى المظهر ، فجعل منهم أمة واحدة ، عربية مسلمة ، قوية عزيزة الجانب ، وأقام لهم دولة على أساس من الدين الحنيف ؛ فكذلك أخذ المصلح الدينى والزعيم الإسلامى محمد بن عبد الوهاب فى منتصف القرن الثانى عشر الهجرى يدعو إلى تصحيح العقيدة ، والرجوع إلى مبادىء الإسلام الصحيحة ، واعتناقها من جديد بين النجديين وكانوا قد فسدت عقيدتهم وضلت سيرتهم ، وأخذ الزعيم السياسى النجدى محمد بن سعود يناصر ابن عبد الوهاب فى دعوته الدينية الإصلاحية ،

ويعمل على نشرها ، واعتناق الناس لها . فقامت على هـذا الأساس الدولة السعودية ، وكان قيامها بدءًا لنهضة إصلاحية ابتدأت فى قلب الجزيرة العربية ، ثم لم تلبث أن عمتها فى سنوات يسيرة . فالدولة السعودية فى عصورها الثلاثة وما صاحبها من نهضة إصلاحية ثمرة من ثمرات الدعوة بالمبادئ الدينية الإسلامية التى دعا بها محمد بن عبد الوهاب .

فمن هو إذاً هذا الداعية المصلح ، وما هى تلك المبادئ التى دعا بها ؟ هذا ماسنبينه فى الفصول الآتية ، مقدمة للحديث عن النهضة العربية السعودية .

محمد بن عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن على بن محمد بن أحمـد بن راشد التميمى النجدى هو صاحب الدعوة الدينية الاصلاحية المعروفة بالمذهب الوهابى ؛ ولقد ولد سنة ١١١٥ هـ / سنة ١٧٠٣ م [1] ببلدة العيينة الواقعة قريباً من الرياض عاصمة نجد الحالية ، وجهة الشمال منها . وكان هذا البيت رفيع المنزلة معروفا

---

(١) هكذا ورد تاريخ ميلاد الشيخ فى كتاب « تاريخ نجد » للألوسى ص ١١١ هامش من الطبعة الثانية ، وفى كتاب « جزيرة العرب » للشيخ وهبة ص ٣٣٥ وكتاب « تاريخ نجد الحديث لأمين الريحانى » ص ٢١ . وإنا نرجح هذه الرواية على ماروواه عمر أبو النصر فى كتاب « سيد الجزيرة ابن سعود » ص ١٦ من أنه ولد عام ١٦٩٦ م ، وعلى ما ورد فى « حاضر العالم الإسلامى » ج ٤ ص ١٦١ من أنه ولد سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م .

نسب محمد بن عبد الوهاب (١)

عدنان
معد
نزار

مضر — ربيعة

الياس
طابخة
أدّ
تميم
مالك
حنظلة
شداد
قاسم
محمد
بريد
راشد
أحمد
محمد
على
سليمان
محمد
عبد الوهاب

محمد بن عبد الوهاب

حسن — على — عبد الله — إبراهيم — حسين

حسن — عبد الرحمن

حسين: حسن — على — محمد

إسماعيل — إسحق — عبداللطيف

إسحق: عبد الرحمن

عبداللطيف: إبراهيم — عبدالله

عبدالله: محمد

(١) عن أمين الريحانى فى كتابه «تاريخ نجد الحديث وملحقاته» ص ٢٣ من الطبعة الأولى

بالعلم ، فقد كان جده سليمان من علماء نجد المبرزين (١) وكان والده عبد الوهاب فقيهاً حنبلياً ، وقاضياً لبلدة العيينة ثم لبلدة حريملة .

نشأته ورحلاته

نشأ محمد بن عبد الوهاب فى حجر أبيه، ودرس عليه فقه ابن حنبل ومبادىء العلوم الشرعية والعربية ، وكان يقرأ بشغف وتلهف كل ما يقع تحت يده من كتب التفسير والحديث والعقائد ، وخاصة كتب الشيخ ابن تيمية وكتب تلميذه ابن القيم ، ولقد حببت إليه رحلات الدرس وهو صغير ، فذهب إلى مكة حاجاً ثم إلى المدينة وبقى فيها مدة يسمع العلم عن أشياخها (٢) ، ثم تابع رحلاته العلمية فسافر إلى الاحساء والبصرة وبغداد ودمشق (٣) يمكث فى كل منها

---

(١) يقول صاحب « تاريخ نجد » : كان الشيخ سليمان أعلم علماء نجد فى عصره وكانت له اليد الطولى فى العلم ، وانتهت إليه رياسة العلم فى نجد .

(٢) كان فى مقدمة أشياخ محمد بن عبد الوهاب وأساتذته الذين تأثر بهم إلى حد بعيد الشيخ عبد الله بن إبراهيم بن سيف أحد العلماء النجديين ، ولكنه كان بالمدينة وقت ذهاب ابن عبد الوهاب إليها ، فأحسن لقاءه وشجعه فى طريق الدعوة الدينية وإنكار البدع الشائعة ، ثم قدمه إلى الشيخ محمد بن حياة السندى المدنى من أعلام علماء المدينة إذ ذاك فصحبه ابن عبد الوهاب وأخذ عنه ، راجع كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » لعثمان بن عبد الله بن بشر الحنبلى ، ج ١ ، ص ١١ .

(٣) يروى الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » ص ٣٣٦ عن « لمع الشهاب فى سيرة محمد بن عبد الوهاب » أن الشيخ رحل أيضا إلى فارس وتعلم بها الحكمة المشرقية ، كما تعلم فى رحلته فنون الحرب وصنع الذخيرة . ويروى الأستاذ فريد وجدى فى دائرة المعارف أنه سافر إلى الأستانة ، ولكن بعض العلماء ينكر هذا .

يسمع لعلمائها ويدارسهم العلم .

وكان كلما ذهب إلى مكان أنكر ما يراه من البدع والخرافات شائعا بين الناس وحمل على المنكرات بشدة . ولقد لاقى فى سبيل ذلك كثيراً من الصعاب ، وتعرض لكثير من المخاطر ، وكانت خاتمة مطافه أن عاد ثانية إلى نجد بعد أن انتفع بهذه الرحلات وبعد أن شاهد حال العالم الإسلامى فى البلاد التى طاف بها ، ورأى ما عليه المسلمون من تأخر وفساد عقيدة ، فعاد إلى نجد وقد صمم على الجهر بالدعوة الإصلاحية الدينية التى كون لنفسه مبادئها بعد التجارب ورحلات الدرس ، والتى ألقيت فى روعه يوم أن ابتدا يدرس كتب ابن تيمية فى العيينة وهو لايزال فتى حدثا ، ويوم أن شرع يقرأ بتلهف وشوق إنتاج هذه المدرسة الإصلاحية التى تزعمها ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

ونستطيع بعد ذلك أن نقول : إن العوامل التى أثرت فى حياة محمد بن عبد الوهاب ، وكونته هذا التكوين فجعلت منه داعية مصلحا هى عوامل: البيت ، والمدرسة ، والبيئة ؛ فلقد رأينا كيف نشأ فى بيت العلم بين أبيه الذى كان فقيها حنبليا وقاضيا ، وجده الذى كان شيخ العلماء فى نجد ، ومن ينشأ فى مثل هذا البيت لا شك أنه يتأثر به ويكون اتجاهه فى الغالب اتجاها علميا ؛ ثم رأينا كيف أنه ابتدأ يدرس كتب شيخ الإسلام ابن تيمية من صغره ، وكيف أنه كان شغوفا بدراستها ، فهو من الذين تأثروا بمدرسة ابن تيمية وتخرجوا فيها على الرغم من طول العهد بينهما ، وأن آراء ابن تيمية وابن القيم كان لها أكبر

الأثر فى توجيه ابن عبد الوهاب والتأثير على حياته ؛ كذلك الرحلات التى قام بها كانت مدرسة نافعة له ، فقد وسعت من أفقه ونبهته إلى الأخطاء الشائعة فى العالم الإسلامى ، وجعلته يصمم على القيام بدعوته الإصلاحية فوق ما استفاده فيها من الدراسات العلمية والتلقى عن مشاهير العلماء فى مختلف العواصم الإسلامية .

أما عامل البيئة فهذا أيضاً كان له خطره فى حياة ابن عبد الوهاب ولكنه فى تأثيره عليه يختلف عن العوامل السابقة التى نعتبرها عوامل إيجابية بالنسبة لابن عبدالوهاب ، إذ أن أثرها عليه كان إيجابيا ، أما البيئة التى نشأ فيها والتى كانت سائدة فى سائر البلاد الإسلامية وفى نجد على الخصوص ، فقد كانت بيئة الخرافة والبدعة التى امتزجت بالنفس وأصبحت جزءاً من العقيدة الدينية ، وهى ليست من الدين فى شىء ؛ هـذه البيئة أثرت فى حياة ابن عبد الوهاب وفى توجهه ، ولكن أثرها فيه كان أثرا سلبيا ، إذ بدل أن يتأثر بها إيجابيا ويصبح مثل الآخرين فى أن تختلط الخرافة والبدعة بعقيدته الدينية وتصبح جزءاً منها تأثر بها سلبيا ، فصمم على محاربة الخرافة والبدعة ، وعلى العمل لنشر مبادىء الإسلام السليمة وسيادتها .

ولا يفوتنا أن ننبه بعد هذا إلى أن ابن عبد الوهاب كان على استعداد فطرى سليم ، سريع التنبه ، مرهف الحس ، شأن كل الزعماء المصلحين .

بدؤه بالاصلاح فى نجد

اختار محمد بن عبد الوهاب قلب الصحراء وطنه نجداً ليبدأ فيـه بالدعوة

الى هذه المبادىء التى نادى بها قبله أستاذه الشيخ ابن تيمية ، ولاقى فى سبيل العمل لها كل اضطهاد وتنكيل .[1] اختار نجداً وهو يعلم أنها بعيدة إلى حد ما عن متناول عصا الدولة العثمانية ، التى كانت قائمة على رأس كل مناد بحركة إصلاحية ، ظناً من الدولة بأن كل حركة من هذا القبيل تهدد كيانها ، وتصبح خطراً عليها ؛ فواجبها إذاً أن تقضى على أمثال هذه الحركات ، وتضرب على أيدى المصلحين ؛ مع ما كان يعرف ابن عبد الوهاب من ملاءمة طبيعة هذه الدعوة بما فيها من تقشف وزهد لطباع أهل البادية وسكان الصحراء ، فهو يطمع فى نصرتهم ومؤازرتهم بما لم ينتظره من الحضر وسكان العواصم الإسلامية الذين استمرؤوا ماهم فيه ، وخذلوا أستاذه ابن تيمية من قبله [2] ، إذاً إلى الصحراء ، إلى نجد ، إلى الوطن الأول .

عاد محمد بن عبد الوهاب إلى حريملة من بلاد نجد ، حيث انتقل والده الشيخ عبد الوهاب الذى تولى القضاء هنا أيضاً كما كان فى العيينة ، وابتدأ دعوته عقب العودة منادياً بمحاربة البدع ، ونبذ الخرافات ، والتخلص مما لصق بتعاليم الإسلام وليس منها ؛ ومبينا لمبادئه الإصلاحية التى سنتكلم عنها

---

(١) عاش شيخ الإسلام تقى الدين أبو العباس أحمد بن تيمية أحد علماء حران فى القرن السابع وأوائل الثامن الهجرى ٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ وقد كان حجة فى العلوم الشرعية وصاحب دعوة إصلاحية نادى فيها باتباع طريق السلف ومحاربة البدع ، وفتح باب الاجتهاد وترك التقليد ؛ تنقل بين مصر والشام ، وسجن واضطهد إلى أن مات فى معتقله بقلعة دمشق سنة ٧٢٨ هـ

(٢) راجع كتاب « الشرق الإسلامى فى العصر الحديث » ص ١٩٠ .

فى الفصل التالى . أنكر على النجديين عقائدهم المشوبة بالبدع والخرافة ، ووقع بينه وبين والده الشيخ عبد الوهاب جدال ومخاصمة من جراء ذلك ، وأقام على هذا عدة سنين حتى توفى والده عام ١١٥٣ هـ (١) .

اشتداد الخصومة بينه وبين الشعب النجدى

بعد ذلك أخذ صاحب تلك الدعوة الجديدة يشتد فى نكيره على النجديين ومن حوله بعض الأنصار الذين آمنوا بصحة مايدعو إليه ، كما أخذ خصومه يلحون فى الكيد له ، حتى اضطر إلى مغادرة حريملة بعد أن تآمر جماعة من عبيدها على قتله ؛ وبعد نجاته من هذه المؤامرة بحفظ من الله ، ترك حريملة باحثاً عن النصير الذى يشد أزره ويحميه حتى ينشر دعوته الإصلاحية فى أنحاء نجد ، وهو يعلم أن كل نظرية إصلاحية لاتنتصر بقوتها وصدقها فقط ، بل لابد لها أيضاً من سلطان يحميها حتى تثمر وتؤتى أكلها ؛ فإن الله ليزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن . ذهب بعد ذلك إلى مولده العيينة واستطاع فى المبدأ أن يقنع أميرها إذ ذاك عثمان بن حمد بن مُعمر بصدق دعوته ، وأن يكسب مؤازرته ؛ ولكن ابن معمر لم يلبث أن رأى نفسه مكرها على طرد محمد بن عبد الوهاب من بلده ، بعد أن أغضب هذا الثائر أهل تلك الناحية من نجد باشتداده فى النكير عليهم ، وبقطعه الأشجار التى كان يحج إليها الناس ويتبركون بها ، وبهدمه القبة القائمة على قبر زيد بن الخطاب ببلدة الجبيلة ؛ فضج الناس لهذا وطلب أمراء هذه الجهة وزعماؤها على لسان سليمان بن محمد

---

(١) راجع كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ص ١٢ .

ابن عزيز الحميدى رئيس بنى خالد وصاحب الاحساء والقطيف من ابن معمر قتل محمد بن عبد الوهاب ، فكتب سليمان إلى ابن معمر يقول :

إن المُطَوَّع الذى عندك قد فعل ما فعل وقال ما قال ، فإذا وصلك كتابى فاقتله ، فإن لم تقتله قطعنا خراجك الذى عندنا فى الاحساء (١) . فلم ير أمير العيينة بداً من التخلص من هذا الداعية الثائر الذى ألب عليه الناس من حوله .

اتصاله بآل سعود

ذهب محمد بن عبد الوهاب بعد هذا إلى الدرعية ، ونزل فى بيت رجل من أهلها (٢) ، ثم عمل على الاتصال (٣) بأميرها محمد بن سعود ، فقابل الأمير وأقنعه بصحة مايدعو إليه ، وبصدقه فى دعوته ، وأنه إنما يدعو إلى تعاليم الإسلام الصحيحة ، وإلى ترك البدع ، ثم إلى أن يلتزم الأمراء حدود الشرع فى أحكامهم .

فتعهد له الأمير بحمايته ومؤازرته فى نشر المبادىء الدينية الإصلاحية التى يدعو إليها ، وكان محمد بن سعود رجلا سليم الفطرة بعيد النظر ، فإنه عند

---

(١) هذه هى رواية صاحب « تاريخ نجد » ص ١١٤ ، وتؤيدها رواية ابن بشر فى « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٤ ؛ والشيخ وهبه يروى فى كتابه « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ص ٣٣٧ ، أن صاحب الاحساء هدد بغزو العيينة ان لم يخرج منها ابن عبد الوهاب .

(٢) هو عبد الله بن سويلم العريني ، راجع « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ص ١٦ ، و « تاريخ نجد » ص ١١٥

(٣) يرجع الفضل فى التمهيد للاتصال بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود إلى ثنيان ومشارى أبناء سعود ثم إلى زوج محمد بن سعود التى كانت عاقلة بعيدة النظر ، راجع « عنوان المجد » ج ١ ص ١٥ ؛ « تاريخ نجد » ص ١١٥ .

التقائه بابن عبد الوهاب ، وعند ما عرض عليه هذا دعوته ، وبين له أنها دعوة الإسلام الصحيح ، وطلب منه أن يعتنقها ، وأن يؤازره ويساعده فى نشرها حتى تسود ، وحتى يحكم الزعماء العرب شعبهم على كتاب الله وسنة رسوله ، وحتى يقلع هذا الشعب عن الاعتقاد بالخرافة والبدعة ، ويرجع إلى المبادئ الإسلامية الصحيحة ، عند هذا رأينا محمد بن سعود يقتنع بهذه الدعوة فى سهولة ويسر ؛ ثم رأيناه يخطر له فى هذه اللحظة الفاصلة خاطر هام ، ويقدر أن هذه الدعوة الإصلاحية الدينية سوف تسود وسوف تفتح البلاد باسمها بمثل ماحدث فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ؛ وهنا فكر تفكير السياسى البعيد النظر ، واشترط على ابن عبد الوهاب أن يساكن آل سعود مدى الحياة ، ولا يفارقهم حتى بعد سيادة الدعوة وانتشارها ؛ وكان يبغى بهذا أن تكون للبيت السعودى السيادة والحكم فى كل البلاد التى ستفتح باسم الدعوة ، ولقد قبل ابن عبد الوهاب هذا الشرط ، ومن الطبيعى أن يقبله برضاء وسرور لأنه ماكان يبغى إلا أن تكون كلمة الله هى العليا ، وأن تسود مبادئ الإسلام الصحيحة ، وما كان يبغى من وراء ذلك ملكاً ولا سلطاناً ، ثم بشر الأمير بأن الله سيزيد فى ملكه بسبب نصره لهذه الدعوة والعمل لنشرها .

كان هذا أول اللقاء بين صاحب المبادئ الوهابية وبين آل سعود ، وكان ذلك سنة ١١٥٧ هـ [1] / ١٧٤٤ م .

(١) هكذا ورد فى « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٦ ، وفى « جزيرة العرب فى القرن العشرين » ص ٣٣٧ ، ولقد ذكر الألوسى فى « تاريخ نجد » ص ١١٥ أن ذلك كان سنة ١١٦٠ هـ (١٧٤٧ م) ولاندرى على ماعتمد الألوسى فى هذا مع أن أهم مصادره كتاب « عنوان المجد » السابق .

نجاحه فى نشر دعوته ووفاته

ومن هـــذا الوقت ساكن ابن عبد الوهاب آل سعود فى الدرعية ، ثم صاهرهم ، ومازال يعمل على نشر دعوته ، ومازالوا هم يمدونه بالتأييد ، ويفتحون البلاد المجاورة باسم هـذه الدعوة وفى سبيل نشرها ، حتى توفى صاحبهـا فى ذى القعدة [١] سنة ١٢٠٦ هـ / يونيه ـ يوليه سنة ١٧٩٢ م بعد أن أبلى فى سبيل الإصـلاح بلاء حسنا ، وألف عدة من الـكتب والرسائل التى أصبحت أساساً للدعوة على يد خلفائه من بعـده ، مثل كتاب التوحيد ، وتفسير القرآن ، وكتاب كشف الشبهات ، وغيرها من مؤلفاته .

مات ابن عبد الوهاب بعد أن رأى مبادئه الإصلاحية تسود فى جزيرة العرب بفضل تأييد آل سعود الذين أصبحوا خلفاءه فى نشر دعوته إلى يومنا هذا ، والذين بنوا ملـكهم على أساس هذه الدعوة .

---

(١) راجع « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ص ٦٢ ـ ٦٣

المبادىء الوهابية

هذه المبادىء الإصلاحية الدينية التى دعا محمد بن عبد الوهاب إلى العمل بها ، والتى عرفت بين الناس بالمذهب الوهابى ، لم تأت فى الواقع بجديد خارج عن مبادىء الإسلام ؛ وهى فى جملتها راجعة إلى تعاليم الدين الحنيف المعروفة ، تعود إليه فى أصولها وفروعها .

المذهب الوهابى فى الأصول

أما هذ المذهب من حيث العقيدة فهو دعوة سنية سلفية ، إذ هو راجع إلى مذهب أهل السنة والجماعة ، وهو ينهج نهج السلف الصالح فيما يتعلق بآيات الصفات وأحاديثها (التى تثبت لله جل شأنه صفة من الصفات) ؛ فالوهابيون يقرونها على ظاهرها ، ويكلون علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ، وعدم الخوض فى كنهها ، كما كان يفعل السلف الصالح .

وإليك مايقوله فى هذا الموضوع أحد علماء الوهابيين ، وابن صاحب الدعوة ، الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وقد سئل عن مذهبهم من علماء مكة وقت أن دخلها مع الأمير سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود سنة ١٢١٨ هـ ، قال الشيخ : ومذهبنا فى الأصول مذهب أهل السنة والجماعة ، وطريقتنا طريقة السلف ، التى هى الأسلم والأعلم والأحكم .... وهى أننا نقر آيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ، ونكل علمها إلى الله مع اعتقاد حقائقها ؛ فإن مالكا ،

وهو من أجل علماء السلف ، لماسئل عن الاستواء فى قوله تعالى « الرَّحْمٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ » قال : الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة (١) .

وتكاد تكون تعاليم ابن عبد الوهاب فى هذه الناحية مطابقة تمام المطابقة لما كتبه شيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه فى كتبهم ، خصوصا فى فهم معنى التوحيد لله ، وفى التصريح بأن الإخلاص فى عبادته تعالى يقتضى عدم إقرار القول بالوسيلة ؛ ولاغرابة فى أن يتأثر الإمام محمد بن عبدالوهاب بشيخ الإسلام ابن تيمية ، فلقد قرأ كتب ابن تيمية وكتب تلاميذه ، وتأثر بها ، وتتلمذ عليها كما قدمنا .

المذهب الوهابى فى الفروع

أما من حيث التطبيق العملى فى الفروع من العبادات والمعاملات فالمذهب الوهابى فى جملته هومذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وإن كان الوهابيون ينفردون عن بقية الحنابلة فى أمرين :

الأمر الأول أنهم ينكرون على من قلد أحداً غير الأئمة الأربعة « مالك » و « أبى حنيفة » و « الشافعى » و « ابن حنبل » فى مذاهبهم لعدم ضبط المذاهب الأخرى فيما يرون ، مثل مذهب الشيعة وغيره .

---

(١) راجع « الهدية السنية » ص ٤٤ ، طبعة المنار سنة ١٣٤٢ هـ ؛ و « الوهابيون فى الحجاز » ص ١١ طبعة المنار سنة ١٣٤٤ هـ ؛ و « تاريخ نجد » ص ٤٨ ، طبعة المطبعة السلفية سنة ١٣٤٧ هـ .

وأما الأمر الثانى فهو أن الوهابيين فى بعض المسائل الفرعية إذا صح لهم فيها رأى مؤيد بنص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه ، وقال به أحد الأئمة الثلاثة غير ابن حنبل ، إذا صح لهم مثل هذا الرأى أخذوا به وتركوا مذهب ابن حنبل فى هذه المسألة بخصوصها كما فى مسألة إرث الجد والإخوة ، وأى الفريقين يقدم على الآخر فى الإرث ، فإنهم فى ذلك يخالفون رأى ابن حنبل ويتبعون رأى الأئمة الثلاثة الآخرين ، فيقدمون الجد بالإرث لأن هذا هو الذى صح عندهم وترجح (١) .

وهذا الأمر الأخير مبنى على بعض الأصول التى قررها محمد بن عبد الوهاب وهى : لا معصوم من الخطأ غير الأنبياء ، فليس هنالك من يحرم الإسلام مخالفته سوى نبى الله عليه الصلاة والسلام ؛ ولا يجوز للمسلم أن يدع حكم الله وحكم رسوله إذا ما بان له واتضح لقول إنسان ما ؛ وللمسلم أن يتفهم كتاب الله ويتدبره ؛ كما أنه لا حجر على العقول ، وإن التفكير فى حدود الإسلام ، ودائرة القرآن والسنة مباح ، بل لازم مفروض (٢) .

وعلماء الوهابيين بهذا لا يدعون لأنفسهم ، ولا لإمامهم درجة الاجتهاد المطلق ؛ فهم إنما يتبعون طريقة بعض أئمة المذاهب الذين سبقوهم بالاختيار والترجيح فى بعض المسائل مخالفين للمذهب الذى التزموا فيه تقليد صاحبه ، مثل الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .

---

(١) راجع « تاريخ نجد » ص ٤٨ ؛ و « الهدية السنية » ص ٤٤ .

(٢) راجع « الثورة الوهابية » ص ١٤ ، طبعة المطبعة الرحمانية سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٦ م .

فالوهابيون إذاً من خيرة المسلمين المتمسكين بمبادىء الإسلام والعاملين على نشره وسيادته على الرغم مما أشاعه الخصوم السياسيون عنهم فى بعض العصور ، وعلى الرغم من تطرف أتباع الإمام ابن عبد الوهاب أحياناً فى إنكار ماينكرونه ، وفى الشدة على المخالفين ومرتكبي البدع ؛ فمن الطبيعى أن تكون كل دعوة إصلاحية حازمة فى إنكار المنكر والقضاء على الفساد ، خصوصاً فى مبدئها وفى أول ظهورها ، ومن الطبيعى أيضاً أن يصحب ذلك تطرف بعض الأتباع .

ما أشيع عنه المذهب ، وجواب الوهابيين عنه

هذا هو المذهب الوهابى فى أصوله وفروعه ، وهو كما أثبتنا غير ما أشيع عن الوهابيين مشوهاً لمبادئهم لأسباب سنذكرها ، ولكى نعطى فكرة تامة صحيحة عن الموضوع من جميع جهاته ، فإنا نثبت هنا هذه الإشاعات وجواب الوهابيين عنها ، كما صورها ورد عليها الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب مع بعض التصرف ، قال (١) : وأما ما يكذب علينا ستراً للحق ، وتلبيساً على الخلق ، بأنا نفسر القرآن برأينا ، ونأخذ من الحديث ما وافق أهواءنا ، من دون مراجعة شرح ، ولا تعويل على شيخ ، وأنا نضع من رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقولنا : النبى رمة فى قبره ، وعصا أحدنا أنفع لنا منه ، وليس له شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة ، وأنه كان لا يعرف معنى (لا إله إلا الله) حتى نزل عليه : فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ — مع كون الآية مدنية — ؛ وأنا لا نعتمد على أقوال العلماء ، فنتلف مؤلفات أهل المذاهب لكون فيها الحق والباطل ؛ وأنا نكفر

---

(١) راجع « الهدية السنية » ص ٤٦ وما بعدها ، و « الوهابيون فى الحجاز » ص ١١ — ١٣

الناس على الإطلاق ، أهل زماننا ، ومن بعد الستمائة إلا من هو على ما نحن عليه ـ ومن فروع ذلك أننا لانقبل بيعة أحد إلا بعد التقرير عليه بأنه كان مشركا ، وأن أبويه ماتا على الشرك ـ ؛ وأنا ننهى عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ونحرم زيارة القبور المشروعة مطلقا ؛ وأن من دان بما نحن عليه سقطت عنه جميع التبعات حتى الديون ؛ وأنا لا نرى حق أهل البيت رضوان الله عليهم . . .

فجوابنا عن جميع هذه الخرافات قولنا: سبحانك هذا بهتان عظيم ! فمن روى عنا شيئا من ذلك ، أو نسبه إلينا فقد كذب علينا وافترى ؛ ومن شاهد حالنا ، وحضر مجالسنا ، وتحقق ماعندنا ، علم قطعياً أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين ، وإخوان الشياطين ، تنفيراً للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة ، وترك أنواع الشرك الذى نص الله عليه بأنه لا يغفره ويغفر مادون ذلك لمن يشاء . . .

والذى نعتقده أن رتبة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق ، وأنه حى فى قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء المنصوص عليها فى التنزيل ، إذ هو أفضل منهم بلا ريب ، وأنه يسمع سلام المسلم عليه ، وتسن زيارته إلا أنه لا يشد الرحل إلا لزيارة المسجد والصلاة فيه ، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس . ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه ـ عليه الصلاة والسلام ـ الواردة عنه فقد فاز بسعادة الدارين وكُفِيَ همه وغمه

كما جاء فى الحديث عنه ؛ ولا ننكر كرامات الأولياء ، ونعترف لهم بالحق ، وأنهم على هدى من ربهم ، متى ساروا على الطريقة الشرعية ، والقوانين المرعية ، إلا أنهم لا يستحقون شيئا من أنواع العبادات لا فى الحياة ولا بعد الممات (١) .

الأسباب التى دعت إلى التشنيع بالوهابيين

ونحن إذا أردنا أن نبحث عن الأسباب التى دعت إلى التشنيع بالوهابيين وإظهارهم بمظهر المخالف لتعاليم الإسلام ، فإنا نستطيع أن نرجعها إلى ثلاثة عوامل .

أولا :

عامل ذاتى يرجع إلى نفس المبادئ الوهابية ، وإلى تطرف الوهابيين فى فهم التوحيد الذى دعا إليه الإسلام ، وفى محاربة البدع المنهى عنها ، فهم مثلا يرون أن الاستغاثة والتوسل بالرسول عليه السلام ، أو بولى من أولياء الله تتنافى مع التوحيد الواجب لله(٢) ، ويقولون : إن من قال : يارسول الله !

---

(١) نقل ابن بشر الحنبلى عن محمد بن عبد الوهاب نفسه فى هذا المعنى رسالة مفصلة كان قد بعث بها إلى علماء القصيم يبين فيها عقيدته ويرد بها على كتاب ابن سحيم « الذى افترى فيه على الشيخ رحمه الله ولفق فيه الأباطيل » فراجع كتاب ابن بشر « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ، ٦٧ — ٧١ .

(٢) يقول محمد بن عبد الوهاب فى رسالة له : « إن أول من أدخل الشرك فى هذه =

طالباً بذلك دفع شر أو جلب خير مما لا يقدر عليه إلا الله تعالى فهو مشرك ، يهدر دمه ويستباح ماله ؛ وإن التوسل بغير الله عبادة لذلك الغير ، وإن لم يعتقد الفاعل ذلك ؛ ويقولون : إن المشرك مشرك سواء سمى شركه شركا أو توسلا ، وإن القول لا عبرة به ما لم يؤيده العمل، فمن قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله، وهو يدعو الموتى ، ويستغيث بهم ، ويسألهم قضاء الحاجات ، وتفريج الكرب ، فهو كافر مشرك حلال الدم والمال ، ولا عبرة بقوله ؛ وهم يردون بذلك على من عارضهم بحديث « من قال : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فقد عصم ماله ودمه . . . » (١) وقد عرف عنهم أنهم ينكرون على البوصيرى قوله فى البردة :

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به * سواك عند حلول الحادث العمم

وقوله :

إن لم تكن فى معادى آخذا بيدى * فضلا وإلا فقل يا زلة القدم

وقوله :

* ومن علومك علم اللوح والقلم *

ويقول الشيخ وهبة فى هذا : « فإن هذا القول مجازفة وغلو ، وفيه مخالفة

= الأمة هم الرافضة الذين يدعون عليا وغيره ويطلبون منهم قضاء الحاجات وتفريج الكرب » المرجع السابق ج ١ ، ص ٦٥ .

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٣٣٩ ـ ٣٤١ .

صريحة لنصوص القرآن والأحاديث الصحيحة ، (والوهابيون) فوق هذا يعتقدون أن من اعتقد هذا على ظاهره فهو مشرك كافر » .

كما أنهم يقولون إنا نعتقد بالشفاعة ونقرها لمن ثبتت له على الوجه الذى لا يتنافى مع التوحيد مثل أن تقول : اللهم شفع فينا نبينا محمداً يو القيامة . وأما ما يجرى على ألسنة الناس مثل قولهم : يا رسول الله أسألك الشفاعة ! فيعتبرونه من الشرك .

ويرون أيضا أن تجصيص القبور والبناء والكتابة عليها من الأمور المبتدعة المنهى عنها الواجب إزالتها ،ويستدلون لذلك بما ورد من أحاديث،ولهذا فقد هدموا فى مكة والمدينة القبور المرتفعة وسووها ، وأزالوا القباب عند استيلائهم على مكة والمدينة فى القرن الماضى ، وفى الأيام الأخيرة فى سنتى ١٣٤٣ و ١٣٤٤ هـ / ١٩٢٥ و ١٩٢٦ م [١] .

كما أنهم يرون « إعلان الحرب » على البدع الشائعة فى الأمصار « مثل الاجتماع فى وقت مخصوص على من يقرأ قصة المولد الشريف اعتقاداً بأنه قربة » ومثل الزيادات على الأذان المشروع .

---

(١) نستطيع أن نقول : إن المذاهب الإسلامية المختلفة تكاد تكون متفقة فى الاعتراف بالأحاديث النبوية التى تنهى عن تجصيص القبور وعن البناء والكتابة عليها ، ثم عن اتخاذ المقابر مساجد أو استقبال القبور فى الصلاة ؛ ولكن الوهابيين يمتازون عن غيرهم بأنهم لا يتساهلون بشأن المخالفات التى تقع فى هذا الباب ، بل يعملون على إزالتها بكل ما أوتوا من قوة فى أى مكان يكون لهم فيه النفوذ ، وإن اصطدم ذلك مع الشعور العام وجرحه .

ولعل السر فى موقف التشدد الذى يقفه أتباع محمد بن عبد الوهاب هنا هو أنهم سلفيون لايرون التأويل فى النصوص الواردة ، بل يأخذون بظاهرها ويتمسكون بحرفيتها .

ثانياً :

عامل سياسى يرجع إلى الخلاف الذى قام بين آل سعود الوهابيين وبين الدولة العثمانية التى كانت الجزيرة العربيـة جزءاً من أملاكها وقت أن شرع الوهابيون يستقلون بالحكم فيها فى القرن الماضى ، ذلك الخلاف الذى سبب الحرب النجدية المصرية بين محمد على والوهابيين ، والذى صحبه ، وترتب عليـه كثير من الدعايات ضد الوهابيين ، خصوم الدولة السياسيين وإظهارهم بمظهر المعتدى على الدين الخارج على تعاليمه ، حتى تسهل مقاومتهم ، ويتيسر القضاء عليهم .

ولا ننسى كذلك هنا أن نشير إلى الخلاف السياسى بين آل سعود الوهابيين وبين أشراف مكة ، ثم بينهم وبين زعماء نجد المحليين ؛ فلقد ترتب على استيلاء الوهابيين على الحجاز ودخولهم مكة سنة ١٢١٨ هـ أن فقد الأشراف سلطانهم وموارد رزقهم ، وأن تشردوا فى مختلف البلاد الإسلامية ، وكان من الطبيعى بعد هذا أن يسعوا جهدهم للأخذ بالثأر من خصومهم السياسيين ، وأن يستعملوا سلاح الدعاية الفتاك ، فشنعوا على الوهابيين ، ورموهم بالخروج على تعاليم الإسلام ، وشوهوا الدعوة الوهابية وصوروها شيئاً بعيداً عن الإسلام وبدعاً جديداً فى الدين ؛ ثم لقيت هـــذه الدعاية آذانا صاغية وأرضا خصبة

خصوصاً وهى صادرة من الأشراف أبناء الرسول عليه السلام وسدنة البيت الحرام بعد أن أخرجوا من ديارهم وشردوا .

أما زعماء نجد المحليون فعند ماعجزوا عن مقاومة الوهابيين بالسيف عمدوا إلى سلاح الدعاية أيضاً لينالوا من خصومهم ، وسلكوا طريق الأشراف الذى سبقت الإشارة إليه ، مدفوعين بمثل الأسباب التى شرحناها . وفى هذا يقول الشيخ وهبه [1] : « ولقد سمعت فى نجد أن حكام نجد الشمالية أثناء خصومتهم مع آل سعود كانوا يكتبون إلى الأتراك أن آل سعود اتخذوا راية شعارها : لا إله إلا الله محدّ رسول الله (بحذف ميم محمد) أى لا أحد رسول الله ، وهذا كله تنفيرا للأتراك من خصومهم ، وهم يعلمون حق العلم أن هذا كذب » .

ثالثاً :

عامل اجتماعى يرجع إلى ما كان عليه المسلمون من تأخر ، وخاصة فى شبه الجزيرة العربية ، وقت أن شرع محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ينادون بالمبادىء الإصلاحية ويحاربون البدع التى كانت شائعة فى نجد بغير هوادة ولا رفق ، وبما عرف عنهم من شدة وتطرف ، فى الوقت الذى كانت قد عمت فيه البدع واختلطت بالعقيدة الدينية ، وأصبحت جزءاً متمما لها فى نفوس شعب جاهل أصبح مثلا يعتقد فى بعض الأشجار والأموات أنها تضر وتنفع ، وأن تعظيمها والقصد إليها من الدين ؛ وأنت إذا أنكرت فى رفق ولين على المبتدع الجاهل

---

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

الذى يعتقد أنه على حتى ، وأن مايأتيه من الدين نفر منك وعاداك ؛ فما بالك إذاً إذا كان الإنكار شديداً ، والمؤاخذة لاذعة ؟ ! لا شك أنه يثور ضدك ، ويرميك بالمروق عن الدين ، والخروج على تعاليمه ، كما نشاهد فيما يقع بين بعض الدعاة المصلحين وبين عامة الشعب فى هذا العصر الذى نعيش فيه ، على الرغم من تنبه الأذهان ، ووضوح الحق من الباطل .

تطور المذهب الوهابى

هذا هو إجمال القول فى المبادىء الوهابية وعقيدة الوهابيين ، ولكنا نرى أن المذهب يتطور بمرور الزمن ، شأن كل المذاهب الإصلاحية دينية كانت أو سياسية أو اجتماعية ، ونقصد من تطور المذهب تطور الفهم لتعاليمه الذى ينبنى عليه الاختلاف فى كيفية تنفيذها وفى صورة العمل بها ؛ فإنا نرى مثلا أن الملك عبد العزيز آل سعود وهو زعيم الوهابيين وإمامهم ، يعقد معاهدة صداقة وأخوة إسلامية مع الإمام يحيى ملك اليمن الشيعى الزيدى سنة ١٩٣٤ م بعد الحرب التى قامت بينهما ، ويعترف الإمام الوهابى فى هذه المعاهدة بأن الإمام يحيى ملك اليمن وحاكمها الشرعى . وفى ذلك اعتراف ضمنى بالمذهب الزيدى — وهو المذهب الذى يقوم عليه نظام الحكم فى اليمن — مذهبا من مذاهب الإسلام ؛ وذلك يخالف ماسبق أن قررناه فى المذهب الوهابى من أن الوهابيين ينكرون على من قلد أحداً غير أصحاب المذاهب الأربعة .

ومن الأمثلة التى تدل على تطور الفهم لتعاليم المذهب الوهابى مسألة تدخين

التبغ ؛ فالوهابيون يحرمون التدخين ويجلدون المدخن أربعين جلدة ، وكانوا أولاً لا يسمحون لغيرهم من أفراد المسلمين الذين على غير مذهبهم بالتدخين فى حضرتهم ما دام فى استطاعتهم منعهم عن تعاطيه ؛ ولكنهم أخيراً بعد المحادثة التى جرت بين الحكومة المصرية وبين الحكومة العربية السعودية سنة ١٩٢٦ م فى عدة مسائل ومنها مسألة التدخين ، وبعد أن أفتى علماء مصر بأن التدخين مكروه وليس محرما ، بعد هـذا رأينا الوهابيين لا يتشددون فى أمر التدخين بمثل ما كانوا يفعلون أولا ، ورأيناهم يتسامحون خصوصاً إذا كان المدخن غير نجدى . « ومما لا شك فيه أن حكومتهم الأولى كانت أصرم فى هـذا من الحكومة الحالية » (١) .

وهـذا التطور الذى طرأ على المذهب الوهابى نعتبره نتيجة لتغير الأحوال باتساع ملك الوهابيين ، واتصالهم بغيرهم من الممالك ، بعد أن كانوا قابعين فى قلب الصحراء يعيشون وحدهم منعزلين عن العالم تقريبا ، ونعده أمرا مترتبا على اشتباك مصالحهم بمصالح غيرهم ، وقد أصبحوا دولة ذات صلات بسائر الدول . وأخيراً فالتطور من سنن الطبيعة .

انتشاره خارج الجزيرة العربية

إن استيلاء السعوديين على الحجاز ودخولهم مكة والمدينة فى أوائل

---

(١) الشيخ وهبه فى « جزير العرب » ص ٣٤٣ .



مواطن انتشار المذهب الوهابى : ١ — نجد ، قلب بلاد العرب ، حيث ظهر المذهب الوهابى وانتشر فى نهاية القرن الثامن عشر الميلادى ، وحيث تقوم الآن الدولة الوهابية الكبرى ، المملكة العربية السعودية . ٢ — مملكة سوكوتو الوهابية التى قامت على أنقاض مملكة جبير ، على مجرى نهر النيجر بالسودان ، من سنة ١٨٠٤ إلى سنة ١٩٠٠ م . ٣ — واحة الكفرة ، حيث قامت الحركة السنوسية المتأثرة بالمذهب الوهابى على يد السيد محمد على السنوسى سنة ١٨٤٤ م . ٤ — الدولة الإسلامية الوهابية فى البنجاب التى ظهرت فيما بين ١٨٢٠ و ١٨٣٠ م . ٥ — منطقة مدينة بتنا بجهة البنغال بالهند ، حيث ابتدأ الداعية الوهابى الهندى الأمير سيد احمد دعوته ببلاد الهند سنة ١٨٢٠ م . ٦ — جزيرة سومطرة حيث ظهرت الدعوة الوهابية على يد أحد الحجاج من أهل هذه الجزيرة فى سنة ١٨٠٣ م . عن كتاب All - Islam لبول شميدس

القرن الثالث عشر الهجرى أعطى الفرصة لسائر الحجاج من مختلف البلاد الإسلامية ليتعرفوا المذهب الوهابى ، ويلتقوا بدعاته ويناقشوهم فيما يدعون إليه ؛ وكان من نتائج هذا أن اعتنق بعض الحجاج المبادئ الوهابية وتعصبوا لها ، ثم حملوها معهم ودعوا إليها فى بلادهم بعد رجوعهم إليها ، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية إلى السودان فى أفريقيا وإلى الهند وسومطرة فى آسيا ، وكان هدف دعاتها فى كل مكان تحل به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات وتصحيح العقيدة الدينية ، ثم محاولة إقامة حكومة صالحة على أساس دينى لتنفذ الأحكام وتقيم الحدود ، فقامت الثورات على يد الدعاة الوهابيين ضد الأوضاع السائدة فى البلاد التى غزتها الدعوة ، وظهرت نهضات الإصلاح الدينى السياسى الاجتماعى ، ورأينا ما حدث فى جزيرة العرب بعد اتصال ابن عبد الوهاب بآل سعود ومؤازرتهم له فى نشر دعوته يحدث مثله فى السودان والهند وسومطرة ، ولكن فى صورة مصغرة .

أما فى السودان فقد كان الداعية الوهابى هو الشيخ عثمان دانفوديو (١) ، أحد أفراد قبيلة الفولا ، وهى من قبائل الرعاة السودانية ؛ فإنه بعد التقائه بالوهابيين فى موسم الحج ، وبعد اعتناقه للمبادئ الوهابية عاد إلى بلاده وأخذ

---

(١) يسميه شكيب أرسلان عثمان دانغ فوديه نقلا عن المسيو موريس فال مفتش المعارف فى المستعمرات الفرنسية ، ولعل هذا التحريف من آثار اللهجة الفرنسية . راجع « حاضر العالم الإسلامى » ج ٣ ، ص ٢٣ .

يحارب البدع الشائعة بين عشيرته وقومه ، ويعمل للقضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التى كانت لا تزال مختلطة بالعقيدة الإسلامية فى نفوس السودانيين ؛ ثم أخذ ينشر تعاليم الدين الإسلامى الصحيحة ويذيع مبادئ ابن عبد الوهاب فاستطاع أولا أن يجمع حوله قبيلته فى وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين المتين بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متخاذلة ؛ وبعد ذلك ابتدأ حروبه فى سنة ١٨٠٢ م ضد قبائل الحاوسة الوثنية ، وقضى على مملكة جبير التى كانت تقع على مجرى نهر النيجر ، ولم تأت سنة ١٨٠٤ م حتى أقام عثمان دانفوديو مملكة سوكوتو فى السودان على أنقاض مملكة جبير بين النيجر الأدنى والبنيوى . فقامت هذه المملكة على أساس من الدعوة الدينية الوهابية ، ومدت رواقها على جميع الأقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد ، وبقيت محافظة على استقلالها ووحدتها نحو قرن حتى استطاع الاستعمار الأوربى أن يقضى على ما كان لها من استقلال ووحدة ، وانفصلت عنها فيما بعد ممالك بورنو، والأداموا، وغاندو ، ونوبى «ولكنها لا تزال تعترف بسيادة سلطان سوكوتو الدينية» (١).

وهكذا انتشرت الدعوة الوهابية فى السودان وكانت سببا فى قيام مملكة بلغت مساحتها أربعمائة ألف كيلو مترا مربعا وبلغ عدد سكانها عشرة ملايين من الأنفس . وهؤلاء وإن كانوا قد فقدوا استقلالهم وغلبهم على أمرهم المستعمر الأوربى بما له من قوة وعدة ، فهم قد كسبوا الإسلام ولا زالوا يتحلون بفضائله ويتمسكون بمبادئه من وقت أن ظهر بينهم عثمان دانفوديو الداعية

---

(١) « حاضر العالم الإسلامى » ج ٣ ، ص ٢٣ .

الوهابى إلى الآن ، وسيبقون كذلك إلى ماشاء الله (١) .

كذلك غزت الدعوة الوهابية بعض المقاطعات الهندية بواسطة أحد الحجاج الهنود ، وهو سيد أحمد ، وقد كان هذا الرجل من أمراء الهند ، وذهب إلى الحجاز لأداء فريضة الحج بعد أن اعتنق الإسلام سنة ١٨١٦ م ، فلما التقى بالوهابيين فى مكة اقتنع بصحة ما يدعون إليه وأصبح من دعاة المذهب الذين تملكهم الإيمان وسيطرت عليهم العقيدة . ولما عاد سنة ١٨٢٠م إلى وطنه فى الهند بجهة البنغال وجد ميدانا صالحا للدعوة بين سكان المنطقه من الهنود المسلمين الذين اختلطت عقائدهم وتقاليدهم الدينية بالكثير من عقائد الهندوس وعوائدهم ، فابتدأ الدعوة بمدينة بتنا ودعا إخوانه المسلمين ليؤمنوا بمبادىء الإسلام الصحيحة ، وليتركوا البدع والعقائد الهندوسية التى كانت شائعة بينهم ؛ وبعد مرحلة من « الجهاد » استطاع هؤلاء المسلمون الوهابيون أن يقيموا دولة إسلامية على أساس من المبادىء الوهابية بجهة البنجاب تحت حكم الداعية سيد أحمد ؛ ولم تلبث هذه الدولة طويلا حتى قضى عليها الاستعمار الانكليزى فى العقد الرابع من القرن التاسع عشر .

ولكن الدعوة الوهابية ظلت قائمة هناك على يد خلفاء سيدأحمد من بعده ،

---

(١) راجع كتاب Geschichte der Arabischen Litteratur لبروكلمان جـ ٢ ، ص ٥١٠ ؛ وكتاب All-Islam لبول شميدس ص ٨٩ — ٩٠ ؛ وكتاب « حاضر العالم الإسلامى » جـ ٣ ص ٢٣ .

ولم يستطع المستعمرون أن ينالوا منها ، ولا يزال الكثيرون من سكان هذه المناطق يدينون بالإسلام على المذهب الوهابى ، وإن كانوا قد افترقوا إلى عدة فرق متأثرين بالبيئة الهندية ؛ وأكثر الفرق الوهابية الهندية عددا وأقواهم شأنا الآن هى فرقة الفارازى « Farazis » (١) .

وفى سومطرة ابتدأت الدعوة الوهابية سنة ١٨٠٣ م على يد أحد الحجاج من أهل الجزيرة ، وكان قد عاد من الحج فى نفس السنة بعد أن التقى بالوهابيين واقتنع بصحة ما يدعون إليه ؛ فلما عاد إلى وطنه ابتدأ الدعوة ، ثم تطورت الحركة إلى حروب طاحنة بين المسلمين الوهابيين الذين أصبحوا قوة كبيرة فى سومطرة وبين غير المسلمين من السكان الأصليين ، حتى رأت حكومة الاستعمار الهولندية سنة ١٨٢١ م أن تناهض هذه الحركة القوية محافظة على كيانها ونفوذها هناك . واستمرت المناوشات والحروب بين المستعمرين الهولنديين وبين السومطريين الوهابيين مالا يقل عن ستة عشر عاما ، ثم انتهت بتغلب قوى الاستعمار على القائمين بالحركة الوهابية (٢) .

كذلك الحركة « السنوسية » التى ابتدأت فى الجزائر أواسط القرن التاسع عشر ، ثم غزت طرابلس بعد ذلك وانتشرت فى شمال أفريقيا ، ثم مدت رواقها نحو الجنوب فتمكنت فى السودان ؛ هذه الحركة السنوسية التى ناهضت

---

(١) راجع All-Islam ص ٩٠ — ٩١ .

(٢) المرجع السابق ص ٩١ .

الاستعمار فى كل مكان حلت فيه ، والتى كانت ولا زالت مدرسة تربية وتهذيب للشعب السنوسى قد تأثرت بالدعوة الوهابية فى أساسها . فالسيد محمد على السنوسى مؤسس الحركة السنوسية كان فى مكة يطلب العلم وقت استيلاء الوهابيين عليها ، فعاشرهم وتتلمذ على علمائهم وتأثر بمذهبهم ، ثم عاد إلى الجزائر وابتدأ حركته الإصلاحية على ضوء تعاليم الإصلاح الدينية الإسلامية التى أضرم نارها فى الجزيرة العربية محمد بن عبد الوهاب (١) .

وإنا نلاحظ أن هذه المبادىء الدينية الإسلامية التى عرفت بالمذهب الوهابى لا تحل بمكان وتنتشر فيه إلا ويكون من آثارها أن تقوم ثورة إصلاحية إذا واتت الظروف وساعدت الأحوال . وهدف هذه الثورة يكون فى جوهره دائما واحدا ؛ وهو ـ كما سبق أن ذكرنا ـ العمل لسيادة مبادىء الإسلام الصحيحة والقضاء على البدع وأوضاع الحياة الفاسدة ، ثم محاولة تأسيس دولة إسلامية وتكوين حكومة صالحة تحكم بمادىء الإسلام ، تنفذ الأحكام وتقيم الحدود .

هذا ماترتب على ظهور الدعوة فى جزيرة العرب ، ثم على انتشارها فى السودان ، والهند ، وسومطرة كما رأينا . ولقد كانت الأحوال فى كل هذه البلاد وقت ظهور الدعوة الوهابية فيها متشابهة إلى حد بعيد ، من حيث

---

(١) المرجع السابق ٩٢ ـ ٩٣ .

اعتناق أهلها للخرافة والبدعة واختلاط ذلك بعقائدهم الدينية ، ومن حيث تأخرهم جميعا فى أحوالهم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، وإن كان ذلك طبعا بنسب متفاوتة .

ففى كل هـــذه الأماكن وجدت الدعوة الوهابية ميدانا للعمل وأرضا صالحة لبذر بذور الإصلاح بعد تنقيتها من آثار الفساد وأسبابه ، كما استطاع الدعاة المصلحون فى كل هذه البلاد أن يشعروا سكانهـا بحاجتهم إلى الإصلاح وبضرورة اعتناقهم للمبادئ الوهابية الإسلامية سبيلا للنجاة وطريقا للنهوض .

نسب آل سعود (١)

عدنان
معد
نزار

مضر — ربيعة

كلب — أسد

جديلة — عنزة

وائل
بكر
شيبان
ذهل
مرة
همام
سعد
الحارث
مانع
موسى
إبراهيم
مرخان

مقرن

سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان

مشارى — محمد — ثنيان — فرحان

حسن — محمد — عبدالله — عبد العزيز — سعود — إبراهيم

عبد الرحمن — مقرن — تركى — سعود الكبير — عبدالله — ثنيان

مشارى — عبد الله

ناصر — عبدالله — فيصل — خالد — مشارى — تركى — سعد — فهد

جلوى — فيصل

عبدالمحسن — سعود — فهد — عبدالله — عبدالله — سعود — محمد — عبد الرحمن

مساعد — سعد — محمد — عبد الله

الملك عبد العزيز

فيصل — سعود — محمد (٢)

(١) عن أمين الريحانى فى كتابه « تاريخ نجد الحديث وملحقاته » ص ٩٤ من الطبعة الأولى ، مع بعض التغييرات .

(٢) اقتصرنا فاكتفينا بذكر أسماء هؤلاء الأمراء الثلاثة من بين أسماء الأمراء الأحياء من أبناء الملك عبد العزيز ، الذين يبلغ عددهم نحو الخمسة والثلاثين .

آل سعود

ينتسب آل سعود إلى قبيلة عَنزَة ، إحدى قبائل ربيعة . وعَنزَة تعد من أكثر القبائل العربيـة عدداً ، فهى كثيرة الأفخاذ والبطون ، وأفرادها منتشرون فى نجد والعراق وسوريا .

ولقد كان السعوديون قبل أن يتصل بهم محمد بن عبد الوهاب كغيرهم من شيوخ المقاطعات النجدية محدودى النفوذ والسلطان ، لا يمتد سلطانهم إلى أكثر من مقاطعتهم التى يسكنونها (١) ؛ وكانت المنطقة التى تخضع لهم فى نجد تشمل بلدة الدرعية (٢) وما يحيط بها من واحات .

ويعد سـعود الأول ابن محمد بن مقرن مؤسس الأسرة السعودية وزعيمها الأول ؛ فهو أول من تمكن من السيطرة على مقاطعة الدرعية بما كان عليه من الدهاء وبعد النظر .

---

(١) كان الأمراء السعوديون يعرفون أن نصرتهم لابن عبد الوهاب فى نشر دعوته الدينيـة هى السبب فى قيام دولتهم واتساع ملكهم ، وكانوا كثيراً ما يتحدثون بنعمة الله وفضله عليهم فى هذا ؛ فلقد خطب سعود الكبير عند دخوله مكة سنة ١٢١٨ هـ وقال فى خطبته : إنا كنا أضعف العرب ، ولما أراد الله ظهور هذا الدين دعونا إليه وكل يهزأ بنا ويقاتلنا ! . راجع « جزيرة العرب » ص ٣٤٧ .

(٢) تقع الدرعية شمال الرياض عاصمة نجد الحالية ، بالقرب من العيينة ، القرية التى ولد فيها محمد بن عبد الوهاب .

وبعد وفاة سعود عام ١١٣٧ هـ / ١٧٢٤ - ١٧٢٥ م تعاون أبناؤه الأربعة محمد وثنيان وفرحان ومشارى فيما بينهم ، وما زالوا يتمتعون بما لهم من نفوذ موروث فى منطقتهم الضيقة ، حتى اتصل بهم محمد بن عبد الوهاب - كما قدمنا - وتعاهد مع محمد بن سعود على أن يحميه ، ويساعده على نشر مبادئه الدينية الإصلاحية .

كانت هذه الصلة المباركة سبباً فى اتساع ملك آل سعود وتمكين نفوذهم إلى يومنا هذا ، وقامت من ذلك الحين الدولة الوهابية السعودية ، وأخذت أدوارها المختلفة فى التاريخ .

ونحن نستطيع أن نقسم تاريخ هذه الدولة من وقت قيامها إلى الآن إلى ثلاثة عصور ، يهمنا منها العصر الأخير ، فهو العصر الذى يمثل النهضة العربية السعودية الحديثة ، ولكن لا بد لنا أولا من أن نذكر كلمة موجزة عن العصرين الأول والثانى .

عصر الدولة السعودية الأول

يبتدئ العصر الأول من سنة ١١٦٠ هـ / ١٧٤٧ م بعد التحالف الذى تم بين صاحب المذهب الوهابى وبين الأمير محمد بن سعود صاحب الدرعية سنة ١١٥٧ هـ / ١٧٤٤ م كما قدمنا (١) ، وفى العام الذى توفى فيه ثنيان بن سعود فاعترف الجميع لأخيه محمد بالإمامة الدينية والزعامة السياسية المطلقة (٢) ؛ وينتهى بقضاء القائد إبراهيم باشا ابن محمد على باشا الكبير والى مصر على نفوذ الوهابيين فى الجزيرة العربية ، بعد أن استخلص منهم مدن الحجاز ونجد ، وبعد أن هدم الدرعية مقرهم وخربها سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م ، ثم أسر الأمير عبد الله بن سعود بن عبد العزيز زعيم الوهابيين وأميرهم فى ذلك العهد ، وأرسل به يصحبه بعض أفراد أسرته إلى مصر ، ثم من هناك إلى الأستانة حيث قطعت رؤوسهم ونكل بهم (٣) .

---

(١) راجع ص ٤٩ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٣٢٧ من كتاب « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزة ، وطبع المطبعة السلفية سنة ١٩٣٣ م .

(٣) وصل الأمير عبد الله بن سعود إلى القاهرة يوم الإثنين ١٧ المحرم سنة ١٢٣٤ هـ وأرسل به الى الإسكندرية يوم الأربعاء التالى ٢٩ من الشهر ليبحر من هناك إلى الأستانة كما ذكر الجبرتى فى تاريخه « عجائب الآثار فى التراجم والأخبار » ج ٤ ص ٣١٩ – ٣٢٠ طبعة مصر سنة ١٣٢٢ هـ ؛ راجع كذلك كتاب « عنوان المجد فى تاريخ نجد » ج ١ ص ١٢٧ .

فـى هـذه المرحلة الأولى من تاريخ الدولة السعودية استطاع السعوديون أن يبسطوا نفوذهم على جميع أنحاء الجزيرة العربية تقريباً ، وامتد سلطانهم من ضواحى دمشق فى الشام وقلب العراق شمالا إلى رأس الخيمة فى عمان وزبيد فى اليمن جنوبا ، ومن سواحل الخليج الفارسى شرقا إلى سواحل البحر الأحمر غربا . وفى هذه المدة حكم من آل سعود أربعة من الأمراء ، وهم :

١ — محمد بن سعود

حكم من سنة { ١١٦٠ — ١١٧٩ هـ
١٧٤٧ — ١٧٦٥ م

وهو صاحب الفضل فى تكوين الدولة السعودية الأولى وقيامها ، وفى مؤازرة محمد بن عبد الوهاب ومساعدته على نشر دعوته الدينية الإصلاحية كما بينا . ولقد قضى حياته فى جهاد ونضال ، وكان عصره عصر تأسيس للدولة، تغلب فيه على الكثير من المشقات والصعاب بفضل إيمانه المكين بالدعوة ، وبما أوتى من قوة العزيمة . وكانت وفاته بالدرعية .

٢ — عبد العزيز بن محمد بن سعود

حكم من سنة { ١١٧٩ — ١٢١٨ هـ
١٧٦٥ — ١٨٠٣ م

كان مشهوراً بالعدل والتدين والحزم ؛ وفى عهده تم تأسيس الدولة السعودية الأولى ، وتم أغلب الفتوحات فملك بلاد نجد جميعها ، والأحساء ، ودخلت

جيوشه الحجاز واستولى على مكة على يد قائده وابنه سعود ، وبسط نفوذه على جهات البحرين ، ووصلت جيوشه إلى قلب العراق ، فهدمت قبر الحسين فى كربلاء ، واستولت على كنوزه .

فكان ذلك سبباً فى أن اغتاله أحد الشيعة العرافين انتقاماً منه لما صنعته جيوشه بقبر الحسين المقدس فى نظر الشيعة ، وطعنه وهو يصلى الصبح فى مسجد الطريف بالدرعية فى رجب سنة ١٢١٨ هـ [1] . ومات عبد العزيز متأثراً بجراحه بعد أن عود العرب الطاعة والنظام ، وبعد أن زعزع عرش الدولة العثمانية .

٣ — سعود بن عبد العزيز الملقب بسعود الكبير

حكم من سنة { ١٢١٨ — ١٢٢٩ هـ
{ ١٨٠٣ — ١٨١٤ م

وقد كان صاحب أقوى شخصية بين أمراء الدولة السعودية الأولى ، وفى عهده بلغت الدولة عصرها الذهبى ، ووصلت إلى الذروة فى القوة ؛ فتقرر حكمه فى الحجاز ، وضم عمان والبحرين إلى أملاكه ، وتسابق أمراء العرب إلى تقديم الطاعة له حتى إمام صنعاء ، وشيخ حضر موت . وهو وإن كان قد شهد غزو جيوش محمد على باشا الكبير والى مصر لبلاده ، فقد مات وهو يشعر بالقوة ،

---

(١) راجع ص ٧٦ — ٧٧ ج ١ من « عنوان المجد فى تاريخ نجد » .

ولم يكن يخطر على باله ما حل بدولته بعد وفاته . وقد كانت وفاته بالدرعية .

ومما يستحق منا أن ننوّه بذكره على وجه الخصوص طريقة سعود الكبير فى الحكم والعمل على استتباب النظام والأمن ؛ فهو على الرغم من أنه كانت له بعض الأخطاء ، مثل سلوكه سبيل الشدة دائما فى تنفيذ الأوامر ومعاملة الخصوم ، الأمر الذى كانت له نتائجه السيئة فيما بعد ؛ على الرغم من هذه الأخطاء ، فقد كانت السياسة التى وضعها وسار عليها سعود الكبير فى حكم شعبه البدوى وفى ضبط النظام واستتباب الأمن فى البادية من أحكم السياسات وأبعدها خطراً ، إذ أنه لجأ فى ذلك إلى طريقة نستطيع أن نسميها طريقه التضمين فى المسئولية والحكم ، وذلك أنه جعل زعيم كل ناحية مسئولا شخصياً أمامه عن كل حادثة تقع فى منطقته ، ثم أشركه فى الضمان والمسئولية مع الزعماء الآخرين — زعماء المناطق المجاورة له من كل الجهات — عن الحوادث التى تقع فى مناطقهم المجاورة . فكان بذلك كل زعيم موضعى مسئولا بالأصالة عما يحدث فى منطقته ، وبالتضامن عما يقع فى المناطق المجاورة لمنطقته . وبهذه الطريقة استطاع سعود الكبير أن يضبط الأمور ، وأن يقيم دعائم الأمن والسلام فى الجزيرة العربية مدة حكمه .

٤ — عبد الله بن سعود الكبير

حكم من سنة { ١٢٢٩ — ١٢٣٣ هـ
{ ١٨١٤ — ١٨١٨ م

بويع لعبد الله بالإمارة بعد وفاة والده فى الوقت الذى كان محمد على باشا

يحاربهم فيه بأمر حكومة الخلافة العثمانية ، ويحاول القضاء على دولتهم (١) فكانت مهمة الحكم ليست بالسهلة ، خصوصاً وعبدالله لم تكن له الشخصية القوية ولا الدراية الحربية التى كانت لسعود الكبير ، الأمر الذى كان سبباً فى طمع عمه عبد الله بن محمد بن سعود فى الحكم ورفعه علم العصيان ، ثم فى خروج بعض زعماء القبائل النجدية عليه . فتحرجت الأمور وساءت الأحوال حتى انتهت بسقوط الدولة السعودية الأولى بعد انتصار القائد المظفر إبراهيم باشا وهدمه للدرعية . وكانت نهاية الأمير السعودى القتل بالأستانة بعد أن أسر ورُحِّل إليها عن طريق مصر كما قدمنا .

على هذا الوجه انتهى العصر الأول للدولة السعودية ، وقبل أن نتحدث عن العصر الثانى نود أن ننبه إلى الطريقة التى اتبعها أمراء البيت السعودى

---

(١) يعلل بعض المؤرخين مثل فؤاد حمزة فى « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٣ ، تكليف الحكومة العثمانية لمحمد على بحرب السعوديين بأنها « كانت تريد كذلك أن تتلخص من محمد على باشا فى مصر ، فولته ولاية جده أملا فى دفعه وإقصائه عن مصر ، وكان قصدها اصطياد عصفورين بحجر واحد » . وسواء أصح هذا أم لم يصح فإنا نظن أن محمد على باشا سره هذا التكليف ، وقد كان فى سبيل تمكين نفوذه ونشره فى المناطق الهامة المجاورة لمصر.

ولقد كان تكليف الحكومة العثمانية لوالى مصر بهذه المهمة فى سنة ١٢٢٢ هـ ، فاستغرق إعداد الحملة لغاية سنة ١٢٢٦ هـ ، وفى هذه السنة وصلت الجيوش المصرية إلى ينبع واحتلتها ثم استردت مكة والمدينة والطائف فى سنة ١٢٢٨ هـ ، وبعد حروب وخسائر كبيرة للجانبين عقد القائد المصرى طوسون باشا صلحا مع عبدالله بن سعود الكبير فى سنة ١٢٣٠ هـ ، ثم عاد إلى مصر . وفى سنة ١٢٣١ هـ جهز محمد على باشا جيشا آخر بقيادة إبراهيم باشا وأرسله ثانية إلى الجزيرة العربية ، وبعد حروب طاحنة وخسائر فادحة انتصر إبراهيم باشا على السعوديين وأسر أميرهم وقضى على دولتهم فى سنة ١٢٣٣ هـ .

وحكامه من مبدأ قيام دولتهم مع أبنائهم وأولياء عهدهم وخلفائهم من بعدهم ، تلك الطريقة التى تلفت النظر وتستحق الإعجاب . وذلك أنهم درجوا جميعا على إشراك أبنائهم — خصوصاً المرشحين منهم للحكم بعدهم — معهم فى إدارة الشئون . وتحمل أعباء الحكم حتى يتمرنوا بذلك على تصريف الأمور ويستعدوا للاستقلال بحمل الأعباء ، وحتى يكونوا أهلا لحماية الدعوة حينما يؤول الأمر إليهم . فكان عبد العزيز بن محمد بن سعود قائداً لجيوش والده ، ومعيناً له فى تحمل أعباء الحكم ؛ وكذلك كان سعود الكبير مع والده عبد العزيز ؛ كما كان عبد الله مع والده سعود الكبير .

وهى فى الحق خطة سليمة وطريقة حكيمة يتضح لنا خطرها خصوصاً إذا ما وازنا بينها وبين ما كان متبعا مع أمراء البيت العباسى فى عصور الضعف للدولة العباسية ، حيث كان هؤلاء الأمراء يحال بينهم وبين الاشتراك فى الحياة العامة ، فيودعون فى بيت محمد بن طاهر ببغداد ويعتقلون فيه ؛ فإذا شاء القدر لأحد منهم وجلس على عرش الخلافة العباسية ، جلس عليه وهو غير أهل له ، فتفسد بذلك الأمور ، وتضعف الدولة وتسوء الأحوال .

ولا تزال تلك الطريقة السعودية الموفقة التى تكلمنا عنها تتبع فى الدولة السعودية الحديثة ، يتبعها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع الأمراء من أنجاله الكرام .

عصر الدولة السعودية الثانى

بعد أن قضى إبراهيم باشا على الدولة السعودية الأولى سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨ م عاد إلى مصر فى السنة التالية لذلك وترك الحاميات من الجيش المصرى فى المدن النجدية مثل الرس وشقرا وبريدة وعنيزة تحت إمرة بعض القواد . ولكن الأحوال فى نجد ساءت من جديد ، فعمت الفوضى واضطرب الأمن وضعف مركز الولاة من قبل دولة الخلافة العثمانية على الرغم مما عرف عن بعضهم من القسوة والشدة ، ولعل ذلك كان من أسباب الاضطراب وبغض الناس لهم .

وسط هذه الفوضى وذلك الاضطراب وجد السعوديون الفرصة سانحة لأن يتدخلوا فى الأمر من جديد ، ويعملوا على تثبيت مركزهم وإعادة سلطانهم؛ فقامت دولتهم الثانية ، وكان قيامها أيضا على أساس من الدين مثل الدولة الأولى . فقد تطلع الشعب النجدى إلى أن يقوم فيهم رجل من آل سعود يحكمهم بحكم الإسلام ، فينفذ الأحكام ويقيم الحدود ليضبط الأمور ويصلح الأحوال ؛ وتمهد بذلك الجو ، وسنحت الفرصة لظهور رجل من رجالات البيت السعودى الأقوياء المؤمنين ، وهو تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود رأس الأسرة السعودية .

تقدم تركى وقضى على منافس أسرته ابن مُعَمَّر ، ثم قبض على زمام الأمور ،

وأقام الدولة السعودية الثانية محاولا أن يجمع أفراد الأسرة السعودية وأفراد شعبه النجدى الوهابى حوله ، وكان ذلك فى سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م .

تركى آل سعود

بولاية تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود انتقل الحكم فى آل سعود من سلالة عبد العزيز بن محمد إلى سلالة أخيه عبد الله بن محمد. ولا يزال الحكم لهؤلاء إلى الوقت الحاضر، فتركى هذا هو الجد الثانى لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود الحالى.

استعاد السعوديون سلطانهم على يد تركى ولكن الخلاف كان لا يزال مستحكما فيما بينهم ، حتى كان شراً مستطيراً عليهم ، وكان سببا فى القضاء على دولتهم الثانية بعد حين . فبعد عشر سنين فى الحكم مباركة ، قضاها تركى فى مدافعة الأعداء والعمل لخير رعيته ولاستعادة مجد أسرته اغتاله أحد أبناء عمه مشارى بن عبد الرحمن ابن سعود طمعاً فى أن يتولى الحكم مكانه ؛ وكانت هذه أول جريمة سياسية شنيعة تقع بين آل سعود .

ولم يمهل الله هـذا القاتل ، فلقد حضر على جناح السرعة القائد فيصل ابن تركى إلى الدرعية ، وقد كان على رأس جيشه يحارب فى أطراف القطيف ، فتمكن من قتل مشارى ، والاستيلاء على كرسى الحكم سـنة ١٢٤٦ هـ / ١٨٣٠ م .

فيصل بن تركى

أخذ فيصل يناضل خصومه ويوطد دعائم حكمه تسع سنين ، ثم اضطرته ظروفه القاسية إلى الاستسلام للقائد خورشيد باشا الذى أرسلته الدولة من المدينة ليوطد سلطانها فى نجد ، فوفق هذا إلى التغلب على فيصل والقبض عليه وإرساله أسيراً إلى مصر . ثم ثَبَّتَ عبد الله بن رشيد ، رأس أسرة آل رشيد أميراً على حائل ؛ وجعل أحد أفراد السعوديين المسمى خالداً أميراً على الدرعية وكان خالد هذا موالياً للأتراك حائزاً لثقة المصريين .

وفى سنة ١٢٥٩ هـ تمكن فيصل من الفرار من الأسر والعودة إلى نجد فاستعاد الحكم ثانية ، واسترد أملاكهم السابقة ماعدا الحجاز ؛ ثم سعى لتحسين علاقاته بالأتراك الذين اكتفوا بالسيادة الرسمية ، ولم يزل فى الحكم حتى توفى سنة ١٢٨٢ هـ / ١٨٦٥ م .

ولقد كان فيصل بن تركى صاحب أقوى شخصية فى الدولة السعودية الثانية ، فهو بمنزلة سعود الكبير فى الدولة الأولى ؛ ويمتاز عنه بحسن السياسة ، والانتفاع بالتجارب وبعد النظر .

الخلاف بين أبناء فيصل

كانت وفاة فيصل صاحب الشخصية القوية مؤذنة بزوال ملك السعوديين

وانقضاء دولتهم الثانية ، فعقب وفاته وقع الخلاف بين أبنائه الأربعة : سعود وعبد الله ومحمد وعبد الرحمن والد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود . واشتد هذا الخلاف خاصة بين عبد الله وسعود فاقتتلا وتنافسا على الحكم حتى انتهى الأمر أخيراً إلى تغلب محمد بن عبد الله بن رشيد عليهم والقضاء على الإمارة السعودية فى سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩١ م .

وبذلك انتهى العصر الثانى للدولة السعودية ؛ ولم يجد عبد الرحمن بن فيصل ابن سعود بعد محاولات غير مجدية قام بها لاسترجاع ملكهم من يد ابن رشيد بداً من الفرار والنجاة بنفسه وأهله أمام خصمه القوى . واستقر المقام به أخيراً فى الكويت ، حيث نزل مع أسرته ضيوفا على أميرها من آل الصباح بعد أن أذنت لهم بذلك الحكومة التركية .

عصر الدولة السعودية الثالث
أو النهضة السعودية الحديثة

هذا العصر الثالث والأخير من عصور الدولة السعودية هو عصر النهضة العربية السعودية الحديثة ؛ وبطل هـــذه النهضة وزعيمها هو صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية ، وسيد الجزيرة العربية .

شهد هـذا البطل وهو طفل ملك آبائه وأجداده ينهار فى أواخر العصر الثانى ، وفرصبيا مع أبيه من وجه العدو المتغلب محمد آل رشيد ، فشهد بذلك وهو لايزال غض العود ضعيفاً عن احتمال الشدائد ، محنة أبيـه الشيخ ترغمه حوادث الدهر وتلجئه الضرورة القاسية إلى الهجرة وترك الوطن فراراً بنفسه وأهله من خطر القتل ، وذل العبودية .

ثم انتهى به المطاف إلى الكويت ، حيث نزل والده ضيفا على أميرها من آل الصباح ، يعيش فى كنفه وتحت حمايته . ولم يزل على هذه الحال حتى أذن الله فقام الفتى عبد العزيز بمغامرته التى كانت نتيجتها أن استولى على الرياض ، فاستعاد بذلك عاصمة ملكهم القديم ، ووضع أساس الدولة السعودية الحديثة .

أخذت الحوادث بعد هـذا تتطور سراعا ، وهو يدير دفة الأمور بحكمة وسياسة ، تلحظه العناية ، ويصاحبه التوفيق حتى أصبح صاحب نجد والحجاز والملحقات ، ثم ملك المملكة العربية السعودية .

ونحن إذا أردنا تفصيل الحديث عن هذه النهضة ، فإنا سنتحدث بذلك عن تاريخ حياة عبد العزيز آل سعود ، فهو قائد النهضة وباعثها ، على يده نشأت وبه ارتبطت وعرفت ، فهو إذاً بانيها وراعيها . وسنقسم الكلام فيها ونجعله عن أربع مراحل ؛ المرحلة الأولى من نشأة عبد العزيز إلى استيلائه على الرياض ؛ والثانية من الاستيلاء على الرياض فى يناير سنة ١٩٠٢ م إلى تحالفه مع الانجليز وعقد معاهدة القطيف سنة ١٩١٥ م ؛ والثالثة من ذلك الحين إلى سنة ١٩٢٦ حيث نودى بعاهل الجزيرة ملكا على الحجاز بعد أن تم فتحه له ؛ والرابعة والأخيرة من ذلك الوقت إلى الآن .

المرحلة الأولى في تاريخ عبد العزيز آل سعود

نشأة عبد العزيز آل سعود

في ٢٠ ذى الحجة سنة ١٢٩٧ هـ / ٥ ديسمبر سنة ١٨٨٠ م ولد عبد العزيز ابن عبد الرحمن بن فيصل آل سعود بقصر الرياض [١] ، فنشأ كما ينشأ أمثاله فى هذا الوسط . تعلم القراءة والكتابة وأخذ يتلو القرآن ويحفظ منه ، ويتلقى تعاليم الدين ومبادئ المذهب الوهابى على أشياخه ؛ ثم شرع يتعلم ركوب الخيل وضروب الفروسية وفنون الرماية والضرب بالسيف بين أقرانه ولداته من أبناء سعود وأتباعهم .

ولد عبد العزيز فى وقت تحالفت فيه الشدائد ضد أسرته بسبب اختلافهم على أنفسهم ، ووقوف عدوهم القوى محمد ابن رشيد لهم بالمرصاد ، فنشأ نشأة قاسية كان لها أثر كبير فى تغلبه على الصعاب التى لاقاها فى مستقبل حياته . وبعد مضى عشرة أعوام على ولادته ، رأى فيها أفراد البيت السعودى يختلفون ويقتتلون ثم تكون نهايتهم الوقوع فى أسر ابن رشيد ، أُذن لأبيه عبد الرحمن ابن فيصل بالعودة إلى الرياض فى سنة ١٨٩٠ ، وقد كان أحد الأسرى فى حائل .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦١ ؛ و « ملوك المسلمين المعاصرون ودولهم » ج ١ ، ص ١١٥ .

عاش عبد الرحمن بعض الوقت فى الرياض إماما للوهابيين وزعيما لهم ، ولكنه مالبث أن ضاق ذرعا بهذا العيش الذليل الذى لم يألفه ، فقد كان نائب ابن رشيد فى الرياض سالم بن سبهان هو صاحب النفوذ والمصرف للأمور . أما عبد الرحمن فقد كان يعيش فرداً من أفراد الرعية لا حول له ولا طول ، مراقباً من صاحب الأمر ابن سبهان . لهذا نراه يحاول استعادة السلطان فى يده ، والقضاء على نفوذ ابن رشيد فى الرياض ، فتقع بينه وبين ابن سبهان معارك تسيل الدماء فيها على مشهد من ابنه الصبى عبد العزيز ، ويكون لذلك المشهد الدموى أثره فى نفس هذا الفتى الناشئ . كانت الغلبة فى المبدأ لعبد الرحمن فقبض على ابن سبهان أسيرا ، ثم أطلق سراحه على أن تعود إمارة الرياض لآل سعود . وأخذ يعمل بعد هذا على مهاجمة ابن رشيد فى حائل ، فاتفق مع زعماء ولاية القصيم فى شمال نجد — وقد كانوا يبغضون ابن رشيد ويخشون شره — اتفق عبد الرحمن مع هؤلاء على أن يبايعوه بالإمارة ، ويقاتلوا معه عدوهم المشترك محمد ابن رشيد ، ويعملوا يداً واحدة على القضاء عليه . ولكن ابن رشيد كان أكثر منهم يقظة وحرصاً ، فإنه ما كاد يعلم باتفاق خصومه وتأهبهم لقتاله حتى باغتهم بقواته فى ديارهم ، وانقض عليهم فمزقهم شر ممزق فى موقعة المليدة (١) ، وقد قتل فى هذه الموقعة زامل آل سليم حاكم عنيزة ، وابن مهنا حاكم بريدة (٢) ، وقد كان ذلك فى سنة ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م .

---

(١) يقع هذا المكان على بعد ست ساعات غربى القصيم .

(٢) عنيزة وبريدة، هما المدينتان الرئيسيتان لولاية القصيم، راجع « جزيرة العرب » لوهبه ص ٦٩ .

لم يسع عبد الرحمن ابن سعود بعد هذا ، وهو يرى قوة ابن رشيد ووقوفه له بالمرصاد ، إلا أن يهجر الرياض ، وينتقل بأهله وفيهم ابنه عبد العزيز آل سعود إلى مضارب بنى مرة بالربع الخالى بالقرب من الأحساء . وابتدأ عبد العزيز من ذلك الوقت يقطع الصحراء ويجوب فيافيها ، يشارك أباه فى محنته ، ويقاسمه الآلام على صغر سنه ، وبدء عهده بالحياة .

مكث الشيخ عبد الرحمن مع أفراد أسرته عند آل مرة نحو السبعة شهور ، ثم شرع يحاول من جديد حرب ابن رشيد ، وتخليص الرياض من يده ، ولكن ابن رشيد جهز جيشاً قوياً ، والتقى بعبد الرحمن فى الحريملة فقضى على جيشه الصغير القضاء الأخير . وأيقن هذا بعد تلك الموقعة بأنه لا قبل له بابن رشيد فصمم على الرحيل حتى يقضى الله أمره ، وترك نجداً إلى الأحساء مع أسرته ، ثم إلى قطر ، حيث مكث قليلا غير مرغوب فيه ، ثم ألقى عصا التسيار فى الكويت ، حيث أذنت له الدولة العثمانية بالإقامة ، وأجرت عليه قليلا من الرزق ؛ وقد كانت تطمع الحكومة التركية فى استخدامه لحسابها ضد ابن رشيد الذى أخذ يقوى ويشتد . وكثيراً ما عودتنا هذه الحكومة أن تتقلب فى مناصرة أمراء العرب ، والعمل على ضرب بعضهم ببعض .

نزل عبد العزيز مع والده وأسرته فى الكويت بالقرب من الشيخ مبارك آل الصباح ، وكان ذلك سنة ١٣٠٩ هـ / ١٨٩٢ م ؛ ولم يزل هناك حتى ساقته الأقدار إلى المغامرة وفتح الرياض .

معيشته فى الكويت

وصل عبد العزيز إلى الكويت ، وهو فى الثانية عشرة من سنى حياته بعد أن مكث مدة فى قبائل بنى مرة ، وشاركهم الحياة البدوية الخشنة ، فاستعد بذلك لاحتمال ما سيلاقيه فى حياته المستقبلة من الأخطار والمشقات . نزل الكويت فى الوقت الذى كانت فيه هذه المدينة ميداناً للتنافس السياسى الدولى بين الدول العظمى ، فألمانيا تطمع فى الحصول على امتياز سكة حديد بغداد من حكومة الباب العالى ساعية لذلك جهدها ، وتريد أن تجعل نهاية الخط مدينة الكويت على الخليج الفارسى حتى يتيسر لها أن تنشر نفوذها فى هذه الأنحاء وتستغل الموارد الطبيعية الموجودة على شواطئ الخليج الفارسى وبالقرب منه ؛ وروسيا تزاحم ألمانيا وتعمل لعرقلة مساعيها ؛ وانكلترا تخشى على نفوذها وممتلكاتها فى الشرق من خطر المزاحمة الألمانية ، وتريد أن تستأثر بزيوت ومعادن هذه المنطقة الغنية . فهى تعمل جهدها لإحباط المشروع الألمانى ، ولتقوية نفوذها فى هذا المركز المهم[1] .

ولقد كان كل من هؤلاء المتنافسين يبغى اكتساب جانب أمير الكويت ويخطب وده ، فكانت الكويت بذلك مدرسة من مدارس السياسة العالمية ، وكانت الفرصة سانحة للأمير عبد العزيز آل سعود لأن يتلقى دروس السياسة

---

(١) راجع All-Islam ص ١٦ — ١٨ ؛ وص ٤٢ من كتاب :
Die Auferstehung Arabiens لروبرت دونكان طبعة ليبزج سنة ١٩٣٥م.



LIBRARY
SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES

فى هذه المدرسة ، فمكث فى الكويت نحو عشر سنوات شهد فيها كثيراً من الحوادث التى أفادته وساعدته فى النهاية على الاستيلاء على الرياض ، وتأسيس دولته ؛ وتعلم أساليب الحياة السياسية على يد صديقه وأستاذه البارع فى فنون السياسة الشيخ مبارك ابن الصباح ، الذى كان قد حط الرحال بالكويت واستقر بجانب أخويه الشيخ محمد أمير الكويت والشيخ الجراح ، بعد أن رحل إلى البلاد المختلفة وبعد أن مكث مدة كبيرة بالهند كان فيها على اتصال بالساسة الانكليز وصار ذا خبرة سياسية ممتازة ، وصاحب تجارب .

ثم لم يلبث الشيخ مبارك أن جمع الناس حوله بما كان له من مواهب وصفات تحبب الناس فيه ، وأراد بعد ذلك أن يكون صاحب السلطان فى الكويت فقتل أخويه ، وأصبح أمير الكويت فى سنة ١٣١٤ هـ / ١٨٩٧ م .

ثم التجأ أبناء إخوته إلى الأتراك وإلى ابن رشيد بحائل ، وشكوا لهم الشيخ مبارك ، وحرضوهم على حربه ، فوقعت العداوة بينه وبين ابن رشيد ، وأراد الأتراك القبض عليه وترحيله إلى الاستانة فأرسلوا إليه سفينة حربية صغيرة لنقله إلى الاستانة بحجة أن الباب العالى قد أصدر الأمر بتعيينه عضواً فى مجلس الشورى ، فالتجأ عندئذ إلى الانكليز بمشورة شيخ البحرين ؛ وكان أن منحه الانكليز حمايتهم(١) ومنعوه من الأتراك ، فاضطر قائد السفينة التركية إلى الخروج من الخليج وترك الشيخ مبارك .

---

(١) عقد الشيخ مبارك الاتفاق مع الحكومة الانكليزية سنة ١٨٩٩ م ولا تزال الكويت تحت الحماية الانكليزية بهذا الاتفاق من ذلك الوقت إلى الآن ؛ المرجع السابق ص ٥٤ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٩٨ .

فكرت الدولة العلية بعد هذا أى الطرق تسلك للانتقام من هذا الرجل بحيث لاتصطدم مع الإنكليز الأقوياء ، وأهتدت فى النهاية إلى استخدام عبد العزيز بن متعب ابن رشيد الذى خلف عمه محمد ابن رشيد على حائل ضد أمير الكويت ، فأمدته بالمال والسلاح وكلفته بقتال هذا الرجل الذى خرج على الدولة وظاهر الإنكليز عليها . وفى سنة ١٣١٨ هـ / ١٩٠١ م كانت موقعة الصريف [١] بين الشيخ مبارك وبين عبد العزيز ابن رشيد ، وكانت الدائرة على الشيخ مبارك الذى فر بعد الموقعة إلى الكويت وتحصن بها ، ولولا أن خشى ابن رشيد بأس الإنجليز لاستطاع مهاجمة أمير الكويت فى حصنه ولاقتحم عليه بلده ، ولكنه اضطر إلى العودة إلى نجد بعد انتصاره فى الموقعة ، عاد وهو محنق على آل سعود وأتباعهم من النجديين الذين أمدوا أمير الكويت بالمساعدة ضده ؛ فأخذ يضطهد أتباع السعوديين فى نجد وينكل بهم انتقاما منهم ومن آل سعود اللاجئين إلى أمير الكويت .

بلغت أخبار هذه الاضطهادات وتلك المظالم إلى أسماع عبد العزيز آل سعود بالكويت ، وكان قد ضاق ذرعا بتلك الحياة الراكدة فى الكويت تحت كنف أميرها وفى حمايته ، فصمم على أمر خطير ، صمم على أن يقوم بمغامرته الجريئة التى كانت فاصلة فى تاريخ حياته وتاريخ أسرته ، والتى كانت نتيجتها التوفيق فاستعاد بها ملك آبائه المفقود ، واستولى على الرياض من جديد .

---

(١) الصريف : ماء بولاية القصيم شمال نجد وبالقرب من بلدة الطرفية التابعة لبريدة ، راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٣ .

فتح الرياض

فى سنة ١٣١٩ هـ / سنة ١٩٠١ م اجتمعت لدى الفتى عبد العزيز آل سعود عدة من العوامل التى جعلته يخاطر فيقوم بمغامرته السابقة الذكر ، وهذه العوامل نستطيع أن نلخصها فى الآتى :

أولاً ـ أثر ماشاهده من محنة أبيه فى نفسه .

ثانياً ـ أنفته من مواصلة هذا العيش الضيق فى كنف أمير الكويت وتحت حمايته بعد أن فقدوا سيادتهم وملكهم .

ثالثاً ـ عدم احتماله لتلك الحياة الراكدة التى كان يحياها فى الكويت هو وأسرته .

رابعاً ـ ما بلغه من ظلم أتباع السعوديين واضطهادهم على يد عدوهم ابن رشيد (١) .

اجتمعت هذه العوامل فى نفسه ، فجعلته يصمم على المغامرة والمخاطرة ، ويعزم على انتزاع الرياض من يد خصمه القوى مهما كلفه ذلك من تضحية ؛

---

(١) أسرف عبد العزيز ابن رشيد فى الانتقام من أتباع السعوديين بعد موقعة الصريف التى انتصر فيها ، فقتلهم تقتيلا ، وقطع نخيلهم وأشجارهم ، وقتل دوابهم ، وخرج بهذه الطريقة فى الانتقام عن عادة العرب ، متأثراً بالأتراك فى طريقتهم ؛ راجع Die Auferstehung Arabiens ص ٥٣ .

فخرج وهو فى قلة من العدد والعدة ، ولم يسمع لنصيحة والده الشيخ الذى نصحه بالتريث حتى يكون لديه من القوة ما يستطيع أن يعتمد عليه فى تنفيذ مشروعه ، خرج مخاطراً مستهيناً بكل صعب ومستعداً للتضحية بنفسه وحياته . فإما إلى النصر ، وإما إلى القبر ، وفى كلتيهما راحة لضميره المعذب ، وهدوء لنفسه الثائرة .

خرج عبد العزيز من الكويت إلى الصحراء ومعه أربعون رجلا فقط قد بايعوه على الموت ليصلوا من طريقه إلى الحياة ، وقد كانوا من أتباعه وقرابته وفيهم أخوه محمد وابن عمه عبد الله بن جلوى الذى حكم الأحساء بعد فتحها فبلغ الغاية فى العدالة والنجاح فى الحكم (١) ، والذى كان يعد فى مقدمة المخلصين لابن عمه جلالة الملك ، ومن أكبر العاملين على توطيد ملكه . خرج بهذا الجيش القليل بعدده وعدته ، الكثير والقوى بإيمانه وشجاعته بعد أن أمده الشيخ مبارك بقليل من السلاح والذخيرة .

أراد عبد العزيز مهاجمة ابن رشيد فوضع لذلك خطة حكيمة تنبىء عن حنكة ومهارة حربية ، وكانت هذه الخطة تتلخص فيما يلى .

١ — أن يخرج الجيش خفيفاً بالقليل من الزاد حتى يمكنه التنقل السريع ، والتزود من قرى نجد أمر ميسور فى الطريق .

---

(١) راجع « ملوك العرب » للريحانى ج ٢ ص ٧٢ — ٧٣ .

٢ — العمل على ألا يلتقى جيشه بجيش ابن رشيد الذى يفوقه فى العدد والعدة وجها لوجه ، حتى لا يُمَكِّنَ العدوُّ من إلحاق الضرر به ؛ وكانت طريقته فى الحرب أن يهاجم على غير انتظار فينال من العدو ، ثم يفر سراعا إلى حيث لا يتمكن ابن رشيد من تعقبه على طريقة « حرب العصابات » .

٣ — أن يوقع أولا بالقبائل البدوية الموالية لابن رشيد حتى يدخل الرعب فى قلوبهم ، وحتى يكون ذلك سببا فى انفصال البدو عن عدوه وانضمامهم إليه ؛ وهو يعرف عن هؤلاء البدو أنهم ينضمون دائما إلى من يظنون أن الغلبة له على عدوه طمعا فى الحصول على الغنيمة بالانضمام إلى الغالب .

٤ — أن تكون الرياض عاصمة ملكهم الضائع هى الهدف الحربى الذى يسعى لإصابته أولا ، فالرياض بعيدة عن مركز القوة لابن رشيد الخصم العنيد الذى يسكن فى حائل شمال نجد ، وأهل الرياض وسكان الجنوب من نجد أغلبهم يوالى السعوديين ولا يتأخر عند سنوح الفرصة المناسبة عن معونتهم .

قصد الجيش المغامر إلى الصحراء آخذاً طريقه نحو الرياض ؛ وحمل على بعض القبائل الموالية لابن رشيد ، فنال منهم على حسب الخطة الموضوعة وكانت النتيجة المنتظرة ، فانضم الكثيرون من البدو إلى جيش ابن سعود حتى بلغ نحو ألف مقاتل ، فيهم أربعمائة فارس .

وبعد مضى أربعة أشهر فى حرب مع قوات ابن رشيد تمكن هذا من حصار ابن سعود فى الصحراء ، وقطع المدد عنه من جميع الجهات ؛ حيث إنه اتفق

مع الأتراك فى الأحساء ، ومع قاسم ابن ثانى أمير قطر على قطع المؤونة عن عبد العزيز ابن سعود ، وقد كان يتمون من هـذه الأنحاء ؛ ثم والى مطاردته بجيوشه الكثيرة فى الصحراء . وفى هـذا الوقت العصيب تفرق البدو الذين لا يوثق بهم ولا يعتمد عليهم فى الشدائد عن ابن سعود ، وعاد جيشه إلى ما كان عليه عند خروجه من الكويت ، وعدده أربعون رجلا فقط ؛ ولم تقف المحنة عند هذا الحد ، بل إن الأخبار وصلت إلى عبد العزيز بقطع الأتراك مرتب والده الشهرى البسيط الذى كانوا يعطونه له ليعيش به فى الكويت ؛ ووصلت مع هـذه الأخبار كتب الشيخ مبارك آل الصباح أمير الكويت ، والشيخ عبد الرحمن والد عبد العزيز يطلبان إليه الكف عما لا قبل له به من الأعمال الحربية العدائية والعودة إلى الكويت .

اجتمعت المحن وتحالفت الأخطار ، ولكن كل هـذا لم يضعف من عزم هذا الرجل المخاطر الذى قد صمم على أن يصل إلى غرضه أو يفنى دونه ، فانحاز هو وجيشه الصغير الباسل إلى واحة جبرين فى الطرف الشمالى من الربع الخالى ، وخطب رجاله قائلا لهم : لايبق منكم إلا من هو على استعداد للتضحية بنفسه فى سبيل الوصول إلى الغرض ، أما من يفضل الحياة على الموت فأولى به أن يذهب لشأنه ، ويتركنا لشأننا ! ولكن رجاله المخلصين كانوا قد تأثروا بروحه واستعدوا للتضحية ، فبايعوه جميعا على الطاعة ، وتحالفوا معه على الحياة أو الموت .

بقى عبد العزيز بعد ذلك مدة وهو يشيع عن نفسه الهزيمة ، وأنه عازم على الرجوع إلى الكويت تضليلا لابن رشيد ، فأفلحت هذه الخدعة ـ والحرب خدعة ـ وظن الناس وفيهم الخصم ابن رشيد أن ابن سعود هام على وجهه فى الصحراء بعد عجزه عن تحقيق أمنيته فى فتح الرياض ، وأن الخطر على آل رشيد من ناحيته أصبح لا يعتد به .

وفى هـــذه الأثناء كانت عيون عبد العزيز التى بثها لاستطلاع الحال فى الرياض قد وقفت على مقدار القوة التابعة لابن رشيـد فى الرياض ، وعلى المواقع المحصنة وغير المحصنة فيها ، ثم عادت إليه .

وفى أوائل رمضان سنة ١٣١٩ هـ وأواسط ديسمبر سنة ١٩٠١ م تحرك عبد العزيز ابن سعود نحو الرياض بدون أن يعلم أحـداً بقصده ، وكان يسير بالليل ويختفى بالنهار مبالغة فى الكتمان وحرصا على ألا يعلم ابن رشيد شيئا عن حركاته حتى يستعد له .

وبعد قليل أصبح على مقربة من الرياض وقد انضم إليه عشرون آخرون من أتباعهم المخلصين فى نجد ، ومن الحانقين على ابن رشيد ، فصار عدد جيشه ستين رجلا .

وصل الجيش الفاتح إلى حـدود الرياض أول الليل ، فترك ابن سعود عشرين من رجاله للاحتياط على مسافة ساعتين من المدينة بعـد أن زودهم بالتعليمات ، ثم تقدم فى الأربعـــين الآخرين حتى البساتين الواقعة خارج

سور الرياض المعروفة بالشمسية ، فترك هناك ثلاثين آخرين للرديف تحت قيادة أخيه محمد ، وتسلق السور فى ظلمة الليل البهيم ومعه عشرة رجال منهم ابن عمه عبد الله بن جلوى ، وصاروا داخل المدينة التى ولد فيها ابن سعود والتى يعرف مواقعها تمام المعرفة .

قاموا بما يرونه لازما من الاحتياطات الجريئة ، ثم كمن هؤلاء المخاطرون للشيخ عجلان الوالى من قبل ابن رشيد على مقربة من باب الحصن الذى كان يبيت فيه بعد أن انضم إليهم الثلاثون الذين كانوا ينتظرون خارج السور تحت قيادة محمد بن عبد الرحمن آل سعود . وفى الصباح المبكر فُتح باب الحصن وأقبل الشيخ عجلان خارجا منه ، فباغته ابن سعود وأطلق عليه النار ، وبعد مدة يسيرة اشتبك فيها الرجال السعوديون مع رجال الحامية الموجودة بالحصن تمكن عبد الله بن جلوى من قتل الشيخ عجلان ، فبادر محمد بن عبد الرحمن إلى قطع رأس القتيل وإعلان موته والنداء بأن المدينة أصبحت لابن سعود . فأسقط فى يد رجال الحامية بعد قتل سيدهم وظنوا أن وراء ابن سعود جيشا كبيرا على أبواب الرياض ، فاستسلموا وأصبح عبد العزيز آل سعود سيد الموقف وصاحب الرياض بعد معركة قصيرة سقط فيها من رجاله اثنان وجرح أربعة .

ثم أقبل أهل المدينة يهنئونه ويقدمون إليه الطاعة ، فرحين مستبشرين بهذا الفتح ، وقد لاقوا كثيرا من ظلم ابن رشيد واضطهاده لهم لما كانوا يظهرونه من الميل إلى آل سعود .


البصرة
الكويت
الخليج
الفارسي
قبائل مطير
النفوذ
جبل شمر
الارطاوية
بريدة
الزلفي
عنيزة
البكيرية
القصيم
الشانه
الخفس الوشم
نجد
العارض
عيينه
الرياض
جبيله
الدرعية
السليمي
الدلم
الخرج
الحوطه
الافلاج
واحة حجرين
قطاع من
نجد

وعلى هذا الوجه تم فتح الرياض ، وهو الدعامة الأولى للمملكة السعودية الحديثة؛ وقد كان ذلك فى أوائل شوال سنة ١٣١٩ هـ وأواسط يناير سنة ١٩٠٢ م . وعلى الرغم من وجود العوامل التى ساعدت على هذا الفتح مثل موالاة أهل الرياض للسعوديين ، فإنه أشبه بأن يكون خيالا وقصة من أن يكون حقيقة واقعة ؛ ولكنها الحقيقة التى لامراء فيها، والتى تضافرت كل الرويات من المعاصرين على وقوعها (١) ؛ وهو بعد يعتبر من أروع ما عرف التاريخ فى ميدان البطولة والمغامرة .

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى أثر العامل الروحى فى نجاح عبد العزيز آل سعود فى تأسيس الدولة الجديدة ، وأن نقرر أن العامل الدينى كان الأساس الأول لقيام الدولة السعودية الثالثة ، كما كان كذلك بالنسبة للدولتين الأولى والثانية .

فجيش عبد العزيز فى فتح الرياض لم يكن أكثر من ستين رجلا كما رأينا ، الأربعون الذين خرجوا معه من الكويت ، وعشرون آخرون من الأتباع المخلصين انضموا إليهم فى الطريق ، فكان جيشه إذاً قليل العدد كما كان قليل العدة ؛ ولكن هؤلاء الرجال القليلى العدد والعدة كانوا كثرة قوية ، وقوة لا تغالب بفضل ما ملأ نفوسهم من قوة الإيمان بالمبادىء الدينية الإسلامية ، وبفضل اعتقادهم بأن عليهم أن يجاهدوا فى سبيل الله حتى ينتصر زعيمهم السياسى والدينى عبد العزيز آل سعود ، وكى يستأنف الحكومة الدينية

---

(١) راجع جزيرة العرب « لحافظ وهبه » ص ٢٧٢ — ٢٧٥ ، و « قلب جزيرة العرب » لفؤاد حمزه ص ٣٦٣ — ٣٦٤ .

الوهابية فى نجد ويعيد مجدها ، فتحكم بمبادئ الدين وتنشر الدعوة الوهابية . وبمثل هذه الروح استقبل سكان الرياض وما يحيط بها زعيمهم الإمام عبد العزيز آل سعود حينما وفد عليهم فاتحا فسهلوا له المهمة ، وامتلأت نفوسهم بشراً عند ما تغلب على حامية الرياض من جيش آل رشيد ؛ ثم ساعدوه على تحصين المدينة وتمكين نفوذه فيها ، وعلى توطيد دولته والاستيلاء على بقية البلاد النجدية تباعا .

وبذلك تمكنت الدولة السعودية الثالثة وقامت أيضا على أساس من الدين .

المرحلة الثانية في تاريخ عبد العزيز آل سعود

هـذه المرحلة نعتبرها مرحلة تأسيس ، وتمكين للنفوذ ، فبعد أن تم فتح الرياض شرع عبد العزيز يستولى على المقاطعات النجدية تباعا ؛ فاستولى أولا على المقاطعات النجدية الجنوبية ؛ ثم اتجه نحو الشمال وانتصر على خصومه فى صيف سنة ١٩٠٤ م ؛ وبعد صلح ومفاوضات مع الأتراك استطاع أن يلزمهم بسحب جنودهم من نجد فى سنة ١٩٠٦ م .

ولقد سنحت لابن سعود الفرصة بعـد ذلك ليقضى على الثورات الداخلية فى نجد التى أثارها بعض المنافسين وذوى الأطماع بين القبائل النجدية ، فأصبح فى نهاية سنة ١٩٠٩ م سيد الموقف وصاحب النفوذ فى كل نجد ، ما عدا منطقة حائل التى كانت لاتزال فى ذلك الحين مقراً لآل رشيد .

وبعد أن نجح فى إصلاح نفوس البدو وتعويدهم النظام والاستقرار بتأليف جماعة « الاخوان » تطلع إلى أن يضم إلى ملـكه فى نجد مقاطعة الأحساء ، فاستولى عليها وانتزعها من الأتراك سنة ١٩١٣ م ، وبذلك قوى نفوذه ، وازدادت هيبته .

كل هذه أحداث تمت فى المرحلة الثانية ، وسنفصلها فى الآتى :

الاستيلاء على القسم الجنوبى من نجد

استعاد عبد العزيز آل سعود الرياض عاصمة الدولة السعودية [١] ، وأخذ يحصنها ويبنى حولها السور الجديد استعداداً لصد هجمات ابن رشيد المتوقعة . ولكن ابن رشيد لم يهتم بالأمر كما ينبغى ولم يبادر بالهجوم على الرياض ، لأنه كان يستصغر شأن عبد العزيز ابن سعود ويحسب أن فى مقدوره القضاء عليه بسهولة فى أى وقت يشاء ، وكان كل همه بعد سقوط الرياض أن يستعد لحرب أمير الكويت ويعمل جهده للقضاء عليه ، فهو مركز القوة ، وهو الذى أمد عبد العزيز ابن سعود ، وأعانه فى الاستيلاء على الرياض .

شغل ابن رشيد مدة عن ابن سعود ، فأعطاه بذلك الفرصة ليتحصن ويتقوى ، ويعمل على بث نفوذه فى الجهات المحيطة بالرياض ، فشرع هذا يستولى على المقاطعات الجنوبية من نجد فاستولى على الخرج والأفلاج والحوطة

---

(١) اتخذ السعوديون الرياض عاصمة لهم من مبدأ قيام الدولة الثانية سنة ١٢٣٦هـ / ١٨٢٠م ، بعد تخريب الدرعية على يد القائد ابراهيم باشا سنة ١٢٣٣هـ / ١٨١٨م ، وهى بلد مسور يقع فى منخفض فى قلب الصحراء يحيط به كثير من الأشجار والنخيل . وقد بلغت حداً كبيراً من العمران فى عهد الأمير فيصل جد الملك عبد العزيز ، ثم وقفت فيها حركة العمران وقت أن تركها آل سعود أيام محنتهم . ولما استردها جلالة الملك عبد العزيز عادت إليها الحياة ودب فيها النشاط من جديد ، وهى الآن عاصمة نجد ومقر الملك ومسكن خلفاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه ، ويبلغ سكانها نحو ٢٥ ألف نسمة . راجع « جزيرة العرب » ص ٥٦ .

ووادى الدواسر ، وأصبح بذلك جميع القسم النجدى الذى يقع جنوب الرياض فى حوزته وتحت سيطرته .

وفى هـذه الأثناء استقدم عبد العزيز والده الشيخ عبد الرحمن بن فيصل آل سعود من الكويت ، واستقبله فى الرياض استقبالاً رائعاً ، ثم تلا ذلك مبايعة عبد الرحمن هو والوهابيون لابنه عبد العزيز بالزعامة الدينية والسياسية .

وفى ربيع الأول سنة ١٣٢٠ هـ / يونية سنة ١٩٠٢ م [١] قدم عبد العزيز ابن رشيد حاكم حائل إلى الرياض محاولا استردادها ؛ وكان ابن سعود قد علم بهذه الحركة فاستعد لها وترك والده فى المدينة مع حامية كافية ، ثم ذهب نحو الجنوب بجيش آخر مشيعا أنه ماترك الرياض وذهب إلى الجنوب إلا فراراً من وجه ابن رشيد ؛ والحقيقة أنه أراد بهذه الحركة تطويق العدو . فابن رشيد إذا اشتبك مع الشيخ عبد الرحمن فى الرياض استطاع عبد العزيز ابن سعود أن يهاجمه من الخلف ، ويجعله محصوراً بينه وبين قوات والده فى الرياض . فلما قدم ابن رشيد إلى الرياض لم يشتبك مع حاميتها ؛ بل غادرها وزحف نحو الجنوب فالتقى بالجيوش السعودية فى بلدة الدلم عاصمة مقاطعة الخرج ، وكانت الهزيمة عليه فترك الدلم ، وذهب إلى بلدة السليمية فى الجنوب ، وكان نصيبه هنا أيضاً الهزيمة ؛ ولم يسعه بعد هذا إلا ترك هذه الجهات الجنوبية لابن سعود والرحيل إلى جهات الشمال .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٦٥ .

الحروب فى جهات الشمال والاستيلاء عليها

مضت سنة ١٣٢٠ هـ وابن سعود فى الرياض يشمل سلطانه جميع الجهات الجنوبية ، ويعد العدة لاستخلاص الجهات الشمالية من نجد ، فلما كانت سنة ١٣٢١ هـ استنصر الشيخ مبارك آل الصباح بصديقه وحليفه ابن سعود ، وطلب إليه مساعدته ضد ابن رشيد الذى كان قد استعد لمهاجمة الكويت ، فذهب ابن سعود منفرداً إلى الشيخ مبارك فى الكويت ، ثم خرج منها مع جابر بن مبارك على رأس قوة كبيرة وقصدا نحو ابن رشيد الذى كان قد توجه إلى الرياض بجيشه واشتبك مع حاميتها فعلا ؛ ولكنه لم يلبث أن تركها وذهب نحو الشمال للقاء عبد العزيز ابن سعود وجيش آل الصباح ، وكان اللقاء عند بلدة شقرا عاصمة إقليم الوشم من مقاطعات نجد الشمالية ؛ فانتصر ابن سعود على خصمه وقطع عليه الطريق نحو الكويت ، ثم استولى تباعا على مقاطعات الوشم ، وسدير ، والمحمل .

وفى أواخر شهر ذى الحجة سنة ١٣٢١ هـ / مارس سنة ١٩٠٣ م عزم ابن سعود على الاستيلاء على ولاية القصيم فى الشمال ، وفصل بجيش قوى من الرياض متجها نحو عنيزة التى ترابط فيها قوات ابن رشيد ، فلما كان بالقرب منها اشتبك مع جيوش الأعداء ، وكان النصر حليفه ، فقتل الكثيرين من خصومه ، وخلص أقاربه الذين كانوا فى أسر ابن رشيد ، فعرف هؤلاء من ذلك الحين « بالعرائف » ، واقتحم عنيزة بجيوشه ، وأمر عليها من قبله آل سليم الذين

لا يزالون مخلصين له إلى الآن ، وبعد يسير تم له فتح عنيزة فى ٥ المحرم سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٢ مارس سنة ١٩٠٣ م ، وبريدة فى ١٥ ربيع الأول سنة ١٣٢٢هـ ٣٠ مايو سنة ١٩٠٣ م ، وأصبح القصيم تابعاً له (١) .

الحكومة العثمانية تتدخل وتساعد ابن رشيد ضد ابن سعود

أصبح ابن سعود بعد استيلائه على المقاطعات الشمالية صاحب الكلمة النافذة فى نجد جميعها تقريباً ، فلم يبق خارجا عن دائرة نفوذه سوى حائل وما يحيط بها من جبال شمر ، حيث يسكن آل رشيد وقبائل شمر التى ينتمون إليها فكان هذا من أسباب القلق لدى الحكومة العثمانية ، ولدى الشيخ مبارك ابن الصباح أمير الكويت أيضا .

أما الشيخ مبارك فقد خشى مزاحمة هذا الفتى القوى الجرىء ولكنه لم يظهر بالمخاصمة له ، بل أخذ يدس فى الخفاء ، ويعمل فى ظلام الليل ، ملتجئاً إلى الحيلة والوقيعة .

غير أن ابن سعود كثيراً ما كان يغضى عن أخطاء الشيخ مبارك لما كان بينهما من علاقات سابقة تكونت وتوثقت أيام إقامة ابن سعود بالكويت ، « ولأن موقفهما من أعدائهما (كان) لا يسمح لهما بدقة الحساب . ومبارك

---

(١) المرجع السابق ٣٦٦ ، و« جزيرة العرب » ص ٢٧٥ ، و« تاريخ نجد الحديث » للريحانى ص ١٢٤ .

الداهية المراوغ كان يعرف كيف يرضى صديقه أمير نجد ، كما كان يعرف كيف يزيل من نفسه كل أثر لسوء تفاهم يحدث [١] » .

وأما الحكومة العثمانية فإنها انزعجت حينما رأت هذا الفتى القوى الجرىء عبد العزيز آل سعود ينجح فى الاستيلاء على الرياض ، ثم فى بسط نفوذه على البلاد النجدية جنوبا وشمالا بكل هذه السهولة والسرعة ؛ ورأت فى ظهوره بعثا للخطر الوهابى الذى سبق أن أقلقها وأقض مضجعها وكلفها الكثير من الأموال والرجال ، كما رأت فى قوته واتساع دائرة نفوذه ضياعا لسلطانها وإضراراً بمصالحها فى الجزيرة العربية ؛ وخشيت إن هى تركت عبد العزيز آل سعود يستمر فى طريق القوة وسعة النفوذ أن يكون مثالا يحتذيه غيره من زعماء العرب ، فتسقط هيبتها ، ويخرج من يدها الكثير من أملاكها ، خصوصا وقد أخذ مركز الدولة فى بلاد العرب يتحرج ؛ فقد دخلت الكويت فى حماية الإنكليز كما سبق أن ذكرنا . وقد ابتدأت الفتنة تطل برأسها فى البصرة ، كما كان اليمنيون متذمرين من الحكم التركى ناقمين عليه حتى أنهم رفعوا علم الجهاد ضد الأتراك عند مبايعتهم للإمام يحيى بالإمامة فى يونية سنة ١٩٠٤ م .

كل هذا وغيره مما يتصل بخروجة المركز الدولى لدولة الخلافة العثمانية وبعدم استقرار الحالة الداخلية فى بلادها جعل السلطان عبد الحميد ورجال

---

(١) الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » ص ٢٧٨ .

حكومته يفكرون فى الأمر جديا . واستقر الأمر أخيرا على أن تقوم الحكومة العثمانية بحركة مزدوجة تصل من ورائها إلى أمرين (١) .

أولا — كسب عطف الشعوب الإسلامية ، وجمع المسلمين جميعا حول عرش السلطان عبد الحميد خليفة الإسلام والمسلمين ؛ فانتشر الدعاة للخليفة فى كل مكان ، ووزعت الأموال على الزعماء وأصحاب النفوذ حتى يرتبطوا دائما برباط الولاء للسلطان ؛ كما أظهر السلطان عطفا خاصا على أهل الحجاز وسكان البلاد المقدسة وأبدى عناية واضحة بأمور الحج وتسهيله للمسلمين ، فكلفت حكومته المهندس الألمانى ميسنر باشا « Meissner Pascha » بمد سكة حديد الحجاز (٢) تسهيلا لسبل الرزق لسكان الحجاز ولسبل الحج لسائر المسلمين ، وكان هناك غرض مستور وراء هذا ، وهو أن تكون هذه السكة الحديدية وسيلة سريعة لنقل الجنود عند اللزوم . وكذلك شجعت الحكومة التركية حركة الدعوة « للجامعة الإسلامية » ، واستجلب الخليفة عطف المسلمين الهنود وسكان شمال أفريقيا .

---

(١) راجع Die Auferstehung Arabiens ص ٦٨ .

(٢) تمتد هذه السكة بين دمشق والمدينة ويبلغ طولها ١٣٠٢ كيلو مترا ، ولقد ابتدأ العمل فيها سنة ١٩٠١ م ، وتمت سنة ١٩٠٨ ، ثم افتتحتها الدولة العلية رسميا بأول قطار للمدعوين إلى هذا الاحتفال وصل إلى المدينة المنورة فى شعبان سنة ١٣٢٦ هـ . / أغسطس سنة ١٩٠٨ م ، راجع « الرحلة الحجازية » للبتنونى ص ٣٠٣ الطبعة الثانية لسنة ١٣٢٩ هـ ، وراجع أيضا All-Islam ص ٢٩ — ٣٠ . ولقد عطلت هذه السكة أثناء حرب سنة ١٩١٤ ، ولا تزال معطلة إلى الآن . ولكن إصلاحها والعمل على إعادتها صالحة للعمل كان ولا يزال موضع تفكير وبحث فى المحيط العربى الإسلامى .

وثانياً — إظهار قوة الدولة وبيان أنها قادرة على تأديب المتمردين الذين يحاولون العصيان والخروج عن طاعة الخلافة ، حفظا لهيبة حكومة الخلافة فى أعين الرعية . ولهذا رأت هذه الحكومة أن تؤدب ابن سعود حتى تقضى على الخطر الآتى من ناحيته ، وحتى يكون عبرة لكل من تحدثه نفسه بالخروج على الدولة ؛ فسارعت إلى تعضيد ابن رشيد خصم ابن سعود ، وأمدته بالمال والسلاح والذخيرة ، راجية من وراء هذا أن تقضى على ابن سعود قبل أن يستفحل أمره . وهى تعلم جيداً أنه لا يقبل أن يكون من صنائعها والمنفذين لسياستها فى الجزيرة العربية ، وتخشى أن ينحاز إلى جانب السياسة الإنكليزية فيكون الخطر على نفوذها فى هذه الأنحاء حينئذ محققا .

فأمد الوالى التركى فى العراق ابن رشيد بقوة كبيرة (١) أخذت طريقها من بادية السماوة ، وانضمت إلى جيوش ابن رشيد فى القصيم فى أواخر ربيع الأول سنة ١٣٢٢ هـ / أوائل يونية سنة ١٩٠٤ م ؛ والتقت الجيوش التركية والرشيدية بجيش ابن سعود فى قرية البكيرية بالقرب من بريدة ، فكان القتال شديدا والموقعة حامية ، قتل فيها نحو ألف من الجيش السعودى ، ومثلهم من الأتراك ، وعدد كبير من جيش ابن رشيد ، وفيهم اثنان من أسرة آل رشيد وزعمائها وهم ماجد بن حمود وعبد العزيز الجبر . وبعد هذه الموقعة بقليل انتهز

---

(١) يقدر دونكان الجيش التركى بثمانية آلاف جندى نظامى «acht Batallion» ، مجهزة بستة مدافع ميدان ومعها السلاح الكافى ، وألفا صندوق من الذخيرة ، وعشرون حمل بعير من النقود الفضية ؛ راجع Die Auferstehung Arabiens ص٦٨ .

ابن سعود فرصة خروج الجيش التركى فى حملة تأديبية لبعض سكان البادية وهجم على معسكر الدولة وغنم كثيرا من السلاح والذخيرة ، فاستطاع بعد ذلك أن ينتصر على أعدائه ويستولى على البكيرية ويطاردهم إلى الخبرا ثم إلى الرس ؛ وبعد مناوشات حربية دامت أربعة أشهر استطاع ابن سعود أن ينتصر انتصارا حاسما فى موقعة الشنانة فى ١٨ رجب سنة ١٣٢٢ هـ / ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٠٤ م ، فهزم جيوش الدولة وابن رشيد هزيمة منكرة وغنم منهم الغنائم الكثيرة (١) .

الأتراك يغيرون موقفهم ويعملون للصلح

بعد الهزيمة المنكرة التى ألحقها ابن سعود بجيوش الحكومة التركية ، رأت (٢) هذه أن تعقد صلحا معه ، فقبلت الاقتراح الذى تقدم به الشيخ مبارك آل الصباح ، وبعد تمهيد من الشيخ مبارك اجتمع للمفاوضة فى الصلح نخرى باشا والى البصرة مع الإمام عبد الرحمن والد عبد العزيز آل سعود ، واقترح نخرى باشا الأمور الآتية أساساً للصلح :

---

(١) راجع «قلب جزيرة العرب» ص ٣٦٦ — ٣٦٧ .

(٢) بعد أن كثرت مشاغل الأتراك ورأوا فى انتصار ابن سعود عليهم جرحا لكرامتهم ما كان أغناهم عن التعرض له فى تلك الظروف الحرجة ، بعد هذا كانوا على استعداد لقبول توسط الشيخ مبارك بينهم وبين ابن سعود بالصلح . وكذلك ابن سعود رحب بالفكرة لأنه كان فى حاجة إلى أن يهدأ ولو قليلا حتى يمكن لنفسه فى داخلية البلاد التى استولى عليها ، وليستريح بعض الوقت من عناء القتال .

١ — اعتراف الحكومة التركية بابن سعود حاكما للبلاد النجدية التى تحت يده ، وبتبعية هذه البلاد له .

٢ — أن تكون منطقة القصيم منطقة حياد بين ابن رشيد وابن سعود .

٣ — أن يحتل الجيش التركى هذه المنطقة وأن يكون مقره فى عنيزة وبريدة .

٤ — أن يكون ابن سعود نائبا عن الدولة و « قائمقام » لها فى هذه المنطقة .

رجع الشيخ عبد الرحمن إلى نجد بعد المفاوضة ليستشير ابنه وقرابته فيما يحمل من شروط للصلح واقتراحات ، وكانت الاقتراحات الخاصة بمنطقة الحياد وبقاء جيش احتلال تركى فيها غير مقبولة عند السعوديين ؛ ولكن الدولة أرادت أن تنفذ خطتها مهما كلفها ذلك من أمر ، فأرسلت القائد أحمد فيضى باشا من العراق ؛ وصدقى باشا من المدينة على رأس قوات كبيرة ، وكلفتهما الذهاب إلى نجد ، والعمل على تنفيذ خطة الصلح المشار إليها .

اتصل فيضى باشا بآل سعود وحصل الاتفاق على أن يجتمع بالشيخ عبد الرحمن فى عنيزة لإتمام الصلح ؛ وكان ذلك على غير رغبة ابن رشيد الذى كان يريد حل المسألة بينه وبين السعوديين بالسيف بمساعدة الدولة .

ثم اجتمع فيضى باشا والشيخ عبد الرحمن وتفاوضا ؛ وكاد الأمر يتم بالصلح

على الشروط السابقة الذكر ، غير أن فيضى باشا اضطر وهو فى نهاية المفاوضات وقبل الاتفاق النهائى أن يغادر نجدا إلى المدينة ثم إلى اليمن ، تنفيذا لأمر الحكومة التركية التى أمرته بالذهاب إلى اليمن واستعادة صنعاء التى كانت قد سقطت فى يد الإمام يحيى بعد حصار شديد .

ولم يوفق صدقى باشا إلى تتميم الصلح بعد أن تركه زميله إلى اليمن ، فترك الأمر ووقف موقف المتفرج منتظراً ما سيجد من الخلاف وما سيقع من الحوادث بين ابن رشيد وابن سعود .

قتل ابن رشيد وانسحاب الأتراك من نجد

وبعد سفر فيضى باشا من نجد ، ترك ابن سعود القصيم وذهب إلى قطر على سواحل الخليج الفارسى لنجدة ابن ثانى صاحب قطر ومساعدته ضد خصومه ، فساءت الأحوال فى القصيم واختلف أهله على أنفسهم وأصبحوا شيعا وأحزابا ، غالبيتهم تريد ابن سعود حاكما عليهم ، وبعضهم يريد الدولة ، وآخرون يريدون ابن رشيد .

ولما علم ابن رشيد بخروج ابن سعود من القصيم انتهزها فرصة وزحف بجيشه نحو بريدة يريد احتلالها ، فاستنجد أهلها بابن سعود فأسرع بالعودة إليهم ، وفاجأ ابن رشيد فى مكان يقال له روضة مهنا بالقرب من بريدة ، فحمل عليه حملة شديدة حتى فرق عنه أعوانه ؛ وكانت نهاية ابن رشيد القتل ، وكان ذلك فى صفر سنة ١٣٢٤ هـ / ابريل سنة ١٩٠٦ م [1] . وتولى متعب بن عبد العزيز

---

(١) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٤١ .

إمارة حائل بعد موت أبيه ورأى أنه من الخير له أن يعقد صلحا مع ابن سعود ، فاتفق معه على أن يتنازل عن حقوقه فى ولاية القصيم وسائر بلاد نجد فى مقابل اعتراف ابن سعود له بالإمارة على حائل وأطرافها وما يحيط بها من بلاد شمر .

أما القائد صدقى باشا فإنه لم يفلح فى سياسته بعد سفر زميله فيضى باشا إلى اليمن ، وكان ذلك سببا فى أن الدولة أبدلته بسامى باشا الفاروقى الذى قدم من المدينة إلى نجد فمر بابن رشيد فى حائل ، واتفق معه على أن تكون ولاية القصيم للدولة ، ثم التقى بابن سعود فى البكيرية وأخبره برأيه فى ضم القصيم إلى الدولة فلم يقبل ابن سعود وافترقا على خصام .

وفى شوال سنة ١٣٢٤ هـ / نوفمبر سنة ١٩٠٦ م أرسل ابن سعود إنذارا إلى سامى باشا يطلب إليه فيه الرحيل عن نجد فورا ، حيث إن أهل البلاد لا يرغبون فى حكم الدولة ، ويرون وجود الجيش التركى فى بلادهم جارحا لكرامتهم ، ويخبره بأنه سيحاربه إن لم يرحل فى الحال ؛ فقرر سامى باشا الرحيل عن نجد ، وتعهد ابن سعود بترحيل جيش العراق إلى العراق ، وجيش الحجاز إلى المدينة ، وشرع كل من الفريقين فى تنفيذ ما تعهد به ؛ فأصبح ابن سعود صاحب النفوذ المطلق فى نجد جميعها ، ما عدا حائل وما يحيط بها فإنها بقيت فى يد آل رشيد إلى حين (١) . وانتهى بذلك نهائيا نفوذ الأتراك فى القصيم وسائر نجد .

---

(١) بقيت حائل فى يد آل رشيد حتى استولى عليها ابن سعود فى سنة ١٩٢١ م كما سيأتى مفصلا .

شغل آل رشيد بالخلاف بينهم فى شأن الإمارة وأخذ يقتل بعضهم بعضا ، فسنحت الفرصة لابن سعود بأن يتفرغ لتحسين شؤونه الداخلية ، وبأن يوطد دعائم نفوذه وحكمه فى بلاد نجد ، بعد أن أصبح غير منازع فيها . ولكنه لم يكد يشرع فى ذلك وينتهز فرصة انشغال آل رشيد بأنفسهم ، حتى هاجمته الأخطار من جهات متعددة ، فقامت ثورة ضده فى الجنوب من بعض قرابته الذين يطمعون فى الحكم وفيهم « العرائف » الذين سبق أن فكهم من أسر ابن رشيد ؛ وفى الشمال ثار ضده آل رشيد بالاشتراك مع قبائل مطير تحت قيادة فيصل الدويش الذى أصبح بعد ذلك من خيرة رجال ابن سعود ، ثم انقلب ضده وحاربه حتى وقع فى أسره ونال عفوه ؛ ثم واجه الخطر أخيرا ابن سعود من جهة الحجاز حيث تقدم الشريف حسين إلى نجد وأسر شقيقه سعد بن عبد الرحمن . وكانت هذه الحادثة أول الاحتكاكات بين ابن سعود والشريف حسين .

وقعت هذه الحوادث الجسام فى سنة ١٣٢٧ هـ /سنة ١٩٠٩ م [١] ووفق ابن سعود إلى حلها ، بعضها بالسيف ، وبعضها بالسياسة ، فجرد بعض القوات إلى الجنوب ، وأخرى إلى الشمال ، وتم له التغلب على الثوار وإخضاعهم بالقوة بعد أن قتل نفرا من زعماء الثورة وأسر الكثيرين ؛ ثم تدخل الشريف خالد بن لؤى زعيم واحة تَرَبَة ، وسعى فى الصلح بين ابن سعود وبين الشريف حسين ، فتم الصلح بينهما وافتدى ابن سعود أخاه سعداً من الأسر بالمال ؛ وبذلك طويت

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٢٧٦ .

صحيفة الخلاف مؤقتا بين نجد والحجاز ، وتغلب ابن سعود بحكمته وشجاعته على ما قام فى سبيله من صعاب .

تكوين جماعة « الإخوان »

بعد أن تغلب ابن سعود على الثورات ، وبعد أن عقد الصلح مؤقتا مع الشريف حسين لم يقنع هذا الرجل البعيد النظر بكل ما حصل عليه ، ولم يشغله النصر على أعدائه عن التفكير فى وسيلة يستطيع بها أن يقيم حكومة مركزية مسيطرة مطاعة من أفراد الرعية ؛ بل أراد أن يضع أساسا ثابتا لإصلاح أحوال الشعب ، وأن يعمل للقضاء على أسباب الخلاف بين البدو والحضر من سكان نجد ، وكل من الفريقين يبغض الآخر ويحتقره ولا يتورع من الاعتداء عليه .

نظر ابن سعود فوجد أن غالبية شعبه تتألف من البدو ، وهؤلاء قد تأصلت أخلاق الجاهلية فى نفوسهم ، وألفوا الفوضى وعدم القرار فى مكان ، فهم بهذه الحال لا يمكن الاعتماد عليهم فى تأسيس ملك دائم ، ولا يوثق بهم لا فى الشدة ولا فى الرخاء ، هم فى السلم عالة ، وفى الحرب أتباع من غلب ، متقلبون فى عقيدتهم ومعاشهم وصداقتهم وعدائهم . رأى ابن سعود أن يعالج نفوسهم بنشر تعاليم الدين بينهم ، وأن يحبب إليهم الاستقرار ويساعدهم على التوطن فى مكان ، فعمد فى سنة ١٩١٠ م إلى القيام بحملة إصلاحية قوامها العلماء الدينيون الذين انبثوا بإرشاده وتوجيهه فى سائر أنحاء نجد بين البدو

وأخذوا يدعونهم إلى ترك ماهم فيه ، ويطلبون إليهم القيام بالواجب الدينى نحو الخالق ونحو إخوانهم من بنى الإنسان ، ويحببون إليهم العمل والقرار فى مكان .

وبعد جهد صادق مشكور أفلح الدعاة فى دعوتهم ، وأخذ البدو يسكنون فى القرى التى بنيت لهم وسميت بالهِجَر ، وكانت أول هِجْرَة بنيت هجرة الأرطاوية ، بنيت على الطريق بين الزلفى والكويت سنة ١٣٣٠هـ/سنة ١٩١٢ م وسكنها فيصل الدويش وجماعته من بنى مطير ، وأصبحت فى بضع سنوات مدينة عامرة تحوى بين جدرانها نحو عشرين ألفا من السكان ، ثم تتابع بناء الهجر حتى أصبحت تزيد عن المائة (١) بمساعدة ابن سعود . وكان البناء بسيطا والتكاليف قليلة ؛ تحفر البئر ، ويبنى المسجد الذى يعتبر منتدى القرية ومدرستها ، وتبنى البيوت بسرعة وباقل التكاليف .

فانتقل البدو بهذا من حياة الجاهليه والفوضى إلى حياة جديدة ، وألف الله بين قلوبهم بفضل الدين فأصبحوا بنعمته إخوانا ، ولهذا تسموا بالإخوان ؛

---

(١) يقدر الشيخ وهبة فى «جزيرة العرب» ص ٣١١ عدد الهجر « بنحو ستين هجرة » ؛ ويقدرها الريحانى فى « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٣٦ ، ص ٤١٢ — ٤١٤ بنحو السبعين . ولكن فؤاد حمزة فى «قلب جزيرة العرب» ص ٣٧٥ يقرر أن هذا التقدير أقل من الواقع بكثير « فقد ورد فى كشف الهجر التى حضر مندوبوها اجتماع الجمعية العمومية التى عقدت فى الرياض فى جمادى الأولى عام ١٣٤٧ هـ ، اسم ١٢٢ هجرة »

كما سموا قراهم التى استقروا فيها هجرا لأنهم هاجروا باعتناقهم لمبادىء الإسلام الصحيحة وسكناهم فيها من الفوضى إلى النظام ، ومن حال تشبه الجاهلية الأولى إلى حال الإسلام . وكانت هجرتهم إلى هذه القرى فى مبدأ الأمر دينية محضة وعلى صورة مبالغ فيها ؛ فلقد باعوا إبلهم ، وشرعوا يتفرغون لدراسة الدين فى المساجد حتى أصبحت غاصة بهم . فأخذ العلماء النجديون بأمر ابن سعود يكافحون هذا التطرف البعيد عن الدين وتعاليمه ، ويصدرون الفتاوى الشرعية بضرورة العمل والكسب من التجارة والزراعة مبينين أن هذا لا يتنافى مع العمل للآخرة ، ولا مع أحكام الدين الذى من تعاليمه « إعْمَلْ لِدُنْيَاكَ كَأَنَّكَ تَعِيشُ أَبَدًا ، وَاعْمَلْ لِآخِرَتِكَ كَأَنَّكَ تَمُوتُ غَدًا » .

وبهذه الطريقة الناجحة وبعبقرية ابن سعود الفذة أفلحت الدعوة ، واستطاع جلالته أن يغير من نفسية البدو وأن يصلح من حالهم ، فأصبحوا جيش ابن سعود الذى لايقهر ، وعدته التى يعتمد عليها فى الملمات والخطوب ؛ وأصبحت الهجر معسكرات حربية منتشرة فى جميع أنحاء البادية ، يسكنها جيش قوى قد أخذ نفسه بالطاعة التى لاحد لها لقائده وزعيمه ؛ كما أصبحت هذه الهجر مدارس يتعلمون فيها الدين والخلق وترك الخرافات والبدع ، ويحيون فيها حياة الطهارة والفضيلة والإيمان ، ومستعمرات زراعية ومناطق للعمل موزعة فى أنحاء نجد ؛ فغير ابن سعود من طبيعة الصحراء بمثل ماغير من طبائع السكان . وفوق هذا فقد كانت حركة الإخوان الخطوة الأولى فى طريق العمران والحياة المدنية الدئمة ، وحياة الدولة الجديدة التى أسسها ابن سعود .


مقاطعة الأحساء
البصره
الكويت
المنطقه
المحايده
ايران
بلاد
الفارسي
الخليج
القطيف
جزائر البحرين
العقير
الهفوف
نجد
الرياض

الاستيلاء على الأحساء

كانت مقاطعة الأحساء الواقعة جنوب الكويت وشمال قطر على الخليج الفارسى تابعة لآل سعود [١] ، فاستولى عليها الأتراك سنة ١٨٧١ م فى أواخر العصر الثانى للدولة السعودية أيام الاضطراب الداخلى والخلاف بين أبناء فيصل ، وأصبحت من ذلك الحين تابعة لولاية البصرة . فلما استعاد عبد العزيز ابن سعود الرياض ، واستولى على المقاطعات النجدية فى الجنوب والشمال ، وتم الصلح بينه وبين الأتراك ، وتوطد مركزه فى داخل نجد ، أخذ يتطلع للاستيلاء على الأحساء وضمها إلى ملكه . وكانت خطته التى رسمها لنفسه بعد نجاحه فى فتح الرياض أن يستولى على كل مايمكنه الاستيلاء عليه من أملاك الدولة فى الجزيرة ؛ وفى سنة ١٩١٣ م سنحت الفرصة وشغل الأتراك بالحروب البلقانية ، واجتمع لديه كثير من الأسباب التى جعلته ينتهز الفرصة السانحة ويضم الأحساء إلى ملكه .

---

(١) دخلت الأحساء فى ملك السعوديين فى العصر الأول للدولة ، وفى عهد عبد العزيز ابن محمد بن سعود على يد قائده وولده سعود الكبير سنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م . وبعد هدم الدرعية والقضاء على الدولة الأولى سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨م استولى المصريون على الأحساء فأصبحت تابعة لدولة الخلافة ،وظلت كذلك حتى استردها فيصل بن تركى فى عهد والده وفى العصر الثانى للدولة السعودية ؛ ثم خرجت من يد السعوديين مرة أخرى وقت الخلاف بين أبناء فيصل ، فاستولى عليها مدحت باشا وألحقها بولاية البصرة .

راجع « جزيرة العرب » ص٨٣ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٠ ، ٣٣٦ .

وهذه الأسباب المشار إليها هى :

١ ـ كانت العلاقات بين الأتراك وبين ابن سعود قد توترت ، وكانت العداوات قد بلغت أشدها ؛ « فقد حرضوا عليه الشريف حسين ، وابن رشيد وابن السعدون ، واستغووا كذلك عشيرة من عشائره الكبرى هى مطير ، ناهيك بالعجمان فى الأحساء ، وبحرب فى أطراف الحجاز » [١] . فمن المعقول ، وقد أصبحت العلاقات بين الأتراك وبين ابن سعود على هذه الحال ، أن يجازيهم على موقفهم هذا منه ، وأن يثبت لهم قوته وخطره باستيلائه على الأحساء .

٢ ـ انحصار ابن سعود فى قلب الجزيرة ، وحاجته للمنفذ الذى يصرف منه تجارة نجد ، وخاصة بعد أن ضيق الشريف حسين على النجديين ، وسد فى وجههم طريق الحجاز ؛ فباستيلائه على الأحساء يجد هذا المنفذ ، ويسترد جزءا من أملاكهم القديمة .

٣ ـ كانت الأحساء قاعدة الأتراك فى الأعمال الحربية والسياسية بالجزيرة ، وكثيراً ماصدرت منها المساعدات لابن رشيد فى حروبه ضد ابن سعود ، فجدير بهذا إذاً أن ينتهز الفرصة ويستولى على هذه القاعدة المهمة .

٤ ـ كان الثوار من قبائل العجمان الضاربة على حدود الأحساء كثيراً مايعتدون على القوافل النجدية التجارية الذاهبة إلى الكويت أو القادمة منها ،

---

(١) الريحانى ص ١٨٤ من « تاريخ نجد الحديث » .

ثم يفرون إلى الأحساء ، فواجب ابن سعود أن يستولى على الأحساء ؛ حتى يسد على هؤلاء سبل الإجرام ويؤمن طريق التجارة لبلاده .

اجتمعت هـذه الأسباب ، فجعلت ابن سعود يعد العدة لفتح الأحساء ؛ ففى ربيع الثانى سنة ١٣٣١ هـ / مارس سنة ١٩١٣ م تحرك بجيشه البالغ نحو ستمائة مقاتل من الرياض متجهاً نحو الشرق وهو لايعلم أحداً بقصده ولا إلى أين يريد . ولما قارب الحدود النجدية من جهة الجنوب الشرقى قام بتأديب بعض المذنبين من بنى مرة ؛ ثم سار بالجيش حتى ماء الخفس بالقرب من حـدود الأحساء ، وأمر الجيش بالتوقف هناك . وبعـد ذلك ذهب هو فى جماعة من رجاله إلى الأحساء مظهراً أنه يريد أن يمتار ويشترى الأرزاق ؛ وهو لايريد فى الواقع إلا أن يدرس المواقع ، ويرى الأحوال فى الأحساء بنفسه ، حتى يمكنه أن يضع خطة يستطيع بها الاستيلاء على هذه الأنحاء بسهوله . وبعد أن تم الغرض وشاهد المواقع وقدر القوات التركية هناك عاد إلى ماء الخفس ، ثم إلى الرياض مبالغة فى التعمية . وفى ليلة ٥ جمادى الأولى سنة ١٣٣١ هـ / ١٣ ابريل سـنة ١٩١٣ م كان ابن سعود وجيشه يحيطون بأسوار قلعـة الـكوت (١)

---

(١) هـذه القلعة بناها سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود سـنة ١٢٠٦ هـ / ١٧٩١ م ، وقت أن فتح مدينة الهفوف وانتصر على صاحبها ابن عريعر .

راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٣٠ .

ويذكر الشيخ وهبه فى « جزيرة العرب » هامش ص ٨٠ أن كلمة « الـكوت » كلمة برتغالية بمعنى القلعة وأنها من الـكلمات البرتغالية التى كثر استعمالها فى هذه المناطق =

واستولى عليها بسهولة ؛ ثم قبض على أفراد الحامية التركية ورحلهم ، ووضع يده على الهفوف والقطيف والعقير وسائر أنحاء الأحساء (١) .

تم فتح الأحساء ، وفك عبد العزيز ابن سعود الحصار الذى كان يحيط به فوجد منفذاً إلى البحر ، واتصل مباشرة بالسياسة الانكليزية ؛ وأصبح بإخضاع الأحساء لحكمه يشترك اشتراكا فعليا فى توجيه السياسة فى دائرة الخليج الفارسى ؛ وفوق هذا كله فقد حصل ابن سعود بفتح الأحساء على أول مورد منظم للدولة بواسطة الرسوم الجمركية ، وابتدأ عهداً جديداً فى القوة والحكم .

أما الأتراك فقد كان موقفهم بعد ضياع الأحساء من يدهم موقفاً عجباً غير منتظر ؛ فبدل أن يعملوا على طرد ابن سعود من هذه الولاية ، ويحاربوه حتى

= بعد دخول البرتغاليين خليج فارس واستيلائهم على بعض المناطق هناك . ويقول الشيخ وهبه أيضاً فى نفس الصحيفة إن ارتفاع سور الكوت يبلغ ٢٤ قدما ، وإن إبراهيم باشا بنى عليه أبراجا لحماية البلد بعد استيلائه على هذه الجهات .

(١) كانت الحامية التركية التى فى قلعة الكوت بالهفوف تقدر بألف ومائتين من الجنود ؛ ولكن ابن سعود فاجأهم ، وتسلق رجاله السور بواسطة جذوع النخل التى حملوها معهم لهذا الغرض . ولما دخل هو ورجاله المدينة ذهبت فرقه الثلاث إلى الأماكن التى عينها لها ؛ ثم أمر أحد الجنود بأن يصعد إلى السور ويعدو عليه منادياً « الملك لله ثم لابن سعود ، من أراد العافية فليلزم مكانه » فاستبشر الناس بذلك وسلموا عليه بالطاعة . أما الحامية فلم يسعها بعد مناوشات غير مجدية إلا أن تستسلم للفاتح . راجع « تاريخ نجد الحديث » ص١٨٧ — ١٨٨ ؛ و Die Auferstehung Arabiens ص١٠٦ — ١٠٧ .

ينتزعوها من يده ، بادروا إلى الاعتراف به حاكما لنجد ، وعينوه « متصرفاً » من قبلهم على الأحساء ، ومنحوه ألقاب الشرف ، بعد مفاوضات جرت بينه وبين الوالى التركى فى البصرة . والباعث الذى جعل الحكومة التركية تقف هذا الموقف هو أنها كانت عاجزة عملياً عن حرب ابن سعود فى ذلك الوقت الذى خرجت فيه منهوكة القوى من الحروب البلقانية ؛ ثم إنها أرادت أن تستغل الموقف لمصلحتها على أى وجه ، فرأت أن تكتسب عطف ابن سعود وولاءه ، وقد برهن على أنه رجل قوى ؛ فبدل أن تخاصمه على غير طائل ، وتعطى بذلك الانكليز فرصة ليضموه إلى صفوفهم عمدت إلى الاعتراف به حاكما لنجد ، ثم عينته نائباً عنها فى الأحساء الضائعة كما سبق أن ذكرنا (١) . وفى هذا اعتراف عملى بضم الأحساء إليه ، لأنه أصبح يدير الحكم فى هذه المقاطعة ، ويتصرف فى أمورها على أنها جزء من أملاكه ، وكما تقتضى مصلحته .

موقف ابن سعود بعد فتح الأحساء

تغير موقف ابن سعود بفتح الأحساء كما ذكرنا ، فتوطد مركزه فى داخل بلاده ، وازداد هيبة فى أعين البدو وأمراء العرب بانتصاره على الدولة ، واعترافها

---

(١) كان تصديق الحكومة العثمانية على الاتفاق الذى تم بين ابن سعود بعد فتحه للأحساء وبين وفدها المؤلف برئاسة السيد طالب النقيب فى الأيام السابقة لبدأ الحرب العظمى سنة ١٩١٤م . ولذلك فقد حالت الحرب دون تنفيذ هذا الاتفاق تنفيذاً شاملا راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٣ .

به على وجه يحفظ كرامته . واستطاع الانكليز أن يتصلوا به مباشرة ، وأن يدخلوا معه فى مفاوضات لتسوية العلاقات بينهم وبينه .

ولكن ابن سعود على الرغم من انتصاره وتوطد مركزه أصبح بعد ضم الأحساء فى مركز دقيق ، فلقد غدا فى ملتقى التيارات السياسية المختلفة ، وكل منها يدفعه بقوة وعنف إلى اتجاه معاكس لاتجاه الآخر . فهذه انكلترة القوية صاحبة النفوذ فى الخليج الفارسى أصبحت جاراً له من جهة الشرق فى الخليج ، ومن جهة الشمال الشرقى فى إمارة الكويت المشمولة برعايتها والخاضعة لنفوذها ؛ وهى تطلب إليه أن يتعاقد معها وينضم إليها فى سياستها ضد الأتراك . وهذه تركيا تتودد إليه فى الظاهر ، وتسوى علاقاتها معه فتقف منه موقفها المعروف بعد أن انتزع من يدها ولاية الأحساء ؛ ثم هى لاتزال راضية عن أعمال خصوم ابن سعود العدائية ، فهى تشجع جاره من جهة الشمال وخصمه ابن رشيد وتمده بالمال والسلاح ؛ كما أنها تنظر بعين الرضى إلى مايقوم به جاره من جهة الغرب الشريف حسين من محاولات يبغى بها التوسع فى نجد .

ولم تلبث الحرب الكبرى الأولى أن قامت ، فتحتم على ابن سعود أن يختار لنفسه ، وأن يحدد موقفه ؛ فحاول فى المبدأ أن يؤلف جبهة عربية تعمل لخير العرب ولصالح الوطن المشترك ، وسعى لدى أمراء العرب ليتحدوا ويعملوا يداً واحدة فى تلك الظروف العصيبة ؛ ولما لم يجد أذناً سميعة لندائه صمم على أن

يعمل منفرداً متوخياً فى ذلك مصالحه الخاصة ، وساعياً وراء الخير لبلاده (١) .

تقدمت إليه انكلترة ـ كما قلنا ـ تطلب إليه أن ينضم إلى صفوفها وتمنيه المساعدة ، فأرسلت إليه فى مبدأ الحرب المستر شكسبير قنصلها العام فى الخليج الفارسى ، وكلفته أن يطلب منه الدخول مع الانكليز فى حرب الأتراك ، وأن يحرضه على حرب ابن رشيد الموالى للأتراك ، ويعده المساعدة بالمال والسلاح .

فرأى ابن سعود أن يقف فى تلك الحرب موقف الحياد المشبع بروح الود نحو الانكليز ، فيكتسب بذلك عطفهم ومساعدتهم المالية والحربية ضد خصمه ابن رشيد ، ويحتفظ بقواه فى داخل بلاده ليستخدمها عند سنوح الفرصة لحسابه الخاص . وقبل الانكليز منه ذلك ، وكانت النتيجة أيضاً فى صالحهم ، فقد أمنوا جانبه أثناء الحرب ، وأخرجوه من صفوف الأتراك أعدائهم .

اتفق الانكليز معه على أن يقف موقف الحياد ، ودفعوا له شهريا خمسة

---

(١) كتب ابن سعود إلى الشريف حسين ، وابن رشيد ، وابن الصباح يقترح عليهم الاجتماع معه للتفاهم على الخطة التى ينبغى اتباعها ويقول لهم « علنا نتفق فننقذ العرب من أهوال الحرب ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » . فكان موقف ابن رشيد موقفاً واضحاً حيث كتب بالجواب الصريح وقال « إنى من رجال الدولة فأحارب إذا حاربت وأصالح إذا صالحت » . أما الشريف حسين والشيخ مبارك آل الصباح فقد كان موقفهما مشوبا بالالتواء وعدم الصراحة . وترتب على هذا كله أن ذهبت دعوة الاتحاد والتفاهم التى بعث بها ابن السعود لأمراء العرب أدراج الرياح .

المرجع السابق ص ١٩٦ — ١٩٧ ؛ و « جزيرة العرب » ص٢٧٦ .

آلاف من الجنيهات ثمناً لهذا الحياد الذى كان فى صالحهم كما بينا ؛ ثم أخذوا يحرضونه على حرب ابن رشيد هذا الخصم المشترك ، فهو يعادى ابن سعود صديقهم ، ويوالى الأتراك خصومهم [١] .

موقعة جراب وثورة العجمان

وحينما رأى الأتراك أن المستر شكسبير القنصل الانكليزى قد وصل إلى بلاط ابن سعود ، وأن ابن سعود يسمع لنصحه ويفاوضه ساءهم هذا ، فأمدوا ابن رشيد بالسلاح والمال ، وجعلوه يتحرك بجيشه لحرب ابن سعود ، فلم يكن من ابن سعود إلا أنه استعد للقاء العدو ، والتقى الجيشان بجراب فى الجهة الشمالية الشرقية من نجد ، وكان ذلك فى ربيع الأول سنة ١٣٣٣ هـ / يناير سنة ١٩١٥ م [٢] . وقعت المعركة ولكنها لم تكن فاصلة ، فلقد أصيب كل من الفريقين المتحاربين بالخسائر الفادحة ، وقتل المستر شكسبير ، وقد كان

---

(١) يقول الريحانى : « الحقيقة التاريخية هى أن ابن سعود أقام فى البدء (بدء الحرب) على الحياد ، فلم يحارب الحسين كما أراد الترك ، ولم يشترك فى محاربة الترك بالعراق كما أراد الانكليز ، ولامنع رسل الدولة من المرور بنجد وهم حاملون المال إلى إخوانهم الأتراك فى اليمن » . راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٨ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٦ .

(٢) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٩ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٦ .

يحارب فى صفوف ابن سعود ويدير أثناء المعركة المدفع الوحيد الذى يملكه (١) ؛ وذهب كلا الفريقين بعد الموقعة بمن بقى من جنده إلى حيث أتى .

انتهزت قبائل العجمان الضاربة بين نجد والأحساء فرصة خروج ابن سعود من هـــذه الموقعة منهزما وثارت ضده . وكان العجمان يبغون بثورتهم على ابن سعود وخروجهم عليه التحرر من حكمه ، والعودة إلى حالتهم الهمجية الأولى التى قد ألفوها ولا يطيقون غيرها ؛ وقد كان ابن سـعود قبيل موقعة الجراب قد أدبهم ونال منهم بعد أن اعتدوا على ابن الصباح أمير الـكويت وعلى أهل الـكويت بنهب إبل لهم .

ثار هؤلاء العجمان لهذه الأسباب ، وبتحريض من بعض أقرباء ابن سعود المنافسين له والطامعين فى الملك ؛ فاشـتد خطرهم ، وحاصروا الهفوف عاصمة الأحساء مدة ؛ ثم فـكوا حصارها ، وأخذوا يعيثون فى الأرض فسادا .

ولما وصلت أخبار الثورة إلى ابن سعود ، وهو فى طريق عودته من الموقعة ، كتب إلى والده بالرياض ، وإلى الشيخ مبارك ابن الصباح بالـكويت يطلب منهم المعونة والمدد لحرب الثوار ؛ فأرسل إليه الشيخ مبارك ابنه سالماً فى بعض

---

(١) راجع Geschichteder islamischenVölker لبروكلمان ص ٤٣٠ . ويقول الريحانى إن شـكسبير رجا ابن سعود أن يكون أحد جنوده بالمعركة ، فقبل ابن سعود بعد إلحاح . « تاريخ نجد الحديث » ص ١٩٨ — ٢٠٠ .

الرجال (١) ، ووصلته الأمداد من والده ؛ فجمع قواه واشتبك مع العجمان فى عدة حروب ، حتى استطاع بعد عناء وخسارات كبيرة ، وبعد أن جرح جراحات بالغة أن يشتت شملهم ، وأن يلجئهم إلى الهرب والفرار من وجهه ؛ ولكنه لم يستطع القضاء على ثورتهم والتنكيل بهم إلا فى السنة التالية سنة ١٩١٦ م .

وفى أثناء مطاردة ابن سعود للثوار قدم السير برسى كوكس القنصل البريطانى الجديد وخلف المستر شكسبير إلى القطيف ، وأرسل إلى ابن سعود يطلب مقابلته للحديث معه فى أمور هامة ؛ فذهب إليه والتقيا بجزيرة دارين تجاه القطيف ، واتفقا بعد مفاوضة على معاهدة القطيف التى وقعت فى صفر سنة ١٣٣٤ هـ/ ديسمبر سنة ١٩١٥ م ، والتى دخل بمقتضاها ابن سعود فى الحماية الإنجليزية وسلك بها السبيل التى سلكها قبله غيره من أمراء العرب .

معاهدة القطيف (٢)

تشتمل هذه المعاهدة على سبع مواد ، المادة الأولى منها تنص على اعتراف

---

(١) كان عدد الرجال الذين أمد بهم الشيخ مبارك ابن سعود لايتجاوز ثلثمائة وخمسين رجلا ، ولم يكن الشيخ مبارك مخلصا فى هذه المعونة ، فقد ظهر أنه أوصى ابنه وكتب إليه بالتواطؤ مع الثوار وخيانة ابن سعود .المرجع السابق ص ٢٠٤ — ٢٠٥ .

(٢) راجع نص المعاهدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب :

الحكومة البريطانية بابن سعود ، وخلفائه من بعده حكاما لنجد والأحساء وتوابعها . والثانية تنص على حماية الإنكليز له من الاعتداء الخارجى . والثالثة والرابعة تقيدانه فى معاملاته مع الدول الأخرى وتحرمان عليه أن يتعامل أو يعقد الصلات مع أى دولة أخرى إلا بمشورة الإنكليز ورضائهم . والخامسة يتعهد فيها ابن سعود بحرية المرور فى بلاده ، وبالحماية للرعايا الإنكليز المسلمين أثناء ذهابهم إلى الحج وعودتهم منه . وفى السادسة يتعهد بعدم التعدى على الإمارات العربية الواقعة على الخليج الفارسى ، والمحمية من الإنكليز . وفى المادة السابعة يتفق الطرفان على عقد معاهدة أخرى أكثر تفصيلا فى المستقبل .

وبقيت هذه المعاهدة أساساً للمعاملة بين الطرفين حتى تغيرت الأحوال وألغيت سنة ١٩٢٧ م ، وأبدلت بمعاهدة جدة التى أثبتت استقلال ابن سعود ، والتى سنتكلم عنها فيما بعد .

المرحلة الثالثة فى تاريخ عبد العزيز آل سعود

أصبح ابن سعود بمعاهدة القطيف متعاهداً مع الإنكليز ، داخلا فى حمايتهم ، ملزما برعاية مصالحهم وعدم الخروج عليهم ؛ ولكنه ـ كما قلنا ـ قد حدد موقفه فى الحرب الكبرى الأولى وصمم على أن يقف موقف الحياد ؛ وقبل الإنكليز منه ذلك ورضوا به . أما الأتراك فقد توددوا إلى ابن سعود عقب استيلائه على الأحساء بما رأينا ؛ ثم شرعوا يعرضون عليه إمارة مكة [1] بعد أن رأوا الشريف حسين يتحرك نحو الثورة عليهم والانفصال عنهم ، وبعد أن شعروا بمفاوضته مع الإنكليز ، يبغون بذلك أن يجذبوا أمير نجد نحو صفوفهم . ولكنه لم يقبل هذا العرض ، لأنه يعرف أنه سيغضب بذلك الإنكليز ، وليس من صالحه أن يخاصمهم ؛ كما أنه يعرف أن الأتراك سوف لايستطيعون فى محنتهم تنفيذ ما وعدوا به . كل هذه العوامل جعلته يحدد موقفه على الوجه السابق ؛ فدخل بذلك ابن سعود فى مرحلة جديدة فى تاريخ حياته ، وتاريخ دولته ، كانت فى مبدئها مرحلة استجمام وانتظار حتى انتهت الحرب فى سنة ١٩١٨ م ؛ ثم تحولت إلى مرحلة تمكين النفوذ وبسط السلطان على المناطق المجاورة لحماية الأملاك السعودية ، وتوسيع رقعتها ، ولاتقاء خطر المنافسين والخصوم من زعماء الجزيرة العربية .

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٢٣٢ .

وجه ابن سعود كل همه إذاً إلى تسوية حسابه مع جيرانه ابن رشيد والشريف حسين ؛ ولقد أخذت علاقاته بهما تتطور أثناء الحرب وبعده حتى استقرت أخيراً ، وتمت له الغلبة عليهما واستولى على حائل سنة ١٩٢١ م وعلى جميع بلاد الحجاز فى نهاية سنة ١٩٢٥ ؛ فأصبح زعيم العرب وملك نجد والحجاز والملحقات .

وإليك تفصيل الحوادث والحروب التى وقعت بينه وبين هؤلاء بعد معاهدة القطيف إلى نهاية هذه المرحلة .

ابن سعود وابن رشيد

وقف آل رشيد فى الحرب الكبرى الأولى إلى جانب الأتراك ، فأمدهم هؤلاء بالمال والسلاح ، وأعانوهم ضد ابن سعود حليف الإنكليز . ورأى الإنكليز من ناحيتهم أن يعملوا للقضاء على آل رشيد أصدقاء أعدائهم الأتراك ، فأخذوا يحرضون ابن سعود لقتالهم ، ويمدونه بالمساعدات حتى يقوم بالمهمة ويقضى عليهم ؛ وهو أمر محبب إلى نفسه ، فهو يتوق إلى التفرد بحكم نجد ، ويريد سحق العدو الرابض بحائل .

مضت سنة ١٩١٦ م بعد عقد المعاهدة وابن سعود فى الرياض ، ولم يقم بحروب مع آل رشيد ؛ وفى أواخر سنة ١٩١٧ م استبطأه الإنكليز وطلبوا إليه على لسان وفدهم التعجيل بحرب هؤلاء ، فوعد ابن سعود بتلبية هذه

الرغبة ؛ وفى سنة ١٩١٨ حضر المستر فلبى أحد الموظفين الإنجليز بالبصرة (١) إلى البلاط السعودى بالرياض موفداً من قبل حكومته يطلب الوفاء بالوعد فى حرب آل رشيد ؛ فتحرك ابن سعود بجيشه نحو حائل بعد فشل المحاولات التى قام بها مشائخ شمر فى سبيل الصلح والتوفيق بين ابن سعود وابن رشيد ، وبعد أن رفض هذا الأخير شروط الصلح التى اشترطها ابن سعود ، والتى كانت تحد من سلطان آل رشيد .

وصل ابن سعود إلى جبال شمر بالقرب من حائل ، وحارب ابن رشيد وانتصر عليه ؛ ثم عاد إلى الرياض بعد أن وجد أن حصار حائل سوف لايفيده شيئا . وبعد ذلك وردت الأخبار بانتصار انكلترا وحلفائها فى الحرب ، وبوقف القتال ، وعقد الهدنة ، والشروع فى مفاوضات الصلح ؛ فتوقفت حركات القتال أيضاً فى جزيرة العرب .

ثم كانت صلات ابن سعود بآل رشيد بعد انتهاء الحرب الكبرى محدودة ، ومنظمة بواسطة معاهدات الصلح التى عقدها معهم ، ولكن آل رشيد كانوا على خلاف شديد فيما بينهم ، وكانت حكومتهم تتغير وتتبدل فى لحظات قصيرة

---

(١) اعتنق المستر فلبى فيما بعد الإسلام ، وسمى نفسه الحاج عبد الله فلبى . ولقد حاز ثقة صاحب الجلالة ابن سعود ؛ وهويتوسط لديه وله فى كثير من الأعمال التجارية والسياسية ويقضى أغلب أيامه فى بلاطه . ويتشكك بعض الناس فى اسلام هذا الرجل وإخلاصه للعرب ، راجع ص ٥١ من كتاب « جولة فى ربوع العالم الإسلامى » لثابت .

وكثيراً ما كان يتحكم فى أمرهم العبيد والنساء فى قصر آل رشيد . وكانت كل حكومة تتجدد بحاجة إلى الاتصال بابن سعود ، وتسوية علاقاتها معه ، فخشى ابن سعود عاقبة هذا الاضطراب فى حائل ، واصبح يفكر فى علاج هذه الحال ، وهل علاجها يكون إلا بالسيف والقضاء على حكومة آل رشيد وضم أملاكهم إليه ؟ !

اجتمعت الأسباب الداعية للقضاء على آل رشيد لدى ابن سعود ، فلقد أخذت العلاقات بينه وبين الشريف حسين تسوء ، وأخذ الشريف حسين على الرغم مما كان بينه وبين آل رشيد من عداوة أثناء الحرب الكبرى يتودد إليهم ويجيب رغبتهم فيساعدهم بالمال والسلاح ليثوروا على ابن سعود ويحاربوه ، ونجده يلح عليهم فعلا فى سنة ١٩٢٠ م فى مطالبتهم بحرب السعوديين (١) ؛ وفوق هذا فلقد أخذ آل رشيد يسعون من ناحيتهم فى تحسين علاقتهم بالإنكليز فى العراق ، ويعملون لعقد صلح معهم ، وهذا مالا ينظر إليه ابن سعود بعين الرضا والاطمئنان ، ثم أخذوا أيضاً يعملون للاتفاق مع آل الصباح أمراء الكويت ضد نجد . واخيراً حدث ماانضم إلى هذه الأسباب فقواها وجعل ابن سعود يعجل بضربته القاضية ، وذلك أن الحكومة الإنكليزية رأت فى سنة ١٩٢١ م إرضاءاً للشريف حسين وأبنائه ، وتقريراً لسياستها فى الشرق العربى ، رأت أن تنشىء مملكة العراق وإمارة شرق الأردن ، وأن تجعل

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٠ — ٣٨١ ؛
Die Auferstehung Arabiens ، ص ١٥٤ .

الأمير فيصل ابن الشريف حسين ملكا فى الأولى ، وأخاه الأمير عبد الله أميراً فى الثانية. فحضر المستر تشرشل رئيس وزراء بريطانيا الحالى ، ووزير المستعمرات فى الحكومة الإنكليزية إذ ذاك من لندن ،وعقد « مؤتمر الشرق الأدنى » بالقاهرة والقدس فى شهرى مارس وأبريل من سنة ١٩٢١ م ، وقرر هذا المؤتمر قيام المملكة العراقية ، وإمارة شرق الأردن ، وإسنادها إلى أبناء الشريف حسين كما ذكرنا (١) ، وأصبح ابن سعود محاطا بالأشراف من جهات عدة ، وله معهم حدود مشتركة فى العراق ، وشرق الأردن ، والحجاز ، فرأى نفسه مضطراً للقيام بحركة سريعة يستولى بها على حائل ويقضى على آل رشيد ، حتى يستطيع التفرغ لمواجهة أعدائه الأشراف الأقوياء الذين أصبحوا يطوقونه ويحيطون به من ثلاث جهات .

سقوط حائل والقضاء على آل رشيد

جهز ابن سعود جيشاً قوياً (٢) وجعله فرقتين ، عهد بقيادة إحداهما إلى أخيه وشريكه فى فتح الرياض محمد بن عبد الرحمن آل سعود ، وبقيادة الأخرى إلى ابنه وولى عهده الآن الأمير سعود ؛ ثم أمر أخاه بالذهاب إلى حائل رأساً

---

(١) راجع «قلب جزير العرب » ص ٣٨٣ — ٣٨٤ ؛
Die Auferstehung Arabiens ، ص ١٦٣ .

(٢) يقدر الريحانى هذا الجيش بعشرة آلاف مقاتل ؛ راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٥٠ .

وحصارها ، وابنه بالذهاب إلى حيث تسكن قبائل شمر فى المكان المعروف بجبال شمر شمال حائل ومهاجمة هذه القبائل وتشتيت شملها ، وكلفه أن يتوجه إلى حائل بعد القيام بمهمته ويشارك فى حصارها حتى تسقط فى يد الجيش السعودى .

ذهب الأمير محمد إلى حائل وحاصرها ، وبعد مدة انضم إليه الأمير سعود بعد القيام بمهمته السابقة الذكر ؛ ولكنهما لم يستطيعا تطويق حائل من جميع الجهات ولا تضييق الحصار عليها مع المقاومة الباسلة التى أبداها أهلها . وعلى الرغم من وقوع الخلاف بين آل رشيد فى هذا الوقت الحرج ، ومن فرار الأمير عبد الله بن متعب أمير حائل إلى معسكر الأمير سعود بن عبدالعزيز ، استطاع محمد بن طلال الذى خلف الأمير الفار على المدينة أن يواصل الدفاع عنها ويصمد فى وجهه المغير مدة طويلة ، حتى استبطأ ابن سعود جيشه فى القيام بالمهمة التى عهد بها إليه ، ورأى أن يقوم بنفسه على رأس جيش آخر [1] فوصل إلى أبواب حائل فى أوائل المحرم سنة ١٣٤٠ هـ / سبتمبر سنة ١٩٢١ م . ولما رأى ابن طلال أنه أصبح لايستطيع مقاومة كل هذه الجيوش السعودية التى تجمعت حول حائل شرع يفاوض ابن سعود ، وعرض عليه تسليم المدينة مشترطا لذلك أن يبقيه أميراً لها ؛ ولكن ابن سعود لم يقبل إلا أن تسلم المدينة

---

(١) كان عدد هذا الجيش الثانى يقدر أيضا بعشرة آلاف مقاتل ، ومعهم بضعة مدافع ، غير رجال مطير الذين كانوا قد وصلوا إلى أبواب حائل تحت قيادة فيصل الدويش . المرجع السابق ص ٢٥١ — ٢٥٢ .

بلا قيد ولا شرط ، وأخذ يشدد الحصار عليها ، ويستولى على حصونها تباعا حتى سقطت فى يده عنوة فى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ هـ / ٢ نوفمبر سنة ١٩٢١ م ، وقبض على الأمير محمد بن طلال وأرسل به إلى الرياض أسيراً [١] ، وبذلك قضى على حكم آل رشيد فى حائل بعد أن دامت إمارتهم نحواً من قرن ، وأدخل أملاكهم تحت حكمه ؛ فحل المسألة على هذا الوجه المرضى ، وتفرغ لمنازلة خصمه الشريف حسين ، فما زالت الحوادث تأخذ مجراها السريع حتى صرع هذا أيضاً وأصبح سيد الموقف .

تطور العلاقات بين ابن سعود والأشراف

دخل الإنكليز فى مفاوضات مع الشريف حسين فى مبدأ الحرب الكبرى كما فعلوا مع ابن سعود ، غير أن الجهة الإنكليزية التى فاوضت الشريف حسينا كانت غير التى اتصلت بابن سعود ، كما أن موقف الزعيم الوهابى كان غير موقف الشريف . فحكومة الهند الإنكليزية هى التى اتصلت بابن سعود عن طريق الخليج الفارسى ، وقد كان موقفه معها موقف الحذر المحتاط كما سبق أن بينا . أما الشريف حسين فقد اتصلت به دار المندوب السامى الانكليزية بالقاهرة عن طريق البحر الأحمر [٢] ، وعملت على أن يثور الشريف فى وجه دولة الخلافة

---

(١) المرجع السابق ص ٢٥٥ ، و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٣ .

(٢) ابتدأ الاتصال بين الشريف حسين وبين الإنكليز من جانب الشريف ، حيث إنه بعث بابنه الأمير عبدالله (ملك شرق الأردن أخيرا) فى فبراير سنة ١٩١٤ م إلى القاهره ، =

ويحاربها فى صفوف الإنكليز ، ليحصلوا بذلك على إضعاف مركز الأتراك فى الشرق ، ويجدوا مايبررون به سياستهم ويبنون عليه دعايتهم بين رعاياهم المسلمين الذين كان لايرضيهم حرب الإنكليز للدولة وانتصارهم عليها .

وقد كان الشريف حسين صاحب أطماع كبيرة ، يود لو تحققت للعرب وحدة مستقلة ، وأصبحت لهم إمبراطورية شامخة تحت زعامته ؛ وكان على استعداد لأن يضحى بكل ما يملك فى سبيل تحقيق هذه الفكرة .

درس الإنكليز هذه النفسية ، واستغلوا رغبة الشريف فاستخدموها فى الوصول إلى أغراضهم . أخذوا يستدرجونه ويعدونه بالمساعدة على تحقيق أمنيته إذا خرج على الدولة ، واشترك معهم فى حربها ، وتم لهم النصر ؛ ووثق هو بهذه الوعود السياسية ولم يحتط لنفسه ، ولم يأخذ من الإنكليز الضمانات

= فزار الأمير سمو الخديوى عباس الثانى ، وزار اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى دار الوكالة البريطانية وتعرف به ، كما جدد صلته ومعرفته بالمستر ستورس السكرتير الشرقى لهذه الدار . وفى هذه الزيارة تحدث الأمير عبد الله عن آمال العرب فى الاستقلال تحت زعامة والده ، وعن أمل الأشراف فى مساعدة الإنكليز لهم ضد الاتراك . فلما ابتدأت الحرب الكبرى الأولى بعد ذلك بأشهر ، ورأى اللورد كتشنر الذى أصبح وزيراً للحربية البريطانية أن تركيا فى سبيل الانضمام إلى دول الوسط ضد الحلفاء ، تذكر صداقته وصداقة المستر ستورس للشريف عبدالله ، فأبرق اللورد إلى خلفه بالقاهرة السير هنرى مكماهون في ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ ، أى قبل دخول تركيا الحرب ، واقترح عليه أن يتصل بالشريف حسين حتى يستطيع الاستعانة به ضد تركيا فى حالة دخولها الحرب ضد بريطانيا وحلفائها . راجع Geschichte der islamischen völker ص ٤٢٥ ، و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .

الكافية لتنفيذ وعودهم له . كانت النتيجة أنهم غرروا به [١] وتركوه أخيراً يسقط صريعاً أمام خصمه القوى ابن سعود فى ميدان النضال ، فذهب ضحية أطماعه وانخداعه بالوعود الخلابة ، ونال عاقبة من لم يحتط لنفسه ولم يكن على حذر فى الأمور .

اتفق الشريف حسين مع الإنكليز فى يناير سنة ١٩١٦ م ؛ وأعلن الثورة على الدولة فى يونية [٢] ؛ ثم أعلن أنه أصبح ملك العرب فى اكتوبر من نفس

---

(١) فى الوقت الذى كانت المفاوضات تجرى فيه بين الشريف حسين وبين السير هنرى مكماهون ، والذى كانت بريطانيا تتعهد فيه بتكوين حكومة عربية مستقلة تحت زعامة الشريف ، بحيث تشمل حدودها جزيرة العرب ، وسورية ، وفلسطين ؛ فى هذا الوقت عينه كانت الحكومة البريطانية تتفاوض مع الحكومة الفرنسية بشأن سورية وفلسطين فعقدت معاهدة سايكس بيكو فى مايو سنة ١٩١٦ التى تنظم توزيع هذه المناطق بين فرنسا وانكلترا بعد انتهاء الحرب . وفى هذا الوقت أيضا كانت انكلترا قد سبق لها أن تعاهدت مع السيد الادريسى وضمنت له استقلاله بعسير ، ومع ابن سعود وضمنت له استقلاله بنجد والأحساء والملحقات .

راجع « ملوك العرب » ج ١ ، ص ٦٤ — ٦٥ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٠٦ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٢٤ ؛

و Geschichte der islamichen völker ص ٤٢٦ — ٤٢٧

(٢) أجل الشريف إعلان الثورة من يناير إلى يونيه حتى يتم الاستعداد ، وحتى يفلت ابنه الأمير فيصل (ملك العراق فيما بعد) من قبضة الأتراك ، فقد كان فى دمشق عند جمال باشا فى ذلك الوقت ؛ وهذا الغرض الأخير هو أهم الأغراض فى التأجيل . أما الاتفاق الذى تم بين الشريف والإنكليز فقد كان يتكون من خمس مواد ؛ تتعهد بريطانيا فى أولاها بتشكيل حكومة عربية مستقلة تشمل الجزيرة العربية والعراق والشام « ماعدا مستعمرة عدن » . ولكن فى نفس المادة تتعهد هذه الحكومة العربية برعاية المعاهدات =

السنة ، وأخذ يعامل أمراء العرب وفيهم ابن سعود معاملة الأتباع ، فنراه مثلا يبعث إليه بهدية ونقود — على خلاف العادة — وكأنه يريد أن يقول له : استعن بهذه النقود على ضبط الأمور فى ولايتك ، وقد أصبحت تابعاً لنا !

لم يسع ابن سعود ، وهو الحريص على استقلاله ، إلا أن يرد على هـذا العمل الذى له مغزى سياسى لايحسن السكوت عليه بما يحفظ له حقه ، وبما يفهم الشريف أن البلاد النجدية لاتزال مستقلة ، وأن أميرها لايقبل التبعيـة ولا يقرها . كان رد ابن سعود أن أرسل إلى الشريف يطلب إليه تحديد الحدود بين نجد والحجاز (١) ، لم يكتف ابن سعود بهذا ، ولـكنه اتصل بالإنـكليز ، وكان قد تعاهد معهم وضمنوا له استقلاله بنجد كما سبق ، اتصل بهم وأفهمهم

= التى أجرتها بريطانيا مع أى شخص كان من العرب !

وقد كانت الحـكومة البريطانية تبغى بهذه المعاهدات المشار إليها ، المعاهدات التى سبق أن عقدتها مع الإدريسى فى عسير ، ومع ابن سعود فى نجد . فهى فى هذه المعاهدة الجديدة التى تعقدها مع الشريف حسين ، وتتعهد له فيها بتشكيل حكومة مستقلة تشمل كل الجزيرة العربية تغرر به من حيث لا يشعر ؛ وكان جديراً به أن يشعر !

راجع نص المعاهدة فى « ملوك العرب » ج ١ ، ص ٦٠—٦١ .

(١) جاء فى الخطاب الذى أرسله ابن سعود للشريف فى هذا الشأن قوله « ... قد يكون حدث بيننا وبينـكم سوء تفاهم فى الماضى ؛ فلا بد إذاً من التفاهم والتأمينات . وذلك بأن تحدد الحدود بيننا وبينـكم ، فتزول الشكوك ، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات » . فلم يكن من الشريف إلا أن رد عليه بقوله : إما أنك سكران يابن سعود ، وإما أنك مجنون ! أفلا تعلم لأى أمر قمنا ، وأى غرض نبغى ؟ ! « تاريخ نجد الحديث » ص ٢١٢ .

أنه لايقبل التبعية للشريف حسين ؛ فتدخل الإنكليز فى الأمر وأخبروا الشريف بأنهم قد ارتبطوا بمعاهدة مع أمير نجد ، وأنهم لايمكنهم الاعتراف بالشريف ملكاً للعرب بهذا الإطلاق ، واعترفوا به ملكاً للحجاز فقط (١) . ثم تعهدوا لابن سعود بأن الشريف حسينا سوف لايتدخل فى شئون نجد ، وسوف لايتكلم فى الأمور السياسية باسم العرب جميعاً ، وإنما باسم الحجازيين فقط .

الخلاف على واحتى تربة والخرمة

بعد هـذا التدخل من جانب الإنكليز كان الشريف حسين لا يزال متشبعاً بفكرة أنه ملك العرب جميعاً ، وأن عليهم أن يخضعوا له ، ويقدموا إليه الطاعة . وأخـذ يعمل لنشر نفوذه على حدود نجد المجاورة ، وخاصة فى واحتى تَرَبَة وَالخُرْمَة (٢) ؛ فقد كانت هـذه الجهات مثاراً للخلاف والحروب بين

---

(١) فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٦ م أعلن الشريف أنه أصبح ملك العرب ؛ وفى ٣ يناير سـنة ١٩١٧ م أخبرته انـكلترا بأنها تعترف به ملـكا للحجاز فقط ، وفى نفس التاريخ اعترفت به فرنسا وإيطاليا بمثل مافعلت انـكلترا .

راجع Geschichte der islamichen völker ، ص ٤٢٨ .

(٢) تقع هاتان الواحتان على الحدود الحجازية النجدية بالقرب من جبـل حضن ، وشرقى الطائف ، تقع الخرمة فى الشمال ، وتربة فى الجنوب ، والأولى تقع على الطرق الذاهبة من الطائف إلى الرياض ؛ والثانية على الطريق الذاهبة من نجد إلى اليمن ؛ وتسكنها قبائل سبيع ، وعتيبة ، والبقوم ، وبعض الأشراف .

راجـع « قلب جزيرة العرب » ص ٤٨ ، ٣٧٨ ؛ و « جزيرة العرب » ص ٤٤ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٤ ـ ٢٢٥

ابن سعود والشريف حسين . كان الشريف يرى أنها تابعة للحجاز ، وأن سكانها من رعاياه ، وأن عليهم أن يظهروا بمظهر الولاء والخضوع له ؛ وكان هؤلاء السكان قد اعتنقوا المذهب الوهابى من قديم ، فلما استعاد ابن سعود الرياض ، ونشر نفوذه فى نجد اتصلوا به ، وجددوا عهدهم معه ، وعدوا أنفسهم من رعاياه ؛ وأخذ هو يكاتبهم ويرسل إليهم من يتعهد نشر التعاليم الوهابية بينهم .

عد الشريف حسين هذا افتياتا من ابن سعود وخيانة وخروجا من سكان تَرَبة والخُرْمَة فشرع يرسل إليهم الحملة تلو الحملة فى سنة ١٩١٧ ، وأوائل سنة ١٩١٨ م يريد تأديبهم وإخضاعهم لحكمه ، وأخذ هؤلاء يدفعون عن أنفسهم بكل شجاعة ويردون جيوش الشريف ، وقد كبدوها الكثير من الخسائر ؛ ثم أخذوا يكتبون إلى ابن سعود يطلبون إليه أن يرسل إليهم جيشاً يدفع اعتداءات الشريف عنهم .

ولقد كان الإنكليز يلحون فى هذا الوقت على ابن سعود طالبين إليه أن يقوم بحرب آل رشيد ، فقال لهم : أنا لا أستطيع حرب آل رشيد والشريف حسين يعتدى على رعيتى فى تَرَبة . فتعهد الإنكليز بالتدخل فى الأمر ، وتدخلوا فعلا فاقترحوا على الشريف أن يترك هذه المسألة لتحل بعد انتهاء الحرب الكبرى بطريق السلم ، ولم يسعه هو إلا قبول هذا الاقتراح [١] :

أراد الإنكليز حل هذه المسألة وغيرها من مسائل الخلاف بين الزعيمين

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٩ .

العربيين سلمياً فلم يوفقوا . وانتهز الشريف حسين فرصة حصوله على الذخيرة والسلاح من المعسكر التركى فى المدينة بعد انعقاد الهدنة ، وبعد أن استسلم القائد التركى فى المدينة فخرى باشا ، انتهز هذه الفرصة فألف جيشاً كبيراً (١) وسلحه بهذه الأسلحة ، وعهد بقيادته إلى ابنه الأمير عبد الله ؛ ثم كلفه بالتوجه إلى تربة والاستيلاء عليها ، ويقال أيضاً إن مهمة الأمير عبد الله كانت فى الواقع أكبر من هذا ، فلقد كلفه والده أن يتابع فتح نجد بعد إخضاع أهل تربة ، وألا يقف حتى يصل إلى الخليج الفارسى (٢) . هذا مايقال ، وذلك ما كلف به الأمير من قبل والده الطموح ، ولكن الحوادث أتت بشىء آخر وحدث ماليس فى الحسبان .

زحف الأمير عبد الله بجيشه الكبير المسلح بأسلحة الترك الحديثة ، واحتل

---

(١) يقول الريحانى « ... فقد بالغ الرواة فى تقديره (الجيش)، فقال بعضهم : إنه كان مؤلفاً من سبعة آلاف من النظام ، وثمانية آلاف من البدو . أما الحقيقة فهى أنه لم يتجاوز كله السبعة آلاف ، منهم ألفان من النظام والباقى من البدو » .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٦ .

(٢) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٣٤ .

ويروى الريحانى رسالة للأمير عبد الله قائد حملة تربة ، كان قد بعث بها إلى سرية الإخوان التى كانت قادمة من نجد تحت قيادة سلطان بن بجاد لمعونة أهل تربة . قال الأمير فى هذه الرسالة : « أخبر الخوارج ... قل لهم : سنكفيهم مؤنة القدوم إلى تربة ؛ قل لهم : ماجئنا تربة من أجل تربة والخرمة فقط ... سنصوم فى الخرمة إن شاء الله ، وسنعيد عيد الأضحى فى الحساء » . « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٢٨ .

تربة فى ٢٤ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ / ٢٤ مايو سنة ١٩١٩ م على الرغم من احتجاجات ابن سعود ؛ احتلها بدون قتال بعد أن ترك أهلها مساكنهم ، وتجمعوا بعيداً عنها تحت قيادة الشريف خالد بن لؤى انتظاراً لأوامر ابن سعود ونزولا على أمره ، وقد كان طلب إليهم ألا يهاجموا ولا يقاتلوا إلا إذا اعتدى عليهم ، وقد فعل هذا ابن سعود تلبية لرغبة الإنكليز الذين أرادوه على ألا يحارب الشريف حسينا .

تم للأمير عبد الله الاستيلاء على تربة ، وكان سيد الموقف ؛ فظن بهذا أن الأمور ستسير على مايريده ، وأنه سيكون من السهل لديه القيام بمهمته إلى النهاية ؛ ولكن الحوادث أخلفت هذا الظن ، وكان ما أراد الله غير ماظن الأمير . فتجمع الإخوان من قبيلة عتيبة تحت قيادة سلطان بن بجاد (١) ، وهاجموا الجيش الحجازى فى ليلة ٢٥ شعبان سنة ١٣٣٧ هـ / ٢٥ مايو سنة ١٩١٩ م ؛ فأخذوا الأمير وجنده على غرة ، وأعملوا فى رقابهم السيف ، ومزقوهم شر ممزق ، ولم يستطع الأمير عبد الله أن ينجو بنفسه إلا بعد لأى ومشقة ، ففر هو وبعض أصحابه ، وترك وراءه جيشه أشلاء متناثرة فى الصحراء ؛ فأصبح الصبح وقد تغير الموقف ، بعد أن هزم أكبر جيش لدى الشريف حسين

---

(١) كان ابن بجاد قد قدم من نجد على رأس السرية التى سبقت الإشارة إليها . وكان عدد هذه السرية ألفاً ومائتى جندى هجان .
المرجع السابق ص ٢٢١ .

هزيمة منكرة ، وبعد أن استولى الوهابيون على الكثير من السلاح والعدة (١)

وكانت مفاجأة سارة لابن سعود الذى كان قد وصل إلى تربة فى ذلك الوقت فقد تم له هذا النصر المبين ، وأصبح فى استطاعته مواصلة الزحف إلى الطائف ، وإن شئت إلى مكة عاصمة الحجاز .

بيد أن الشريف حسينا لجأ إلى الإنكليز واستغاث بهم ، فتدخلوا فى الأمر بصورة حازمة ، وأنذروا ابن سعود فى ٤ يونية سنة ١٩١٩ م بأنهم يعتبرون تقدمه فى الحجاز عملاً عدائياً نحوهم ، فحرموه بهذا أن يجنى ثمرة انتصاره الرائع (٢) .

عمل ابن سعود بمقتضى هذا الإنذار ؛ وأخذ الإنكليز من ناحيتهم يسعون لإصلاح ذات البين ، ويعملون للتوفيق بين أمير نجد وملك الحجاز ، وكلاهما من أتباعهم ينضوى تحت لوائهم ، فطلبوا إليهما أن يكتب كل منهما كتب الود والصداقة إلى صاحبه بدءاً لتحسين العلاقات بينهما ؛ فاتبع ابن سعود جانب الحكمة ، وقبل النصح ، وبدأ بالكتابة إلى الشريف حسين . غير أن هذا لم يقبل أن يستلم كتاب ابن سعود ، ولم يشأ أن يكتب إليه حتى ضغط عليه

---

(١) يقول الريحانى : « لم ينج من جيش الأمير النظامى غير ستة ضباط ، واثنى عشر جنديا . ولم ينج من البدو غير من سلموا ... وعددهم لا يتجاوز الالف » .
المرجع السابق ص ٢٣٠ .

(٢) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٣٤ ـ ٢٣٥ .

الإنكليز ، فعهد إلى ابنه الأمير عبد الله بتنفيذ ماطلب منه ، وبمكاتبة الأمير السعودى .

بهذا ظهرت العلاقات بين ابن سعود والشريف حسين وكأنها قد بدأت تتحسن ، فانقضى عام ١٩١٩ ومرت سنة ١٩٢٠ م ولم تحدث حوادث على الحدود ، مع استمرار المكاتبة من كل منهما إلى صاحبه .

ثم لم يلبث الوهابيون أتباع ابن سعود أن اعتدوا على الحدود الحجازية فى سنة ١٩٢١ م مدفوعين بما قر فى نفوسهم من أن الشريف حسينا مبتدع وظهير للمبتدعين تجب محاربته جهاداً فى سبيل الله . ولم يكن منه هو إلا أن قابل العدوان بمثله فحرم النجديين من الحج فى سنة ١٣٣٩ هـ / سنة ١٩٢١ م ؛ ثم أذن لهم بوساطة الإنكليز فى العام الذى يليه ؛ ثم عاد فحرمهم ثانية بحجة أنهم مشاغبون ؛ واشترط للإذن شروطا منها أن يخلى ابن سعود الجوف وتربة ، وخيبر ، وكل الجهات التى يعتبرها الحسين تابعة للحجاز . وكان من الطبيعى أن يرفض ابن سعود هذه الشروط ، وأن يتمسك الشريف بمنع النجديين من الحج ، فتحرج الموقف ، وشرع الإنكليز يعدون لمؤتمر الكويت أملاً منهم فى حسم النزاع ، وسعياً لمداواة الجرح قبل استفحال الخطر .

مشاكل الحدود بين ابن سعود وجيرانه الأشراف

أنشئت المملكة العراقية وإمارة شرق الأردن فى سنة ١٩٢١ م كما قدمنا ،

وأصبح ابن سعود مجاوراً للشريف حسين وأبنائه من ثلاث جهات ، وكثرت المشاكل على الحدود العراقية النجدية ؛ فرأى الإنكليز أن يتدخلوا فى الأمر ليضعوا حداً لهذه المشاكل ، حتى يكون الأمن والاستقرار سائداً فى تلك البلاد المشمولة جميعها برعايتهم ، والخاضعة لنفوذهم .

عقد الإنكليز مؤتمر المحمرة[١] وأشرفوا فيه على المفاوضات التى جرت بين مندوبى نجد والعراق ، فسويت مسائل الحدود بين نجد والكويت ؛ ثم بين نجد والعراق ، ووضعت معاهدة المحمرة فى مايو سنة ١٩٢٢ . ثم عدلت ببروتوكول العقير [٢] فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ م ؛ وتم الاتفاق بين نجد والعراق بمقتضى المعاهدة وملحقها على الأمور الآتية :

(١) تعيين خط الحدود بين نجد والعراق .

(٢) تأسيس منطقتى حياد على الحدود من الجانبين ، ومنع بناء الاستحكامات على أطراف الحدود .

(٣) إرجاع القبائل الفارة من نجد إلى العراق ومن العراق إلى نجد إلى مواطنها الأولى وتثبيتها فيها ، مع إعطاء حق الخيار لبعض القبائل .

(٤) الاقرار بتبعية قريات الملح ووادى سرحان لنجد وكان ابن سعود

---

(١) تقع المحمرة على شط العرب شمال الخليج الفارسى .
(٢) العقير فى جنوب مقاطعة الأحساء على الخليج .

قد احتلها فيما بين مايو وديسمبر من سنة ١٩٢٢ م [١] .

هذا ماتم الاتفاق عليه ، ولكن حكومة العراق تباطأت فى التنفيذ [٢] ، فعاد الخلاف من جديد بينها وبين الحكومة النجدية ، وأصبح ابن سعود فى نزاع وشقاق مع العراق والحجاز وشرق الأردن ، واهتم الإنكليز بالأمر ، فألحوا فى عقد مؤتمر ودعوا الحكومات الأربع إلى مؤتمر الكويت .

مؤتمر الكويت

كان الإنكليز يبغون بجمع ابن سعود مع الأشراف فى مؤتمر تسوية كل مسائل الخلاف تسوية نهائية ، فألحوا عليه حتى قبل الدعوة لحضور هذا المؤتمر الذى انعقد فى الكويت على دورتين . ولكن ابن سعود خشية من أن يكون الشريف حسين وأبناؤه جبهة ضده اشترط لحضور المؤتمر أن تكون المفاوضة بين مندوبيه ومندوبى كل من الدول الثلاث ، الحجاز ، والعراق ، وشرق الأردن على حدة ؛ فقبل الإنكليز هذا الشرط ، وألزموا المتفاوضين العمل به [٣] .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٤ — ٣٨٥ .

(٢) طلب ابن سعود من حكومة العراق إرجاع قبائل شمر التى لجأت إلى العراق ، وأخذت تغير على الحدود النجدية لنجد ، والأخذ على يد المعتدين منهم . غير أن حكومة العراق تباطأت ، لأنها كانت فى ذلك الوقت عاجزة عن تنفيذ ما سبق أن اتفقت عليه مع ابن سعود .

المرجع السابق ص ٣٨٨ ؛ و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٨٦ .

(٣) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٨٨ ، و « تاريخ نجد الحديث » ص ٢٨٧ ، و « جزيرة العرب » ص ٢٨٢ .

انعقد المؤتمر فى دورته الأولى ابتداء من ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٣ ؛ ولكن لم يحضره إلا مندوبو نجد والعراق . أما الحجاز فلم يرسل أحداً لينوب عنه ؛ ومندوبو شرق الأردن حضروا ، ولكنهم لم يشتركوا فى أعمال المؤتمر لخلاف بينهم وبين النجديين على أساس المفاوضة .

وانفض المؤتمر فى دورته الأولى بعد أن اتفق العراقيون والنجديون على تسوية بعض مسائل الحدود الخلافية ، غير أن العراقيين اشترطوا لنفاذ ماتفق عليه أن يتم الاتفاق أولا بين نجد من جهة ، وبين الحجاز وشرق الأردن من جهة أخرى ؛ وكان هذا الشرط مثاراً لاحتجاج النجديين وعدم رضائهم .

ذهب المتفاوضون إلى بلادهم على أن يعودوا بعد أسابيع فيستأنفوا المفاوضات ، ويعقدوا الدورة الثانية للمؤتمر ؛ وقد طلب إليهم المعتمد البريطانى فى الخليج الفارسى ورئيس المؤتمر الكولونيل نوكس أن يعملوا على اقناع حكوماتهم بوجوب التساهل لحل مسائل الخلاف ؛ ثم اتصل هو بالشريف حسين وأقنعه بوجوب الاشتراك فى المؤتمر ، فعين الشريف ابنه الأمير زيدا لينوب عن الحجاز فى دورة المؤتمر الثانية ؛ ولكنه اشترط لهذا أن يعين ابن سعود أحد أبنائه مندوباً عنه ، الأمر الذى لم يقبله ابن سعود ، وترتب على هذا أن الشريف حسينا لم يشترك أيضاً فى الدورة الثانية .

انعقدت الدورة الثانية فى ٢٥ مارس سنة ١٩٢٤ م ، ولم يحضرها إلا

مندوبوا نجد ، ومندوبو شرق الأردن . وكانت النتيجة أن انفض المؤتمر على غير وفاق ، لأن وفد شرق الأردن تمسك بما كان أبداه فى الدورة الأولى للمؤتمر ، وكان سبباً للفشل ، فطلب أن يتخلى ابن سعود عن الجوف ووادى السرحان ، وتمسك بما تمسك به الشريف حسين من قبل من إعادة الحالة إلى ما كانت عليه قبل الحرب الكبرى فى بلاد العرب ؛ ولو نفذ ذلك لترتب عليه الآتى :

١ — تنازل ابن سعود عن الجوف ووادى السرحان إلى شرق الأردن .

٢ — تنازله عن تيماء وخيبر وتربة والخرمة إلى الحجاز .

٣ — إعادة آل رشيد إلى حائل بعد القضاء عليهم فى سنة ١٩٢١ م .

٤ — إعادة آل عائض إلى عسير الشرقية ، وقد ضمها ابن سعود إلى أملاكه فى سنة ١٩٢٢ م .

فلم يقبل النجديون مطالب شرق الأردن ؛ وفشل المؤتمر ، فتحرجت الأمور بين ابن سعود وجيرانه ، وشرع الاخوان يهاجمون حدود العراق وشرق الأردن من جديد ، وسرعان ما لجأ ابن سعود إلى تحكيم السيف ، فهو وحده صاحب الفصل فى موضوع الخلاف .

الحرب بين نجد والحجاز

فكر ابن سعود فى الموقف بعد فشل مؤتمر الكويت ، فرأى أن التبعة

واقعة على عاتق الشريف حسين وأبنائه ، ولو فى الظاهر على الأقل ؛ فهو الذى ظهر بمظهر التشدد فى كل أطوار الخلاف إلى درجة أزعجت الإنكليز . أما ابن سعود فقد كان دائماً يظهر بمظهر المتساهل النازل عند رغبتهم ، وهو لهذا يطمع فى تساهلهم معه ، وعدم ضغطهم عليه إذا اشتبك فى حرب مع الشريف حسين ذلك الرجل العنيد .

ثم وزان ابن سعود بين موقف العالم الإسلامى منه ، وموقفه من الشريف حسين ؛ فرأى أن صلات الشريف بالمسلمين قد ساءت بعد أن جاهر بالعدوان لدولة الخلافة وحاربها مع الحلفاء ، وبعد أن عامل الحجاج المسلمين معاملة سيئة ، واشتط معهم فى فرض الضرائب مع عدم العناية اللازمة براحتهم وأمنهم ؛ وكذلك اختلف معهم فى شأن البعثات الطبية وغيرها ، فكان ذلك سبباً فى عودة المحمل المصرى فى سنة ١٣٤٠ هـ / سنة ١٩٢٢ م ، وفى اشتداد الخلاف بينه وبين الحجاج الهنود ، ثم بينه وبين الإنكليز من أجلهم . وفى مقابل هذا رأى ابن سعود أن صلات العالم الإسلامى به حسنة بعد أن شرع يتودد إلى المسلمين ويجامل الدول الإسلامية ، وبعد أن أخذ ينشر دعاية واسعة النطاق فى العالم الإسلامى ، متحدثاً عن أطوار الخلاف بينه وبين الشريف حسين ، ومتظلماً من منع الشريف للنجديين عن أداء فريضة الحج . وأخيراً نظر ابن سعود إلى قوى الشريف الحربية فوجدها ضعيفة أمام إيمان الإخوان وتعصبهم لنصرة زعيمهم . وهو لم ينس بعد ما ألحقه الإخوان من الخسائر

الفادحة بالجيش الحجازى صاحب العدد والعدة فى تربة سنة ١٩١٩ م ، وقد كان هذا الجيش أقوى جيش لدى الشريف حسين .

إذاً الظرف مناسب والفرصة مواتية لتحكيم السيف ولضرب الحسين . فعقد ابن سعود لهذا الغرض مؤتمراً فى الرياض فى عيد الأضحى سنة ١٣٤٢ هـ / يوليه سنة ١٩٢٤ م ، وقد حضر إليه الإخوان وزعماء نجد للمعايدة ، وتحدث إليهم فى موضوع الخلاف ، وسألهم رأيهم فى الحرب .

رحب المجتمعون بهذه الفكرة ، وكانوا يتوقون إلى حرب الحسين المبتدع فى نظرهم ، وخاصة بعد أن منعهم من أداء فريضة الحج ؛ وبعد هذا أمرهم ابن سعود بالعودة إلى بلادهم والاستعداد للحرب ، ولم يشأ أن يبدأ بالهجوم إلا بعد أن يتفرق الحجاج المسلمون ويعودوا إلى بلادهم .

وفى مطلع العام الهجرى سنة ١٣٤٣ هـ / أغسطس سنة ١٩٢٤ م كان ابن سعود قد استعد للحرب ، وجهز جيشاً قوياً على الحدود الحجازية ؛ ثم أمر جماعة من رجاله بمهاجمة شرق الأردن ، وآخرين بمهاجمة العراق . أما هؤلاء الذين كلفوا بمهاجمة العراق وشرق الأردن فقد ردتهم الطيارات الإنكليزية على أعقابهم ، وقد تحملوا كثيراً من الخسائر بعد أن اجتازوا الحدود ؛ وأما الجيش الأكبر الذى شرع يهاجم الحدود الحجازية فقد قام بمهمته ووفق فى الوصول إلى غرضه على ماسنرى فى تفصيل الحديث .

كانت قيادة هذا الجيش يتولاها الشريف خالد بن لؤى رئيس سكان تربة

وسلطان بن بجاد زعيم الإخوان من قبيلة عتيبة سكان هجرة الغطغط ، وهذان الرجلان فوق مالهما من خبرة وكفاية حربية ، فهما موتوران من الشريف حسين ، وعلى استعداد تام للتضحية بدمائهما فى سبيل القضاء عليه .

فتح الطائف ودخول مكة

تحرك الجيش (١) السعودى من تربة ، واتجه إلى الطائف ، فوصلها ، واستولى عليها بعد مقاومة لم تدم طويلا فى ٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ / ٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م (٢) . ووقعت حوادث النهب والتقتيل فى الطائف بعد فتحها ؛

---

(١) يقول الريحانى : إن عدد هذا الجيش مع من انضم إليه من عربان الحجاز وأشرافه كان لا يتجاوز الثلاثة آلاف مقاتل .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ، ص ٢٩٩ .

(٢) يحدد فؤاد حمزة فى « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩٠ يوم الاستيلاء على الطائف بالسادس من شهر صفر سنة ١٣٤٣هـ والسادس من سبتمبرسنة ١٩٢٤ م ؛ وكذلك يحدده أمين سعيد فى « ملوك المسلمين المعاصرون » ج ١ ص ١٣٠ ، أما الشيخ حافظ وهبة فيحدده فى « جزيرة العرب » ص ٢٨٨ بالخامس . ولعل هذا الاختلاف نشأ بسبب أن انتصار الجيش السعودى ، وهزيمة جيش الشريف فى هذه الموقعة كانت على مراحل ، كما يفهم من كلام الريحانى فى « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٠ ؛ فكلام الريحانى هنا يفيد أن جيش الشريف الذى كان مكلفا بالدفاع عن الطائف هزم فى يوم ٥ صفر ، ثم حضر جيش آخر للدفاع بقيادة الشريف على (الملك على فيما بعد) فى يوم ٦ صفر ، ولكنه اضطر للانسحاب من الطائف إلى الهدى فى نفس اليوم ، وفى يوم ٧ صفر — يذكر الريحانى — أنه تم الاستيلاء نهائياً على الطائف .

والسعوديون يتنصلون من هـذا ، ويلقون تبعته على البدو الحجازيين الذين انضموا إليهم . ولقـد وعد ابن سعود فى ذلك الوقت بالتعويض للمنـكوبين ومعاقبة المذنبين ، واتخذ من الاحتياطات مايمنع تـكرر المأساة فيما بعد .

بقى الوهابيون فى الطائف بعد فتحها ، وقد أمرهم ابن سعود بالتريث حتى تأتيهم أوامره ؛ وكانت هذه الفترة دعاية من الجانبين ، من جانب الشريف حسين الذى أخذ يستغيث بالعالم الإسلامى ، ويهول من شأن الحوادث التى وقعت بالطائف عنـد الفتح ؛ ومن جانب ابن سعود ، وقد أخـذ يذيع عن أغراضه وينشر برنامجه بين المسلمين ، ويتنصل لديهم مما حدث بالطائف : وقد استطاع بدعايته ووعوده أن يـكسب عطف المسلمين ، فصرح بالأمور الآتية :

١ — أنه لايريد الفتح للبلاد المقدسة ، وأن كل مايبغيه هو طرد الأشراف وتطهير بلد الله الحرام من ظلمهم .

٢ ـ أن مكة ستـكون بعد استيلائه عليها للمسلمين عامة .

٣ـ أنه سينزل على رغبـة العالم الإسلامى فى تقرير مصير الحجاز بعـد طرد الأشراف (١) .

ثم اشتبكت بعد ذلك الجيوش الوهابية مع الجيوش الحجازية التى تجمعت

---

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٨٩ .

عند مكان يقال له الهَدَى (١) تحت قيادة الأمير على بن الشريف حسين ، فاندحر الحجازيون وهزموا فى ٢٦ صفر سنة ١٣٤٣ هـ / ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٢٤ م (٢)

وفى أوائل ربيع الأول من نفس السنة ثار أهل الحجاز على الشريف حسين فجعلوه يتنازل عن العرش ، وبايعوا ابنه الشريف علياً ملكا على الحجاز (٣) . ولعلهم كانوا يظنون أنهم إذا قاموا بهذه الخطوة وضعوا للحرب حدا ، واكتفى ابن سعود بسقوط خصمه عن العرش . ولكن الحوادث أخلفت هذا الظن .

---

(١) يقع الهدى على بعد أربع ساعات من الطائف ، كما يقول الريحانى فى « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ٣٠٢ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩٠ .

(٣) فى اليوم الرابع من ربيع الأول سنة ١٩٤٣ هـ / الثالث من أكتوبر سنة ١٩٢٤ م اجتمع أعيان الحجاز من العلماء والتجار والأشراف بجدة ، وكان فيهم الكثيرون من الذين فروا من الطائف ومكة ؛ ثم أرسلوا برقية إلى الشريف حسين بمكة بعد أن وقع عليها مائة وأربعون منهم . وفى هذه البرقية شرحوا حال الفوضى السائدة فى الحجاز ، وصرحوا بعجز الحكومة « عن صون الأرواح والأموال » ؛ ثم قالوا : « لذلك قررت الأمة نهائيا طلب تنازل الشريف حسين ، وتنصيب ابنه الأمير على ملكا على الحجاز فقط مقيداً بدستور وبمجلسين وطنيين . . . » وبعد مفاوضات مع الملك حسين وافق على ما طلب منه ، وتنازل عن الملك . وفى اليوم التالى كتبت الهيئة المجتمعة إلى الأمير على باختياره ملكا للحجاز بعد تنازل والده ؛ وبعد تقبل البيعة ذهب الملك على إلى مكة ، ثم عاد إلى جدة ليتحصن بها ويقضى أخريات أيام ملكه .

راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٠٤ — ٣٠٨ .

لم يلبث الشريف حسين بعد تنازله أن ترك مكة وذهب إلى العقبة عن طريق جده ؛ أما الشريف على ، الملك الجديد ، فإنه رأى أن يذهب إلى جدة ويتحصن بها لمواصلة الحرب ، بعد أن علم بمواصلة الجيش السعودى الزحف نحو مكة .

واصل الوهابيون الزحف نحو مكة على الرغم من أمر ابن سعود لهم بالانتظار حتى يقدم إليهم ، ولعله كان يريد أن ينال شرف الدخول إلى مكة فى مقدمة جيشه ؛ فعلوا هذا انتهازاً للفرصة السانحة بثورة المكيين على الشريف حسين ورأوا أن الأحوال تضطرهم إلى الإسراع بدخول مكة قبل أن يستعد الملك الجديد للمقاومة ، وأن ابن سعود سيقرهم على عملهم عند ما يطلع على الموقف .

وفى ١٧ ربيع الأول سنة ١٣٤٣ هـ / ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٤ م دخل الوهابيون مكة بدون حرب محرمين بالعمرة وتحت قيادة الشريف خالد بن لؤى الذى أصبح حاكما لمكة بعد دخولها (١) .

تغير وجه التاريخ ، وأصبح البلد الحرام وعاصمة الحجاز فى يد الوهابيين بعد أن دخلوها بدون حرب وبغير إراقة للدماء . ثم أخذ ابن سعود يترقب

---

(١) فى الوقت الذى كانت تزحف فيه الجيوش النجدية نحو مكة كان الملك على متجها إلى جدة ، بعد أن رأى قوات الدفاع التى لديه غير كافية لصد الأعداء ؛ إذ أنه « رأى جنوده مشتتين شاردين ، ولم يبق منهم غير مئتين كانوا فى الدفاع مترددين » فانسحب الملك مع هذا العدد اليسير إلى جده ، وترك مكة بدون حامية ، مما سهل للنجديين دخولها بدون حرب . « راجع تاريخ نجد الحديث » ص ٣١٧ .

ليرى كيف يكون وقع هذا الفتح فى نفوس المسلمين وعند الدول المختلفة .

رضى المسلمون بهذا الفتح على أمل أن تتحسن الأحوال فى الحجاز ، وأعربت الدول التى لها ممثلون فى جدة على لسان هؤلاء الممثلين عن موقفها فى المذكرة التى أرسلت إلى الطرفين المتحاربين وكانت تحتوى على مايأتى :

١ — إعلان هذه الدول وقوفها على الحياد .

٢ — طلبها من المتحاربين معاملة رعاياها المسلمين معاملة حسنة .

٣ — تحميلها للمتحاربين تبعة ماعساه يقع لهؤلاء الرعايا (١) .

تبين ابن سعود الموقف ، وعد وقوف الدول على الحياد انتصاراً له ؛ فهو كفيل بالتغلب على الأشراف إذا خلى بينه وبينهم . ثم ذهب بعد هذا إلى مكة ودخلها فى ٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ هـ / ٤ ديسمبر سنة ١٩٢٤ م (٢) ، وشرع يستعد لحصار جدة والمدينة ، ويعمل للقضاء على نفوذ الأشراف ، وطردهم من جميع أرضى الحجاز . وشرع الملك على من جهته يتحصن بجدة ويجمع الجند من سوريا وفلسطين وشرق الأردن ؛ وأخذ مع هذا يحاول الصلح ويبعث بالوسطاء إلى ابن سعود لحل الخلاف صلحا . ولم تفلح هذه المحاولات فقد ردها ابن سعود جميعها ، مصرحا بأنه قد أعطى العالم الإسلامى عهداً بأن

---

(١) راجع « جزيرة العرب » ص ٢٨٩ — ١٩٠ .

(٢) راجع « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٣٨ .

يجعل حل المسألة فى يد المسلمين بعد طرد الأشراف ، وبأنه سيدعو مؤتمراً إسلامياً للفصل فى مصير الحجاز وتقرير نظام الحكم فيه (١) :

حصار جدة والمدينة والقضاء على حكومة الأشراف

بعد سقوط مكة فى أيدى السعوديين شرعوا يتجهون نحو الجنوب الغربى والشمال الغربى يريدون الحصول على منفذ على البحر الأحمر ، وقد تحصن الملك على بجدة ميناء مكة وثغر الحجاز ، فاستولوا على القنفذة فى شمال عسير وجنوب جدة ومهدوا الطريق منها إلى مكة ، ثم استولوا أيضا على رابغ شمال جدة ، وجعلوها ميناءً تجاريا لمكة بدل جدة ، وميناءً للحج فى سنة ١٣٤٣ هـ (٢) .

وفى أوائل (٣) يناير سنة ١٩٢٥ وصلت جيوش ابن سعود إلى جدة

---

(١) كان الوسطاء فى الصلح ثلاثة : السيد طالب النقيب ، والرحالة العربى الأمريكى أمين الريحانى ، والمستر فلبى الانكليزى (الحاج عبد الله فلبى الآن) .

المرجع السابق ص ٣٢٤ ، و « جزيرة العرب » ص ٢٩٠ .

(٢) تبعد القنفذة عن مكة بنحو مئتى ميل ، ولهذا استولت الجيوش السعودية بعد ذلك على الليث التى تقع على مسافة تسعين ميلا من مكة إلى الجنوب الغربى منها . أما رابغ فتقع على مسافة تسعين ميلا شمالى جدة ، ومائة وعشرة أميال من مكة إلى الشمال الغربى منها « تاريخ نجد الحديث » ص ٣٤٢.

(٣) ظهرت الطلائع للجيش النجدى الذى حاصر جدة فى ٤ يناير سنة ١٩٢٥ .

المرجع السابق ص ٣٦١ .

وحاصرتها ، وبعد ذلك بقليل حوصرت المدينة أيضا ، وبقيت جدة والمدينة محاصرتين مايقرب من سنة كانت رحى الحرب خلالها دائرة بين ابن سعود والملك على .

أخذت الأحوال بعد الحصار تشتد على الحكومة الحجازية ، فاضطربت أمورها وعجزت عن دفع رواتب الجند ، فسقطت المدينة فى يد ابن سعود فى ١٩ جمادى الأولى سنة ١٣٤٤ هـ / ٥ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م ، بعد حصار دام عشرة أشهر (١) . وبعد ذلك بأيام عجز الملك على عن مواصلة الدفاع عن جدة ، فوسط المعتمد البريطانى المستر غوردون ليعقد صلحا بينه وبين ابن سعود ؛ وبعد اتصال المستر غوردون بابن سعود اجتمع معه فى الرغامة فى يوم الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م واتفقا على الشروط التى تنازل بمقتضاها الملك على عن الملك (٢) .

وكانت هذه الشروط تقتضى أن يغادر الملك المغلوب على أمره الحجاز بأمتعته الخاصة فقط ، وأن يسلم ابن سعود كل أملاك الدولة الحجازية ، ويتعهد بألا يخرب هو أو أحد رجاله شيئا من ذلك ؛ كذلك التزم بتسليم ماعنده من الأسلحة والمهمات الحربية إلى ابن سعود . وتعهد ابن سعود من جهته بأن يقوم

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨٢ .

(٢) انظر نص اتفاقية تسليم جدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

على أمن وسلامة أهل جدة فى أنفسهم ومالهم ، وبالعفو عن جند وأتباع الملك على ، وبترحيل الجند والضباط إلى بلادهم ، وبإعطاء هؤلاء نفقة السفر ؛ ثم تعهد بإبقاء من تثبت أمانته وكفاءته من موظفى الحكومة الحجازية فى وظائفهم.

غادر الملك على الحجاز فى ٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤ هـ / ٢٢ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م بعد عقد التسليم بخمسة أيام (١) ، وبذلك انتهى حكم الأشراف فى الحجاز ؛ فأصبح ابن سعود سيد الموقف غير منازع ، وأصبحت دولته تشمل نجداً والحجاز والملحقات .

العدول عن فكرة المؤتمر وانتخاب ابن سعود ملكاً للحجاز

نشأت فكرة المؤتمر وقت أن دخل الجيش السعودى مكة ووعد ابن سعود بأن العالم الإسلامى هو الذى سيقرر مصير الحجاز ، ثم تقررت هذه الفكرة فى السنة التالية عند مقابلة وفد الصلح المصرى الذى كان يرأسه فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الأزهر الأسبق المغفور له الشيخ المراغى ـ وقد كان رئيسا للمحكمة

---

(١) ذهب الملك على إلى العراق ونزل ضيفاً على أخيه الملك فيصل ، ولم يزل هناك حتى أدركته الوفاة . أما والده الشريف حسين فإنه بقى بالعقبة إلى يونية سنة ١٩٢٦م حيث أرغمه الإنكليز على مغادرتها ، وسهلوا له الذهاب إلى قبرص ؛ ولم يزل بها حتى مرض وسمح له بالذهاب إلى عمان فى أواخر سنة ١٩٣٠ م فقضى بقية أيامه عند ابنه الأمير عبد الله وتوفى في يونيه سنة ١٩٣١ م ودفن بالقدس .



(عن كتاب Lord of Arabia By H. C.Armstrong مع تعديلات وزيادات)

(١) الرياض وما يحيط بها .
(٢) مقاطعة الخرج والأفلاج .
(٣) منطقة سدير والوشم ، شمال الرياض .
(٤) منطقة القصيم .
(٥) منطقة الأحساء .
(٦) واحتا تربة والخرمة على حدود الحجاز .
(٧) منطقة حائل ، وجبال شمر .
(٨) منطقة وادى السرحان ، وتيماء ، وخيبر .
(٩) الحجاز
(١٠) عسير .
(١١) الربع الخالى .

الشرعية العليا إذ ذاك ـ لابن سعود فى سبتمبر سنة ١٩٢٥ م . فلقد اشترك فضيلته بعد الإخفاق فى مهمة الصلح مع رجال ابن سعود فى وضع الأسس لانعقاد المؤتمر ، وصرح ابن سعود بأنه سيفوض جلالة ملك مصر فى الدعوة لهذا المؤتمر . ولم تزل الفكرة موجودة حتى بعد تسليم جدة ، فإنا نرى ابن سعود يقول فى منشوره الذى أذاعه على الحجازيين فى ٢٤ ديسمبر سنة ١٩٢٥ « وأما مستقبل البلاد فلا بد لتقريره من مؤتمر يشترك فيه المسلمون جميعا ينظر فى مستقبل الحجاز ومصالحه (١) » . ولكنا نرى ابن سعود يتحول عن تلك الفكرة بعد هذا الإعلان بقليل بحجة أن العالم الإسلامى لم يلب الدعوة ، ولم يظهر من الاهتمام بالأمر ماينبغى (٢) .

ثم كان أن اجتمع الحجازيون وقرروا انتخاب ابن سعود ملكا للحجاز ، وقبل هو ذلك ، وأعلنت ملكيته للحجاز فى ٢٢ جمادى الآخرة ١٣٤٤ هـ / ٨ يناير سنة ١٩٢٦م ، فأصبح سلطان نجد وملك الحجاز ؛ وبقى كذلك حتى

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبه ص ٢٩٤ .

(٢) الواقع أن جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود دعا العالم الإسلامى لعقد مؤتمر فى مكة لتقرير مصير الحجاز قبل مغادرته للرياض فى مبدأ غزو الحجاز فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٣ هـ وقد كرر هذه الدعوة بعد ذلك ، ثم عززها فى ١٠ ربيع الثانى سنة ١٣٤٤ هـ بكتاب خاص أرسله إلى الحكومات والشعوب الإسلامية . ولم يلب هذه الدعوة غير فريق من مسلمى الهند ، وجمعية الخلافة هناك .

« تاريخ نجد الحديث » ص ٣٨٨ .

تغير اللقب فى ١٩ يناير سنة ١٩٢٧ م فأصبح ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ثم فى ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م أصبح ملك المملكة العربية السعودية بعد توحيد أجزاء المملكة (١) .

---

(١) راجع « قلب جزيرة العرب » ص ٣٩١ — ٣٩٢ .

المرحلة الرابعة فى تاريخ عبد العزيز آل سعود

تغير الوضع السياسى الدولى للجزيرة العربية بجلوس جلالة الملك عبد العزيز آل سعود على عرش الحجاز ، واستأنف جلالته بذلك مرحلة جديدة فى التاريخ بعد أن أصبح سيد الجزيرة ، وبعد أن شعر بقوة مركزه وخطورته فى نظر المسلمين ونظر الدول جميعها . وعلى هذا الأساس شرع جلالة الملك العربى المسلم يقرر مركزه الدولى ، وينظم علاقاته بالدول .

علاقات ابن سعود بالدول بعد فتح الحجاز

وقد كانت بريطانيا العظمى أول دولة ارتبطت بابن سعود وتعاهدت معه فى سنة ١٩١٥ م على ماسبق . وكانت معاهدة القطيف فى سنة ١٩١٥ م معاهدة حماية ضربت فى ذلك الوقت من الإنكليز الأقوياء على ابن سعود الناشىء فى فن الملك والسياسة . أما الآن ، وقد تدرج الأمير السعودى فى مدارج القوة والحكم حتى أصبح ملك نجد والحجاز والملحقات ، فالواجب أن يصحح مركزه وأن يقف من الدول وفى مقدمتها انكلترا موقف الند للند .

بهذه الروح تقدم جلالة الملك إلى الحكومة الانكليزية وطلب إليها إلغاء معاهدة الحماية ، وعقد معاهدة أخرى لتسوية مابينهما من علاقات على أساس التكافؤ والاستقلال ، فاجتمع مندوب جلالته سمو الأمير فيصل ومندوب الحكومة

الانـكليزية السير جلبرت كليتون ، وتم الاتفاق بينهما على معاهدة جدة التى وقعت فى ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هـ / مايو سنة ١٩٢٧م [١] .

وكان أهم ماجاء فى هذه المعاهدة الأمور الآتية :

ا — اعتراف الانـكليز صراحة فى المادة الأولى بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

ب — النص على إلغاء معاهدة الحماية (معاهدة القطيف) فى المادة التاسعة

جـ — تعهد جلالة الملك ابن سعود بأن يتعاون بـكل مالديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق فى المادة السابعة .

د — تعهده فى المادة السادسة بعدم الاعتداء على الامارات العربيـة الواقعة على الخليج الفارسى والداخلة فى حماية الانـكليز ، وهى إمارات الـكويت والبحرين وقطر وعمان .

ثم تتالت بعد ذلك اعترافات الدول بابن سعود ، وعقدت معاهدات الصداقة بينها وبينه ، [٢] فتعاهدت معـه فرنسا واعترفت به فى نوفمبر سنة ١٩٣١ م ، وإيطاليا فى فبراير سنة ١٩٣٢ م . وكذلك فعلت الدول الاسلامية

---

(١) راجع النص الـكامل لمعاهدة جدة فى ملحق الوثائق بنهاية الـكتاب.

(٢) راجع « ملوك المسلمين المعاصرون » تجد نصوص هذه المعاهدات المختلفة فى جـ ١ ص ١٥١ — ١٦٤ .

معه ، وسوت علاقاتها به ، فتعاقد معه الإمام يحيى ، إمام اليمن بمعاهدة صداقة فى أواخر سنة ١٩٣١ م ، بيد أن الحوادث تطورت بين الزعيمين العربيين على ماسيأتى تفصيله فى تاريخ الإمام .

سوى ابن سعود علاقاته مع كل الدول التى تربطه بها مصالح مشتركة ؛ وكانت مصر مع الأسف الشديد فى مؤخرة الدول التى اعترفت به ، ونظمت معاملتها معه ، على الرغم من كثرة المصالح المشتركة ، ومن وجود الروابط القوية التى تربط الشعب المصرى بأخيه الشعب العربى . فلقد طغت عوامل السياسة ، وتحكم النفوذ الأجنبى الذى كان لابد من أن يحسب له حسابه فى ذلك الوقت ، وظل الأمر كذلك حتى قيض الله للشعب المصرى من ينفذ إرادته ويعمل لمصلحته ؛ فتم الاتفاق وعقدت معاهدة الأخوة والصداقة بين مصر والمملكة العربية السعودية فى عهد وزارة « صاحب المقام الرفيع » على ماهر « باشا » فى مايو سنة ١٩٣٦م [1] . ثم سارت الأمور بعد ذلك فى طريقها الطبيعى ، فازدادت العلاقات توطداً بين البلدين الشقيقين ، الأمر الذى مهد لعهد جديد فى تاريخ العلاقات السياسية السعودية ، وفى تاريخ علاقات الدول العربية بعضها ببعض على الإطلاق .

---

(١) انظر نص المعاهدة فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب

ابن سعود والوحدة العربية :

كان عبد العزيز آل سعود فى مقدمة العاملين لتوحيد كلمة العرب والساعين لتحقيق الوحدة العربية علماً منه بأن مصالح الأمة العربية وحقوقها لا تنال إلا بالاتحاد والتضافر بين الشعوب العربية المختلفة ، هذا الاتحاد الذى يتمثل فى تفاهم رؤساء العرب وحكوماتهم بعضهم مع بعض ؛ وفى توحيد الخطط المشتركة للوصول إلى أهداف العروبة الموحدة « فى المجد والاستقلال والمساهمة الفعالة فى بناء حضارة إنسانية » .

فطن عاهل الجزيرة إلى هذا وسعى له من زمن بعيد ، يوم أن كان أميراً عربياً ناشئاً فى الحكم والسلطان ، ووقت أن كان لايزال يسعى فى بناء ملكه وتوطيد دعائمه ؛ فلقد كتب فى مستهل الحرب الكبرى الأولى إلى أمراء الجزيرة العربية فى ذلك الوقت يقترح عليهم الاجتماع معه للتفاهم على الخطة التى ينبغى اتباعها ، ويقول لهم : « علنا نتفق فننقذ العرب من أهوال الحرب ، ونتحالف ودولة من الدول لصون حقوقنا وتعزيز مصالحنا » (١) . فهو إذاً فى الطليعة من بناة « الجامعة العربية » المؤمنين بها والعاملين لتحقيقها من قديم ، كما صرح بذلك جلالته أثناء تشريفه لمصر فى زيارته لشعب مصر وملكها فى يناير سنة ١٩٤٦ م ، حيث قال موجهاً الخطاب إلى أعضاء الوفد المكون من مشايخ العرب فى مصر عندما تشرفوا

---

(١) راجع ص ١٢٨ — ١٢٩ من الكتاب ، و ص ١٩٦ — ١٩٧ من « تاريخ نجد الحديث » . وص ٢٧٦ من « جزيرة العرب » .

بالمثول بين يدى جلالته بقصر الزعفران ، قال : « إن جامعة الدول العربيـــة ليست بنت اليوم ، فقد فكرنا فيها منذ زمن بعيد ، وقد كان يعرف ذلك أخى المرحوم حمد الباسل ، كما يعرفه البشير السعداوى » (١) .

ولقد كان تفكير عبد العزيز آ ل سعود فى توحيد كلمة العرب ، وعمله المتواصل لبناء الوحدة العربية متلائماً ومنسجماً تمام الانسجام مع الشعور العام القوى الذى تمكن من نفوس العرب فى سائر الأقطار ، بعد أن آمن أبناء الأمة العربيـــة بأنه لاسبيل إلى الحرية والاستقلال ولا سبيل إلى النهوض والفكاك من وثاق الاستعمار إلا بالاتحاد والتآزر وجمع القوى المتفرقة وتوجيهها لتحقيق الهدف المشترك لكافة الشعوب العربية .

تنبه دعاة الإصلاح من العرب لهذا وعملوا له خصوصاً فى العراق ومصر ، وقامت فى مصر خلال عام ١٩٤٢ م حركة مباركة ؛ ترمى إلى « تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الأقطار العربيـــة ، والسهر على مصالحها والدفاع عن حقوقها » . وتأسس لهذه الغاية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٩٤٢ م « نادى الاتحاد العربى » فى مدينة القاهرة (٢) ، ثم أنشئت بعـد ذلك فروع لهذا النادى فى غيرها من المدن . وتدرجت هذه الحركة المباركة فى طريق النمو والازدهار

---

(١) حدث هذا فى يوم الخميس ١٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٧ يناير سنة ١٩٤٦م.
(٢) راجع ص ٩٦ من « نحو الوحدة العربية » للدكتور يوسف هيكل .

حتى آمن رؤساء الحكومات العربية بأن عليهم أن ينفذوا إرادة شعوبهم ، وبأنه قد حان الوقت المناسب لأن يقودوا الحركة وأن يترجموا رغبة أمتهم العربية فى الوحدة إلى أعمال تأخذ مكانها فى سجلات التاريخ ، وتترتب عليها آثارها الطيبة بإذن الله ؛ خصوصاً وقد وثقت هذه الحكومات من أن الحكومة الإنكليزية صاحبة النفوذ والسلطان سوف لاتقف فى سبيل تحقيق الوحدة العربية بعد أن أعلن المستر إيدن وزير خارجية بريطانيا العظمى عطف حكومته وتعضيدها « لكل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية » (١) . فتقدمت حكومة مصر الصفوف ، ولبت نداء الواجب

---

(١) كان للمستر إيدن فى هذا الشأن تصريحان متتابعان ، أو لهما حدث فى مقر رئيس البلدية فى لندن بتاريخ ٢٩ مارس سنة ١٩٤١ م ، حيث قال : « ان كثيرين من مفكرى العرب يرغبون فى أن تتمتع الشعوب العربية بنصيب من الوحدة أكبر من النصيب الذى تتمتع به الآن . وهم يأملون منا المعاضدة فى بلوغ هذه الوحدة ، ولا يجوز لنا أن نغفل أى نداء يوجهه إلينا أصدقاؤنا بهذا الصدد . ويبدو لى أن من الطبيعى ومن الحق أن تتوثق الروابط الثقافية والاقتصادية ، والروابط السياسية أيضا بين الأقطار العربية . وستعاضد حكومة جلالته معاضدة تامة أى مشروع ينال الموافقة العامة » .

أما التصريح الثانى فقد أدلى به المستر إيدن بتاريخ ٢٤ فبراير سنة ١٩٤٣ م فى مجلس العموم البريطانى وقد جاء فيه قوله : « إن حكومة صاحب الجلالة تنظر بعين العطف إلى كل حركة بين العرب لتعزيز وحدتهم الاقتصادية أو الثقافية أو السياسية ؛ ولكن من الجلى أن الخطوة الأولى لتحقيق هذا المشروع يجب أن تكون من العرب أنفسهم . والذى أعرفه أنه لم يوضع إلى الآن هذا المشروع الذى سينال استحسانا عاما »

راجع ص ٥٥ — ٥٦ من المرجع السابق .

بقى أن نقول إن تصريح المستر إيدن بهذا كان بعد شعور الحلفاء وفى مقدمتهم بريطانيا برغبات الشعب العربى الملحة ، وبعد معرفتهم الهدف السامى الذى يسعى إليه العرب =

بحكم مركز مصر من البلاد العربية الشقيقة ، ووضع رئيس الحكومة المصرية الخطة العملية لتحقيق الوحدة العربية ، وأعلن عن هذه الخطة فى بيانه الخطير الذى ألقاه بمجلس الشيوخ فى الجلسة المنعقدة بتاريخ ٣١ مارس سنة ١٩٤٣ م حيث قال : « . . . منذ أعلن المستر إيدن تصريحه فكرت فيه طويلا . ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التى يمكن أن توصل إلى غاية مرضية هى أن تتناول الحكومات العربية هذا الموضوع . وانتهيت من دراستى إلى أنه يحسن بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية فى هذا السبيل ، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمى إليه من آمال ، كل منها على حدة ؛ ثم تبذل الحكومة المصرية جهودها فى التوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت السبيل إلى ذلك ، ثم تدعوهم جميعاً إلى مصر فى اجتماع ودى لهذا الغرض ، حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية من جهة متحدة بالفعل . فإذا تمّ التفاهم أو كاد ، وجب أن يعقد فى مصر مؤتمر برياسة رئيس الحكومة المصرية لإكمال بحث الموضوع واتخاذ مايراه المؤتمر من القرارات محققاً للأغراض التى تنشدها الأمم العربية . . . » .

شرعت الحكومة المصرية فى تنفيذ هذه الخطة ، فطلبت من الحكومات العربية ، كل على حدة ، إرسال ممثلين عنها لاستطلاع آرائهم فى موضوع

= ويودون تحقيقه ؛ كما كانت مصلحة الحلفاء إذ ذاك تقتضى تكتيل العرب وتجميعهم ليقفوا معهم ضدخصومهم ؛ وأخيراً فإن بريطانيا بالذت كانت ترى أن الجامعة العربية المنشودة سوف تكون من صنائعها المنفذين لسياستها ، تلك الأمنية التى لم تتحقق على الوجه المأمول كما سنبين ذلك فيما بعد .

الوحدة العربية . ولبت هذه الحكومات طلب مصر ، وكانت حكومة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فى مقدمة الملبين لهذا الطلب والعاملين بإخلاص للوصول إلى الهدف ، فحضر وفدها إلى مصر وبدأ المباحثات مع الحكومة المصرية فى ١١ اكتوبر سنة ١٩٤٣ م ، وبعد أن أتمت هذه الحكومة مشاوراتها ومباحثاتها مع وفود العراق ، وشرق الأردن ، والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ، ولبنان ، واليمن منفردين على التوالى ؛ وبعد أن رأت أن الجو أصبح ممهداً لاجتماع الوفود العربية وبحثهم شئون الوحدة العربية مجتمعين ، دعت الحكومات العربية من جديد لترسل وفودها إلى مصر حتى يعقدوا مؤتمراً عربيا عاما يبحثون فيه قضيتهم ، ويحققون بإذن الله وحدتهم . ولقد حضرت الوفود واجتمعت بالاسكندرية فى ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤ م وألفت « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » . فاجتمعت هذه اللجنة ، ودرست قضية الوحدة العربية ، وخرجت من بحثها ودراستها فى ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ م بقررات على جانب عظيم من الأهمية والخطر ، فأصدرت « بروتوكول الإسكندرية » الذى يسجل ميلاد « الجامعة العربية » ويباركه [١] ؛ كما ألفت لجنة فرعية من أعضائها لإعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة العربية » . ووقعت وفود الحكومات العربية على قرارات مؤتمر الإسكندرية إلا أن وفد المملكه العربية السعودية ووفد اليمن احتفظا بحق عرض هذه القرارات

---

(١) راجع البروتوكول وجميع القرارات التى صدرت فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

على صاحبي الجلالة مليكيهما . وبعد دراسة القرارات وافق صاحبا الجلالة عليها ، وأرسل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ممثلا عنه لتوقيع « بروتوكول الإسكندرية » فحضر ووقعه ، وكذلك أمر جلالة الإمام يحيى ممثله فى مصر بتوقيع « البروتوكول » عنه . وبذلك تمت موافقة جميع الحكومات العربية التى دعيت إلى مؤتمر الإسكندرية على قرارات « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » ، وافتتحت الأمة العربية عهداً جديداً فى تاريخ العروبة ، وابتدأت مرحلة هامة فى طريق النهوض والاستقلال .

اجتماع رَضْوَى (١) .

وفى أثناء هذه الحركة المباركة برز إلى ميدان العروبة عامل جديد من عوامل الوحدة ، إذ قام ملك مصر السابق بزيارة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية فى بلاده ، مدفوعا إلى ذلك بروح الوحدة العربية الذى كان يسيطر على الموقف ، وعلى نفوس الشعب المصرى وسائر الشعوب العربية .

ففى يوم الاثنين الموافق ٢٢ يناير سنة ١٩٤٥ م أبحر ملك مصر السابق من ميناء السويس على اليخت الملكى « فخر البحار » متوجهاً إلى الميناء الحجازى ينبع ،

---

(١) رضوى : جبل عند ينبع ، معروف عند العرب ، وله شهرة فى التاريخ الإسلامى . وبه سمى هذا الاجتماع التاريخى المشهود .

لزيارة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود عاهل الجزيرة العربية الكريم ، فوصل إلى ينبع يوم الأربعاء الموافق ٢٤ يناير سنة ١٩٤٥ م . وفى الساعة الحادية عشرة من ذلك اليوم غادر ملك وادى النيل اليخت الملكى — وفى معيته مستقبلوه من أمراء البيت السعودى ، ورجال الدولة السعودية العربية ، ورجال حاشيته — إلى المرسى الذى أعد لنزول جلالته . وكان فى استقباله صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود الذى رحب به أجمل ترحيب واستقبله أروع استقبال . وفى هذه الزيارة التاريخية اجتمع الملكان لأول مرة ، وكان اجتماعهما تحت ظلال رضوى ، وخلد هذا الاجتماع الملكى الهام فى سجل التاريخ تحت اسم « اجتماع رضوى » .

وفى اجتماع رضوى تباحث الملكان فيما يهم شعبيهما من شئون ، وما يهم الشعوب العربية والإسلامية على الإطلاق . « وقد ضَمِنَتْ المباحثات التى دارت بينهما خروج الجامعة العربية بنجاح من مرحلة البروتوكول إلى حيث أصبحت هيئة سياسية . هذا فضلا عن أن تلك المباحثات وضعت أساس التفاهم الودى بين الملكين » (١) . ولقد عبر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أحسن تعبير وأبلغه عن فضل هذه الزيارة فى ميدان العمل للوحدة العربية ، وعن الآثار

---

(١) هذه عبارة جريدة « التيمس » فى المقال الافتتاحى الذى نشرته بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٤٦ م عن مباحثات رضوى بمناسبة زيارة عاهل الجزيرة العظيم لمصر ، التى ابتدأت فى اليوم التالى لنشر المقال .

الهامة فى تاريخ العرب والعروبة التى ترتبت على اجتماع رضوى ، وعلى تفاهم الملكين العربيين ، عبر عن هذا فى رسالته الكريمة التى وجهها إلى شعبه بمناسبة عودته إلى مملكته عقب الزيارة التى أداها جلالته لشعب مصر وملكها فى يناير سنة ١٩٤٦ م ، حيث يقول : « ... شعبى العزيز ! لقد افتتح أخى ملك مصر حصن الإخاء تحت ظلال رضوى ، وتوج الله ذلك الإخاء بمودة لا انفصام لها بمشيئة الله ؛ لم تكن بين قلوبنا فى بلدينا فحسب ، بل كانت سبيلا وطريقاً لاجتماع كلمة العرب على مايجمع شملهم ويحفظ لهم عزهم وسعادتهم فى كل موطن من مواطن العروبة » (١) .

ومما لاشك فيه أنه فى اجتماع رضوى قد توطدت أركان مشروع الوحدة العربية ، وأن هذا الاجتماع قد خطا بتلك الوحدة خطوات واسعة نحو التحقيق وأنه « محا أثر ما كان يتفوه به أعداء العرب من أن الوحدة العربية غير قابلة التحقيق لفقدان التفاهم عليها بين ملوك العرب وأمرائهم » (٢) . فبعد هذه الزيارة المباركة وهذا الاجتماع الميمون حدثت زيارة كريمة أخرى من رئيس عربى كريم للمملكة العربية السعودية ، ثم لمصر ، فى سبيل التفاهم ووضع الخطط المشتركة لتوحيد كلمة العرب والعمل لصالح الأمة العربية فى جميع الأقطار فلقد زار رئيس الجمهورية السورية فى ذلك الوقت صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى يوم الخميس الموافق

---

(١) نشرت هذه الرسالة الملكية فى الصحف المصرية بتاريخ ١٧ يناير سنة ١٩٤٦

(٢) ص ١٠٤ من كتاب « نحو الوحدة العربية » .

٨ فبراير سنة ١٩٤٥ م تلبية لدعوة جلالته لفخامته ؛ ثم أعقب فخامته هذه الزيارة بزيارة ثانية لملك مصر السابق فى يوم الإثنين الموافق ١٢ فبراير سنة ١٩٤٥ م . وكانت هاتان الزيارتان الكريمتان مما استتبعه اجتماع رضوى ، وللغرض الذى أشرنا إليه .

كذلك استتبع اجتماع رضوى المبادرة بدعوة اللجنة الفرعية التى تتبع « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » إلى الانعقاد ، تلك اللجنة الفرعية المؤلفة من وزراء الخارجية للدول العربية لوضع مشروع النظام لمجلس جامعة الدول العربية ، كما سبق أن ذكرنا . فاجتمع أعضاء هذه اللجنة وعقدوا ستة عشر اجتماعا فى دار وزارة الخارجية المصرية بالقاهرة ، ابتداءاً من يوم الأربعاء الموافق ١٤ فبراير سنة ١٩٤٥ حتى يوم السبت الموافق ٣ مارس سنة ١٩٤٥ م . وخرجوا من هذه الاجتماعات التى كانت عامرة بالمناقشة والبحث بالمشروع المطلوب ، مشروع النظام لمجلس جامعة الدول العربية ؛ ووصلوا إلى هذه النتيجة المحمودة باتفاق جميع الآراء . ثم وقع وزراء الخارجية المجتمعون هذا المشروع فى آخر جلسة من جلساتهم صباح السبت ٣ مارس سنة ١٩٤٥ م ، واشترك معهم فى التوقيع ممثل الأحزاب العربية فى فلسطين ، وعلى أثر التوقيع على مشروع ميثاق جامعة الدول العربية ألقى رئيس الحكومة المصرية ووزير خارجيتها ، الذى كان رئيس اللجنة كلمة كان منها قوله : « ... والآن وقد أمضيتم مشروعكم ، فإنى سأرفعه فى أقرب فرصة إلى اللجنه التحضيرية ، التى سأدعو إلى اجتماعها قريباً ، حتى

إذا أقرته لم يكن بينه وبين النفاذ إلا فترة قصيرة ، هى فترة الإبرام . وأملى عظيم فى أن هـــذه الإجراءات تتعاقب سراعا ، فيمكن دعوة مجلس الجامعة إلى الانعقاد ، وتتحقق رغبة الشعوب العربية فى هذا الربيع ... وستكون هذه الجامعة أداة رقى للعرب وعزهم ومجدهم جميعاً ، فإن هذه الجامعة وإن كانت مؤلفة من الدول المستقلة الآن ، إلا أن عملها وغايتها ينصرفان لخير الأقطار العربيـة كلها ... » (١) .

وفى نفس هذه الجلسة الأخيرة حدد يوم السبت الموافق ١٧ مارس سـنة ١٩٤٥ م موعداً لاجتماع « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام » . وفى يوم الخميس الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ م توجت المفاوضات بين ممثلى الدول العربية بتوقيع ميثاق « جامعة الدول العربية » فى « قصر الزعفران » بمدينة القاهرة (٢) ، وشهدت القاهرة بذلك يوماً هو بمثابة نقطة التحول فى مجرى حياة الأقطار العربية السياسى والاقتصادى والثقافى .

زيارة عبد العزيز آل سعود لشعب مصر وملكها :

كذلك كان من الامور الهامة والأحداث الفاصلة فى تاريخ العرب والعروبة والإسلام والمسلمين ، التى استتبعها اجتماع رضوى وكانت من نتائجه ، تلك

---

(١) نشر نص هذه الكلمة بصحف مصر الصادرة فى يوم الأحد الموافق ٤ مارس سنة ١٩٤٥م.

(٢) راجع نص الميثاق فى ملحق الوثائق بنهاية الكتاب .

الزيارة الميمونة التى أداها عاهل الجزيرة العربية لشعب مصر وملكها بعد مضى عام على اجتماع رضوى . ففى يناير سنة ١٩٤٦ م شرف صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود مصر بالزيارة بعد الدعوة التى وجهها إليه ملك مصر السابق. فى يوم الاثنين الموافق ٣ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٧ يناير سنة ١٩٤٦ م ، فى تمام الساعة الثالثة بعد الظهر ، أقلع اليخت الملكى المصرى « المحروسة » من ميناء جدة إلى مصر مقلا جلالة الضيف العظيم ورجال حاشيته ، الذين كان على رأسهم جمهرة من أصحاب السمو الملكى الأمراء السعوديين (١). وكان فى صحبة جلالته أيضاً بعثة الشرف المصرية التى كان يرأسها ناظر الخاصة الملكية المصرية فى ذلك الوقت المغفور له مراد محسن « باشا » ، أرسلها ملك مصر على اليخت الملكى المصرى زيادة فى التكريم لحضرة صاحب الجلالة الزائر الكبير . وفى الساعة العاشرة والنصف من صباح يوم الخميس الموافق ٦ صفر سنة ١٣٦٥ هـ/١٠ يناير سنة ١٩٤٦ م رسا اليخت « المحروسة » فى ميناء السويس ، فصعد إليه جلالة ملك مصر السابق ، وفى معيته كبار رجال الدولة ، فحيا ضيفه الكريم ، ورحب به على أحسن وجه من الترحيب .

وبعد أن نزل الملكان من اليخت واستراحا قليلا نهضا فاستقلا مع رجال الحاشية من الجانبين القطار الملكى الأبيض إلى القاهرة ، وتابع القطار سيره بجلالتيهما وسط مظاهر الفرح والابتهاج ومعالم الترحيب والتكريم حتى وصل إلى محطة العاصمة فى تمام الساعة الثالثة بعد ظهر ذلك اليوم المشهود .

---

(١) هؤلاء الأمراء السعوديون هم صاحب السمو الأمير عبد الله بن عبد الرحمن بن فيصل أخو جلالة الملك عبد العزيز ، واثنا عشر أميرا من أبناء جلالته .

ومكث جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى هذه الزيارة الهامة ثلاثة عشر يوما ، حيث أبحر جلالته فى رعاية الله وحراسته عائداً إلى مملكته من ميناء السويس فى الساعة الرابعة والربع بعد ظهر الثلاثاء الموافق ١٨ صفر سنة ١٣٦٥هـ / ٢٢ يناير سنة ١٩٤٦ م ، بمصاحبة بعثة الشرف المصرية ، وعلى نفس اليخت الملكى المصرى الذى حضر عليه « المحروسة » ، تحرسه الطوافتان المصريتان « فاروق » و « فوزية » ، فوصل بسلامة الله إلى ميناء جدة فى الساعة الثامنة من صباح الجمعة الموافق ٢١ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٥ يناير سنة ١٩٤٦م.

قضى جلالته هذه المدة فى القاهرة وضواحيها ، والمحلة الكبرى ، وأنشاص ، والاسكندرية ؛ وشاهد فيها الكثير من منشآت مصر الهامة ، وزار آثارها الخالدة ، واستعرض جيشها الفتى . فأتيحت لجلالته بذلك الفرصة للتعرف بمصر والمصريين عن قرب ومشاهدة . كما أتيحت لملك مصر وشعبه الفرصة للترحيب بضيفهم العظيم ، وعقد أواصر المودة والتعاون مع الملك العربى المسلم القوى ، فى سبيل خير العروبة والعرب ، وفى سبيل صالح الشعوب الإسلامية على العموم .

نعم فى سبيل الخير والصالح العام للعرب والعروبة والاسلام والمسلمين كانت هذه الزيارة الملكية الكريمة ، كما كانت الاجتماعات الخاصة التى عقدت أثناءها بين صاحبى الجلالة الملكين على انفراد . فقد اجتمعا مثلا فى سفح الاهرام ، فى مكتب الملك بالاستراحة الملكية الموجودة بقرب الهرم .

الأكبر قبل إذاعة بيانهما المشترك الذى سنتحدث عنه فيما بعد ؛ كما اجتمعا مثل هذا الاجتماع فى مزارع أنشاص الملكية أثناء الزيارة لها ، فقد اجتمعا هناك على انفراد فى الذهبية الملكية « استار » التى كانت راسية فى ترعة الإسماعيلية أمام قصر « الزهراء » الملكى . وفى هذه الاجتماعات وأمثالها كان العاهلان العربيان يبحثان فى مسائل الشرق ، والجامعة العربية ، ومستقبل الشعوب العربية من حيث العمل لاستقلالها والسعى لتكتلها وتآزرها لتقوى وتنهض .

ولم يكن للملكين أو لأحدهما فى هذه الاجتماعات مأرب خاص أو مصلحة خاصة ، كما أنها لم تكن وسيلة للتحزب وإنشاء المعسكرات داخل الجامعة العربية بمثل ماحاول أن يرجف به ويدس كتاب الاستعمار والصحفيون الصهيونيون . وإنما كانت لوجه الله خالصة فى سبيل مجد العرب واستقلالهم جميعاً كما قلنا ، وكما صرح صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، حيث يقول : « ... نحن نريد أن تكون علاقات العرب بعضهم ببعض علاقات إخاء وصداقة ووئام ، وليس لأحد منا مطمع أو غرض ؛ بل مطمعنا هو أن تكون جميع البلدان العربية سعيدة ، وغرضنا هو أن يكون كل بلد عربى مستقلا ولأهله. وأن تكون الكلمة فى شئونه له ، وأن يدافع الكبير عن الصغير ، فالحمد لله على ذلك . وأنا شخصياً لا أبغى شبر أرض واحد زيادة على المملكة التى ولينا عليها ، وكذلك لا يبغى أخى الفاروق شيئاً ، وما نحن سوى خادمين للعرب . وإذا كان لنا أن نطالب العرب بشىء فى مقابل مايوفقنا الله إلى إسدائه إليهم

فهو أن يعضدوا جامعة الدول العربية بكل قواهم ، وأن يلتفوا حولها بقلوبهم ، وأن يخلصوا لميثاقها . فإن هـذه الجامعة هى كل شىء الآن لنا نحن العرب ؛ وثقوا أننى وجلالة أخى الفاروق سنؤيدها بكل نفوذنا ، ونشد أزرها بكل ما نملك . وعلى الله الا تـكال » (١) . وبمثل هذه الروح الخيرة تحدث صاحب الجلالة الملك عبـد العزيز آل سعود مع وزراء الدول العربية حينما تفضل جلالتـه فجمعهم على مأدبة الغداء التى أقامها لهم فى « قصر الزعفران » بالقاهرة أثناء زيارته الملـكية فى يوم الأحد الموافق ٩ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٣ يناير سنة ١٩٤٦ م .

فلا شك اذاً أن هذه الزيارة الملـكية الـكريمة ، وما صاحبها من محادثات واجتماعات بين الملـكين العربيين كانت فى سبيل الصالح العام للشعوب العربية كافة ، كما كانت من عوامل تحقيق الوحدة العربية . « ولا يمكن أن تُصوَّر قوة العوامل على تحقيق الوحدة العربية بأجلى من هذا التعاون الجديد بين مصر والمملـكة العربية السعودية . فظروف البلدين مختلفة أشد الاختلاف ، وتقدمها الاقتصادى متفاوت ، وتاريخهما متباين كل التباين . والواقع أنه ليس من الأمور التى لا قيمة لها بالقياس إلى أمن الشرق الأوسط وطمأنينته أن يعمل

---

(١) صرح جلالته بهذا التصريح الخطير للأستاذ كريم « بك » ثابت فى قطار الديزل الملـكى أثناء العودة من أنشاص إلى القاهرة ، ونشر هذا التصريح فى العدد ١١١١ من مجلة المصور .

ممثلو بلاد هذا الشرق معا فى اتفاق وانسجام » (١) .

وكان من الأحداث الهامة أثناء تلك الزيارة ذلك التصريح الملكى المشترك الخطير ، الذى صرح به صاحبا الجلالة عبد العزيز آل سعود وفاروق الأول . فهو خطير بظروفه وملابساته التى أحاطت به ، كما هو خطير بمحتوياته ؛ فلقد أذيع فى مأدبة « الجامعة العربية » التى أقامها الأمين العام للجامعة لصاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ظهر يوم الأربعاء الموافق ١٢ صفر سنة ١٣٦٥ هـ / ١٦ يناير سنة ١٩٤٦ م ، وبحضور ممثلى دول « الجامعة العربية » السبع من الأمراء والوزراء وكبار رجالات العرب ، وفى دار «الجامعة العربية» الجديدة ، « قصر المانسترلى » بجزيرة الروضة بالقاهرة عند افتتاحها .

كذلك كانت محتويات البيان الملكى المشترك على جانب عظيم من الخطورة ، فقد سجل الملكان فيه مبدأ التعاون والتكافل فى تأسيس « الجامعة العربية » ، كما سجلا أن ذلك كان استجابة لرغبات الشعوب العربية وآمالها، وأن قيام «الجامعة العربية » ليس فيه شىء من العلو والاستكبار على أمة أخرى ؛ وإنما قيامها يعنى حرص العرب كل الحرص على حرية الشعوب العربية واستقلالها وسلامتها ، مع التعاون والتضامن مع الأمم الأخرى فى سبيل الخير للبشرية كافة .

وكان مما عنى به الملكان فى بيانهما على وجه خاص أن صرحا بأنهما يشاركان العرب والمسلمين جميعا فى إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية، وأنه يجب أن تبقى لأهلها عربية

---

(١) جريدة « التيمس » فى الافتتاحية التى علقت بها على زيارة عاهل الجزيرة لمصر فى العدد الصادر بتاريخ ٩ يناير سنة ١٩٤٦ م .

كما كانت دائما ؛ ثم تنويههما وإبرازهما لما يرمى إليه ميثاق « الجامعة العربية » من أن يكون لكل قطر عربى حقه الواضح فى تقرير مصيره والتمتع بحريته الكاملة .

وإليك نص هذا البيان الملكى كما أذاعته رياسة مجلس الوزراء بمصر . (١) وقد تشرف بالقائه المغفور له « صاحب الدولة » محمود فهمى النقراشى « باشا » رئيس مجلس الوزراء اذ ذاك عقب مأدبة الغداء :

«إن من دواعى سرورنا العظيم أن يكون اجتماعنا فى هذا المكان التاريخى، فى الدار الجديدة لجامعة الدول العربية ، تلك الجامعة التى كان من حظنا وحظ إخواننا ملوك العرب وأمرائهم ورؤسائهم أن يضعوا أسسها وأن يرعوها ، فيقيموها على دعائم من التعاون والتكافل لخير العرب وخير البشر كافة ، ويستجيبوا بذلك لرغبات الشعوب العربية وآمالها .

نحن نرغب أن تضرب جامعتنا دائما للناس جميعا المثل فى تعاون صادق بين جماعة من الدول ، متضافرة على سلامتها المشتركة ، ومتكافلة فى صيانة حريتها وإستقلالها .

---

(١) نشر هذا البيان فى الصحف المصرية الصادرة فى يوم الخميس الموافق ١٧ يناير سنة ١٩٤٦ م .

ونحن واثقون أن جامعتنا ، وهى تؤدى هذه الرسالة بين العرب ، لا تريد علوا ولا استكبارا على أمة أخرى ، بل نرى أن من أسمى مقاصدنا ومقاصدها التعاون مع أمم الأرض كلها على البر والحق والعدل والسلم الدائم .

ونحن كذلك نثق بأن جامعتنا التى تربأ بنفسها عن كل تفكير فى العدوان على غيرها ، تحرص كل الحرص على أن تدافع عن الحق والعدل والحرية .

ولم يكن المجهود العظيم الذى يبذله ملوك العرب وأمراؤهم ورؤساؤهم وحكوماتهم وشعوبهم لنصرة عرب فلسطين إلا تحقيقا لمبادىء الحق والعدل .

ونحن نشارك المسلمين والعرب جميعا فى إيمانهم بأن فلسطين بلاد عربية وأن من حق أهلها ، وحق المسلمين والعرب معهم ، أن تبقى عربية كما كانت دائما .

وانا لنقدر كل التقدير ما يرمى إليه ميثاق الجامعة العربية من أن يكون لكل قطر عربى حقه الواضح فى تقرير مصيره والتمتع بحريته الكاملة .

ويسعدنا أن تسير الأقطار العربية بخطى ثابتة نحو الوحدة وتضع من النظم مايزيد فى التقارب بينها وإحكام صلاتها ، ويؤدى إلى تبادل المنافع والخيرات لتسعد جميع طبقات الأمة العربية بعيش أرغد ، وتنعم بالثمرات الكثيرة التى وهبها الله سبحانه أرضهم وبلادهم .

ونحن واثقون كل الثقة أن الشعوب العربية التى تتمثل آمالها فى جامعة الدول العربية لا تريد إلا السلم والحق والإخاء العام، وأنها ستهتدى بسيرة أسلافها

فتحقق المثل العليا التى يوحيها إليها تاريخ العرب ونهضتهم العظيمة ودعوتهم للمساواة العامة بين الشعوب والطوائف والأفراد ، فتتعاون جامعتنا مع المؤسسات الدولية التى تقيمها الأمم المتحدة لتحقيق حرية البشر والعدل والإخاء ، فتكفل للحضارة الإنسانية سيرا موفقا فى ظلال سلم دائم » .

اجتماع أنشاص

وهذه خطوة أخرى مباركة فى سبيل الوحدة العربية ، وفى سبيل مجد العرب واستقلالهم ، نعتبرها نتيجة من النتائج الهامة التاريخية المترتبة على اجتماع رضوى ، وعلى اجتماعات القاهرة وأنشاص والإسكندرية التى تمت بين صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود وبين ملك مصر السابق . هذه الخطوة المباركة هى اجتماع أنشاص الذى تم بين ملوك العرب ورؤسائهم فى « زهراء أنشاص » بدعوة من ملك مصر ، الذى سبق له أن تعارف بملك المملكة العربية السعودية تحت ظلال رضوى . فمن اليوم الذى حصل فيه التعارف والمقابلة الشخصية بين عاهل الجزيرة العربية وبين ملك وادى النيل فى اجتماع رضوى ، ثم فى اجتماعات القاهرة وأنشاص والإسكندرية ؛ من هذا اليوم ابتدأت الأمة العربية تعرف طريقها الواضح الأعلام ، وتسير فيه تحت قيادة ملوكها ورؤسائها متضامنين متساندين نحو أهدافها المحددة فى ميدان النهوض والاستقلال والحرية .

والواقع أن القرارات التى اتخذت فى اجتماع أنشاص ، والتى سنتحدث عنها ، تعد بمثابة أعظم حدث سياسى شهده العالم العربى بعد تكوين « الجامعة العربية ». ولهذا فقدقرر حضرة صاحب الفخامة الرئيس السابق للجمهورية السورية السيد شكرى القوتلى أن هذا الاجتماع « أعظم اجتماع عرفه العرب فى تاريخهم من ألف سنة » (١) . وقد حضر هـذا المؤتمر الذى لم يسبق له مثيل حضرات أصحاب الجلالة والفخامة والسموملوك ورؤساء الدول السبع التى تتألف منها الجامعة العربية ؛ وهى مصر ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، وسوريا ولبنان ، واليمن ، وشرق الأردن . ولقد حضر الملوك والرؤساء جميعاً بأنفسهم ماعدا جلالة المغفور له الإمام يحيى حميد الدين الذى أناب عنه فى حضور المؤتمر نجله سمو الأمير سيف الإسلام عبد الله ؛ وما عدا جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، فقد أناب عنه ملك مصر السابق ، وأرسل مع ذلك نجله صاحب السمو الأمير سعود ولى العهد لحضور المؤتمر . قام إذاً ملك مصر فى حضور المؤتمر ، وفى توقيع بيان الملوك والرؤساء المشترك مقام الملك عبد العزيز آل سعود على الرغم من حضورابنه وولى عهده . وإن لهذا التصرف الملكى الكريم من جانب ملك المملكة العربية السعودية دلالته فى مدى توثق العلاقات بين مصر وبين هذه المملكة ، وفى الإشارة إلى مجهودها المشترك فى بناء الوحدة العربية وفى العمل

---

(١) هـذا ما صرح به فخامة الرئيس شكرى القوتلى فى وصفه لاجتماع أنشاص ، ولقد نشر هذا التصريح بمجلة « المصور » فى العدد رقم ١١٣٠ .

SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES
THE AMERICAN UNIVERSITY OF CAIRO
LIBRARY



حضرات أصحاب الجلالة ، والفخامة والسمو ملوك ورؤساء وأمراء الدول السبع التى تتألف منها جامعة الدول العربية فى اجتماع أنشاص يتوسطهم ملك مصر السابق ، وعن يمينه فخامة السيد شكرى القوتلى رئيس سوريا السابق ، ثم سمو الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وسمو الأمير سعود ولى عهد الملك عبد العزيز آل سعود ونائبه . وعن يسار ملك مصر يجلس المغفور له الملك عبد الله ملك المملكة الهاشمية الأردنية السابق ، ثم فخامة الشيخ بشاره الخورى رئيس لبنان السابق ، وسمو الأمير سيف الإسلام عبد الله نائباً عن والده ملك اليمن .

لتدعيم مابين ملوك العرب ورؤسائهم من روابط المودة والإخاء كما تتطلب العروبة والمصالح المشتركة والصالح العام لسائر الشعوب العربية .

عقد اجتماع أنشاص فى القصر الملكى المعروف « بزهراء أنشاص » ، بالمزارع الملكية التابعة لأنشاص من أعمال مديرية الشرقية ، وكان على التحديد فى البناء الحديث الذى بناه ملك مصر السابق على مسافة نحو كيلو مترين من القصر القديم ؛ ويعرف هذا البناء الحديث « بالحمام » لأنه أنشئ فيه حمام كبير للسباحة . وعقد فى يومين متتابعين ، يومى الثلاثاء والأربعاء ٢٦ و ٢٧ من جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ / ٢٨ و ٢٩ من مايو سنة ١٩٤٦ م ؛ ففى اليوم الأول عقد الاجتماع بعد الظهر واستمر ثلاث ساعات ، وفى اليوم الثانى استمر الاجتماع من الساعة الخامسة بعد الظهر إلى نحو منتصف الليل ، وقد تم فى هذا الاجتماع الثانى الاتفاق على جميع النقط ، وعلى مشروع صيغة الوثيقة التى تمضى . ولقد افتتح ملك مصر السابق المؤتمر بكلمة بين فيها الغرض من الاجتماع ، وأكد فيها الوحدة الوثيقة التى تربط بين العرب بعضهم وبعض ، شعوبهم ، ودولهم ، وملوكهم ورؤسائهم . وقال فى كلمته :

« إن اجتماعنا هو قبل كل شىء للتعارف ، ولكى نظهر للعالم جليا أنه ليس بيننا أو بين دولنا أى انقسام ، لا فى الأشخاص ولا فى الآراء . ثم

لنبحث الشئون التى تهم بلادنا ونتشاور فيها ، فيعرف كل واحد منا رأى أخيه ، فيشير على حكومته بما هو أفضل .

والله أسأل أن يوفقنا جميعاً إلى ما فيه خير العرب ومجدهم ، آمين ! »

وبعد انتهاء المؤتمر العربى الذى جمع ملوك العرب ورؤساءهم على مائدة ملك مصر فى « زهراء أنشاص » أذاعت الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بعد ظهر يوم الخميس الموافق ٢٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ هـ/ ٣٠ مايو سنة ١٩٤٦م نص البيان المشترك الذى أصدره المؤتمرون . ولقد سبق أن حضر الأمين العام للجامعة جلسات هذا المؤتمر ؛ وإن فى حضور أمين الجامعة العام وممثلها لتلك الجلسات ، وفى إذاعة ذلك البيان التاريخى عن طريق أمانة الجامعة لتأييد عملى من ملوك العرب ورؤسائهم لجامعتهم العربية وتعضيد قوى منهم لها . وهم ولا شك حريصون كل الحرص على تأييدها وتعضيدها ، « فلسان العرب الآن هو الجامعة العربية ، ويجب على العرب أن يلتفوا حولها ويؤيدها » كما قال صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود (١) .

ولقد عالج الملوك والرؤساء العرب فى بيانهم ثلاث مسائل كانت ملحة وعلى جانب عظيم من الأهمية للعالم العربى فى ذلك الوقت ، وهى لاتزال الشغل

---

(١) قال جلالته ذلك فى حديث له مع الأستاذ سماحة مندوب « المصور » أثناء زيارة جلالته لمصر ، ونشر الحديث فى عدد « المصور » الصادر فى ١٨ يناير سنة ١٩٤٦ م

الشاغل للشعوب العربيـة إلى الآن ، على الرغم مما جد من الحوادث والمشاغل ومن التغير فى كثير من الاحوال .

هذه المسائل الثلاث هى مسألة فلسطين ، ومسألة الممتلكات الإيطالية فى شمال إفريقية ، والمسألة المصرية . فبعد أن مهد الملوك والرؤساء العرب فى البيان بأنهم متفقون تمام الاتفاق على أن دول « الجامعة العربيـة » ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم مع الجميع ، وعلى أنها ترى أن أعظم الوسائل إلى ذلك التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها ، بعد هذا التمهيد عالجوا مسألة فلسطين . وكان ذلك عقب أن كشفت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية القناع عن وجهها ؛ وبعـد أن أظهرت التحيز التام لليهود ، وصرحت بأنها ترى وجوب السماح لمائة ألف آخرين من اليهود بالهجرة إلى فلسطين ، كما أوصت بذلك لجنة التحقيق الإنجليزية الأمريكية فى تقريرها .

فردًّا على هذا الموقف من جانب حكومة الولايات المتحدة وبياناً لموقف العرب منه صرح الملوك والرؤساء العرب فى البيان بأن قضية فلسطين قضية العرب جميعاً ، وبأن فلسطين عربية ، وعلى العرب المحافظة على عروبتها ، وبأن العرب لا يوافقون على أية هجرة جديدة إليها ، وبأنهم يعتبرون ذلك نقضاً للكتاب الأبيض الإنـكليزى الذى ارتبط به الشرف البريطانى ؛ ثم نوّهوا بأن ذلك لو تمّ سيكون من شأنه تـكدير العلاقات بين الدول والشعوب العربية وبين الدولتين الديمقراطيتين ، أمريكا وبريطانيا . وبعـد ذلك كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يطلب إلى مجلس الجامعة اتخاذ أفعل الوسائل لصيانة مستقبل فلسطين العربية .

أما مسألة المستعمرات الإيطالية فى شمال إفريقية فقد كانت أيضاً من مسائل الساعة الهامة ، بعد أن شرعت دول الحلفاء فى التشاور للبت فى مصير هذه البلاد وأهلها ، وبعد أن فضحت أغراض الحلفاء الاستعمارية عن نفسها . لهذا كانت من المسائل التى عالجها الملوك والرؤساء فى بيانهم ، فصرحوا فى شأن طرابلس وبرقة بأن استقلالها أمر طبيعى وعادل ، وأنه ضرورى لأمن مصر والبلاد العربية ؛ وأن على الجامعة العربية أن تهيء الأسباب لهذا الاستقلال ، وأن تتعهده حتى تظهر الحكومة العربية فى تلك البلاد وتستطيع النهوض بأعبائها عضواً من أعضاء الجامعة العربية . (١)

والمسألة الثالثة من المسائل التى عالجها البيان هى المسألة المصرية . وقد كانت أيضاً مسألة الساعة الهامة ، خصوصاً وقد جاء اجتماع الملوك والرؤساء العرب عقب توقف المفاوضات المصرية الإنجليزية فى يوم ٢٢ مايو سنة ١٩٤٦ م بسبب تعنت الجانب الإنكليزى ، وحرصه فى مشروع المعاهدة الذى قدمه للجانب المصرى بتاريخ ١٩ مايو على أن يكون متضمناً للروح الذى كان سارياً فى معاهدة سنة ١٩٣٦ م ؛ ذلك الروح الذى يجعل من مصر منطقة من مناطق النفوذ البريطانى . فصرح المؤتمرون فى بيانهم بشأن هذه المسألة بأن

---

(١) استقلت « ليبيا المتحدة » بولاياتها الثلاث : برقة ، وطرابلس ، وفزان ، من نحو عام مضى بعد موافقة هيئة الامم المتحدة على استقلالها . ولقد نصب ملكا عليها السيد محمد ادريس المهدى السنوسى ، ولقب جلالته « بادريس الأول » . وجلالته يشرف مصر الآن بزيارته الودية ، وهو موضع الحفاوة والتكريم من شعب مصر وحكومتها فى عهد الحرية الجديد . وبهذه المناسبة تقدمت الحكومة الليبية بطلب انضمام ليبيا إلى الجامعة العربية ، وفى دورة مارس القادم ستكون ليبيا العضو الثامن من أعضاء الجامعة العربية بإذن الله .

تحقيق مطالب مصر ، وجلاء القوات البريطانية عن وادى النيل ، واستكمال السيادة المصرية أمر لا بد منه ؛ وأن قضية مصر قضية جميع العرب العامة ، فهم جميعاً يؤيدون مطالب مصر الحقة ويسندونها بكل قواهم ؛ ثم سجلوا على الحكومة البريطانية ما صرح به رئيسها المستر إتلى بتاريخ ٧ مايو فى مجلس العموم البريطانى من عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية — وكان قد صرح بذلك تهيئة للجو المناسب للمفاوضات المصرية البريطانية — وبينوا أنه ينبغى أن تقام العلاقات بين مصر وبريطانيا على أسس الصداقة والثقة المتبادلة بين دولتين متساويتين .

كذلك تناولوا فى البيان شئون البلاد العربية الأخرى مثل شمال إفريقية ، بلاد الشعب الأبى المجاهد الذى يضحى فى سبيل استقلاله ويسعى بكل ما فى استطاعته للتخلص من قيود الاستعمار الفرنسى والإسبانى تحت قيادة زعمائه الأبطال الأحرار أمثال البطل الكبير الأمير محمد عبد الكريم الخطابى ، الذى يتزعم الآن حركة التحرير لهذه البلاد الشقيقة بعد أن استطاع الإفلات من قيود الأسر الفرنسى ولجأ إلى حمى الحكومة المصرية ، فاستوطن مصر ، وجعلها مركزاً لنشاطه ونشاط اخوانه فى سبيل الاستقلال والتحرر . تناول المؤتمرون فى بيانهم أيضاً شئون هذه البلاد الشقيقة ، فعهدوا إلى جامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها الحقة فى التحرر والمشاركة فى جامعة الدول العربية .

وإليك نص البيان ، نثبته هنا لأهميته التاريخية [1] :

---

(١) هذا النص هو الذى أذاعته الأمانة العامة لجامعة الدول العربية كما سبقت الإشارة إلى ذلك ، ولقد نشر فى الصحف المصرية فى الاعداد الصادرة فى يوم السبت أول يونيه سنة ١٩٤٦ م .

« تشاور أصحاب الجلالة والفخامة والسمو رؤساء دول الجامعة العربية ممثلين بأشخاصهم أو بوكلائهم فى المؤتمر الخاص الذى عقد فى زهراء أنشاص فى يومى ٢٨ و ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ بدعوة من حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق ملك مصر وصاحب بلاد النوبة والسودان وكردفان ودارفور . وقد حضر حضرة صاحب الفخامة السيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وحضرة صاحب الجلالة الملك عبدالله ملك شرقى الأردن ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير عبد الإله الوصى على عرش العراق ، وحضرة صاحب الفخامة الشيخ بشارة الخورى رئيس الجمهورية اللبنانية ، وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سعود ولى عهد المملكة العربية السعودية ،وحضرة صاحب السمو الملكى الأمير سيف الإسلام عبد الله نجل جلالة الإمام يحى ملك اليمن .

وبعد المداولة فى المسائل العامة والخاصة بالشئون العربية ، وجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن البلاد العربية المشتركة فى جامعة دولهم ترغب رغبة أكيدة فى السلم الدائم بينها وبين جميع دول العالم ، وأن عليها بذل كل ما تستطيع فى سبيل تأييد السلم ، وأنهم يرون أن من أعظم الوسائل إلى ذلك ، التعاون الصادق مع هيئة الأمم المتحدة وتقويتها واحترامها وتنمية الثقة بها .

ثم تداولوا فى قضية فلسطين من شتى نواحيها فرأوا أن قضيتها ليست قضية خاصة بعرب فلسطين وحدهم ، بل هى قضية العرب جميعا ، وأن فلسطين عربية يتحتم على دول العرب وشعوبها صيانة عروبتها ، وأنه ليس فى إمكان هذه الدول أن توافق بوجه من الوجوه على أية هجرة جديدة ، ويعتبرون ذلك نقضا

صريحا للكتاب الأبيض الذى ارتبط به الشرف البريطانى . ولهم عظيم الأمل ألا يعكر صفو علائق المودة القائمة بين الدول والشعوب العربية من جهة والدولتين الديمقراطيتين الصديقتين من جهة أخرى أى تشبث من جانبهما يرمى إلى إقرار تدابير ماسة بحقوق عرب فلسطين ، حرصا منهم على دوام هذه الصداقة وتفاديا لرد فعل ينشأ بسبب ذلك ويفضى إلى اضطرابات قد يكون لها أسوأ الأثر فى السلم العام .

أمافيما رأوا زيادة على ذلك فقد كلفوا الأمين العام لجامعة الدول العربية أن يحمل إلى مجلس الجامعة نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم فى هذا الشأن ليتخذ أفعل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين .

ثم تناولوا بالبحث مسألة طرابلس وبرقة ، ووجدوا أنفسهم متفقين تمام الاتفاق على أن استقلال هذه البلاد أمر طبيعى وعادل ، وأن حكوماتهم متفقة على ضرورته لأمن مصر والبلاد العربية ، وأن على جامعة الدول العربية التى قضى ميثاقها برعاية شئون العرب ومصالحم أن تهىء الأسباب لهذا الاستقلال وأن تتعهده فى بادىء الأمر بالرعاية اللازمة لظهور حكومة عربية فى تلك البلاد ومعاونتها أدبيا وماديا حتى تستطيع النهوض بمسئوليتها داخلا وخارجا كعضو من أعضاء جامعة الدول العربية .

ثم اقترح بعض أعضاء المؤتمر التشاور فى المسألة المصرية ، فبعد المداولة وجدوا أنفسهم متفقين على أن تحقيق مطالب مصر القومية واستكمال سيادتها

وجلاء القوات البريطانية عنها أمر لابد منه ، وأن قضية مصر قضية عامة لهم وهم يؤيدون مطالبها الحقة ويسندونها بكل مافى استطاعتهم . وقد سرهم ما سارعت إليه الحكومة البريطانية فى تصريحها الذى ألقاه المستر إتلى رئيس وزارتها فى مجلس العموم بتاريخ ٧ مايو الذى أعلن فيه عزم حكومته على سحب قواتها البرية والبحرية والجوية من الأراضى المصرية ، مما كان له أحسن الأثر فى نفوسهم ونفوس حكوماتهم وشعوبهم ، والذى يأملون أن تستفتح به الحكومة البريطانية عهدا جديدا فى علاقاتها مع مصر الشقيقة ، تلك العلاقات التى يرجون أن تقام على أمتن أسس الصداقة والثقة بين دولتين متساويتين . وهم يعلمون أن فى هذه الصداقة والثقة أكبر أسباب الاستقرار والسلام فى هذه الناحية من العالم .

ثم تناولوا شئون البلاد العربية الأخرى وقد عرض عليهم كثير من شكواها ، فوجدوا أنفسهم متفقين على وجوب السعى لحريتها ، وتركوا لجامعة الدول العربية أن تسعى لتحقيق رغبات أهلها ومشاركتهم فى جامعة الدول العربية .

وأخيراً يغتنمون فرصة اجتماعهم هذه ليبعثوا كإخوة متضامنين متحدين إلى شعوبهم بأطيب التمنيات لرفاهيتهم وسعادتهم ومجدهم ، ويعلنون ثقتهم التامة بمستقبل زاهر كريم لائق بماضى العرب المجيد .

ثم قرر أصحاب الجلالة والفخامة والسمو الملكى التوجه بوافر الشكر

إلى أخيهم حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق على أن هيأ لهم هذا الاجتماع التاريخى الذى يرجون للعرب من ورائه خيراً لبلادهم وإعزازاً لجامعتهم .

زهراء أنشاص : ٢٧ جمادى الآخرة سنة ١٣٦٥ / ٢٩ مايو سنة ١٩٤٦ » .

قوّى هذا البيان من عزيمة العرب فى مختلف الأقطار ، وخاصة فى فلسطين وأثار فى نفوسهم الحمية ، وشجعهم على المضى فى سبيلهم ، سبيل الجهاد والكفاح للحصول على حريتهم وحقوقهم بكل جرأة وحماس ؛ كما أحدث دوياً عظيما فى سائر الأندية والمجتمعات الدولية . فإنا نجد مثلا دوائر لندن « تعتقد أن هذا البلاغ جاء بمثابة قنبلة ألقيت فى أنسب الأوقات ، فنسفت الإشاعات التى رددتها بعض الصحف الإنكليزيه عن الشقاق الذى يسود العالم العربى ، كما قضت على الأنباء الخاصة بالمنافسات الداخلية القائمة بين زعماء عرب فلسطين ، إذ أكد البلاغ أن الدول العربية تقف صفاً واحداً فى قضية فلسطين وغيرها من القضايا العربية » (١) .

موقف ابن سعود من قضية فلسطين :

إن اهتمام صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود بقضية فلسطين العربية أمر واضح مقرر من وقت أن أصبحت المسألة الفلسطينية قضية مختلفا عليها بين

---

(١) هذا ماأذاعته وكالة الأنباء العربية بتاريخ أول يونية سنة ١٩٤٦ م فى التعليق على ما أحدثه البيان من أثر فى دوائر لندن ، وما نشر فى الصحف الصادرة يوم الأحد الموافق ٢ يونية سنة ١٩٤٦ .

طرفين متنازعين ، الطرف الأصيل من العرب أهل البلاد وأصحابها الشرعيين ، والطرف الدخيل من المهاجرين الصهيونيين ومن ظاهرهم من المستعمرين . ولقد شاركت حكومة جلالته من المبدأ سائر الحكومات العربية فى الرأى ، والمباحثات ، والمؤتمرات العربية الإنكليزية ، والوسائل التى اتخذت من جانب حكومات العرب لحفظ حقوق عرب فلسطين ، والاحتفاظ بفلسطين موحدة عربية لأهلها العرب ما استطاعت تلك الحكومات إلى ذلك سبيلا .

ونحن لانريد هنا أن نتحدث عن كل الأدوار التى مرت بها القضية الفلسطينية ، ولاعن مدى مساهمة جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى كفاح العرب عن قضيتهم من المبدأ إلى الآن ؛ وإنما سيكون حديثنا عن نصيب جلالته من الكفاح فى سبيل القضية الفلسطينية فى دورها الأخير ، الذى يبتدىء من وقت أن ألف العرب جبهتهم الموحدة وكونوا جامعة الدول العربية . من الوقت الذى التقى فيه ملك مصر السابق بصاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود فى اجتماع رضوى ، هذا الوقت الذى تعارف فيه الملكان وتفاهما واتفقا على الخطط المشتركة التى سيسلكها الجانب العربى لكسب قضية فلسطين وغيرها من قضايا الشعوب العربية . ففى هذا الدور الأخير الخطير كان لعاهل الجزيرة العربية نصيبه الهام من عمل الجبهة العربية المشترك فى سبيل قضية فلسطين ، وذلك ماسنتحدث عنه فى هذا الفصل .

فى هذه المرحلة ابتدأ جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود سعيه بحديثه مع الرئيس روزفلت رئيس الولايات المتحدة الأمريكية عن قضية فلسطين فى اجتماعه معه يوم الخميس

الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٩٤٥ م ، أى بعد اجتماع رضوى بأسابيع.(١) فأظهر الملك العربى للرئيس الأمريكى اهتمامه الكبير بفلسطين ، وشرح له وجهة نظره ، ودلل على عدالتها وصحتها بما جعل الرئيس روزفلت يصرح بعد سماعه باقتناعه بوجهة نظر الملك ، وبأن فلسطين لاتصلح حقا لإيواء اليهود . وكان هذا الحديث الطويل عن فلسطين بحضرة وزير أمريكا المفوض فى جدة ، وسجل فى محضر خاص أصبح من الوثائق التاريخية لقضية فلسطين وللعلاقات السياسية بين الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية (٢) .

وإذا التفتنا إلى مركز الولايات المتحدة الأمريكية القوى المكين ـ وهو مركز الزعامة فى السياسة الدولية ، خصوصا فى ذلك الوقت ـ وإلى ما كانت حكومة هذه الولايات قد ابتدأت تبديه من عطف ومساعدة لليهود فى القضية الفلسطينية ، ثم إلى الصداقة التى تربط جلالة الملك عبد العزيز آل سعود بحكومة الولايات المتحدة ، وأخيرا إلى أهمية ما بينهما من مصالح مشتركة تتعلق بيترول الجزيرة العربية وغيره ، وإلى عطف جلالته على قضية الحلفاء فى الحرب الأخيرة ؛ إذا نظرنا إلى كل هذا استطعنا أن نقرر أهمية هذا الحديث ، وأهمية ما كان جلالة الملك وجميع العرب معه يعلقونه عليه .

---

(١) سنتحدث بشىء من التفصيل عن هذا الاجتماع التاريخى الذى تم بين ملك المملكة العربية السعودية وبين رئيس جمهورية الولايات المتحدة الأمريكية فى فصل مقبل .

(٢) راجع مانشرته القنصلية العربيه السعودية بالقاهرة فى هذا الموضوع بجريدة الأهرام بتاريخ ٢ ابريل سنة ١٩٤٦ م .

ولكن بعد موت الرئيس روزفلت المفاجىء ، وبعد أن خلفه الرئيس ترومان تغيرت الأمور ، وأبعدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية فى عطفها على اليهود إلى درجة التحيز الواضح . ثم تألفت اللجنة الأمريكية الإنكليزية لتبحث القضية الفلسطينية من جديد ، حتى تخرج من بحثها بحل للقضية يرضى اليهود ويرضى عنه أصدقاؤهم من رجال الحكومة الأمريكية . وتشرفت هذه اللجنة المؤلفة برئاسة السيرجون سنجلتون وبعضوية الميجر مانجهام بولر والمستر با كستون بالاجتماع بصاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود بتاريخ ١٩ مارس سنة ١٩٤٦ م . فشرح جلالته لرئيس اللجنة وأعضائها وجهة النظر العربية ، وذكرهم بصداقته للحلفاء وبموقفه منهم وخدماته لهم أثناء الحرب الأخيرة ، ثم أشار إلى اعتداءات اليهود وجرائمهم المتوالية قبل مقتل اللورد موين وبعده ، وعقب على هذا بتعجبه من موقف الإنكليز مع هذا من اليهود ، ثم من العرب . فهم يدللون اليهود المعتدين الباغين ، ويقفون من العرب أصدقائهم الذين خدموهم وأصحاب الحق المتسامحين موقفا غير كريم . كذلك أشار جلالته فى مناقشته مع اللجنة وفى المذكرة الإيضاحية التى سلمها لهم بعد المناقشة إلى حديثه مع الرئيس روزفلت ، وإلى أن الرئيس اقتنع بحق العرب ، وأن المستر تشرشل بعد اطلاعه على الحديث الذى جرى بين الملك والرئيس أظهر اقتناعه أيضاً بعدالة القضية العربية ووعد بأنه سيقوم هو أيضاً بالواجب فى مساعدة العرب . وختم جلالته مذكرته الإيضاحية التى سلمها لأعضاء اللجنة بالتنويه بصداقته لانجلترا وأمريكا ، وبأنه لا يريد أن يضطر إلى أن يعاديهما . ولكن إذا استمرت

الهجرة ، وبيع الأراضى ، وهضم حقوق العرب الطبيعية فى فلسطين ، فان الحكومتين البريطانية والأمركية لا تتعرضان حينئذ لنقمة العرب وحدهم ، بل لنقمة جميع المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها . (١)

ومع هذه الجهود التى بذلها جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود فى الدفاع عن حق العرب فى فلسطين استمر أصدقاؤه الأمريكان فى طريقهم مندفعين فى تأييد اليهود ، وكرر الرئيس ترومان تصريحاته مؤيداً لليهود ومناصراً لهم ، فبعث إليه جلالته برسالة ينعى فيها عليه عدم مراعاته لواجبات الصداقة ، وخروجه على سياسة سلفه الرئيس روزفلت ، ونقضه لتعهدات وبيانات الحكومة الأمريكية السابقة . ولقد أذاعت مفوضية المملكة العربية السعودية هذه الرساله الملكية فى شهر اكتوبر سنة ١٩٤٦ م . (٢)

وهذا هو نص الرسالة :

« ياصب الفخامة !

ان الصداقة التى تربط بلادى ببلاد الولايات المتحدة ، والصداقة التى تأسست بينى وبين الرئيس الراحل الرئيس روزفلت ، والصداقة التى تجددت بينى وبين فخامتكم تجعلنى شديد الحرص فى المحافظة على هذه الصداقة وتغذيتها والعمل على تقويتها بكل الوسائل الممكنة ؛ ولذلك تجدوننى فخامتكم ألح وأكرر فى كل

---

(١) راجع مانشرته القنصلية العربية السعوديه بالقاهرة عن محضر اجتماع اللجنه مع جلالة الملك وعن المذكرة الإيضاحيه فى العدد السابق ذكره من جريدة الأهرم .

(٢) نشرت الرسالة بتاريخ ١٨ أكتوبر سنة ١٩٤٦ فى جريدة الأهرام .

مناسبة أشعر بها بما يخل بصداقة الولايات المتحدة مع بلادى ومع سائر البلاد العربية لكى أزيل ما يمكن أن يعرقل هذا الصفاء .

ولقد كتبت للراحل العظيم ولفخامتكم حقيقة الموقف فى فلسطين، والحق الطبيعى للعرب فيها ، وأن ذلك يرجع إلى آلاف السنين ، وأن اليهود ليسوا إلا فرقة ظالمة باغية معتدية اعتدت فى أول الأمر باسم الإنسانية ، ثم أخذت تظهر عدوانها الصريح بالقوة والجبروت والطغيان مما ليس يخاف على فخامتكم وعلى شعب الولايات المتحدة .

أضف إلى ذلك أطماعهم التى بيتوها ليس لفلسطين وحدها بل لسائر البلاد العربية المجاورة ، ومنها أماكن فى بلادنا المقدسة .

لقد دهشت للإذاعات الأخيرة التى نسبت تصريحا لفخامتكم بدعوى تأييد اليهود فى فلسطين وتأييد هجرتهم إليها بما يؤثر على الوضعية الحاضرة فيها خلافا للتعهدات السابقة .

لقد زاد فى دهشتى أن التصريح الذى نسب أخيرا لفخامتكم يتناقض مع البيان الذى طلبت مفوضية الولايات المتحدة الأمريكية فى جدة من وزارة خارجيتنا أن ينشر فى جريدة « أم القرى » باسم بيان أدلى به البيت الأبيض بتاريخ ١٦ أغسطس ١٩٤٦م وذلك البيان صريح فى أن حكومة الولايات المتحدة لم تتقدم بأية فكرة من جانبها لحل مشكلة فلسطين ، وأظهرتم أملكم بحلها بواسطة المحادثات بين الحكومة البريطانية وبين وزراء خارجية الدول العربية ، وبين

الحكومة البريطانية والفريق الثالث . وأظهرتم فخامتكم رغبتكم فى اتخاذ تسهيلات فى الولايات المتحدة لإيواء المشردين وفى جملتهم اليهود ، ولذلك كانت دهشتى عظيمة حين اطلاعى على البيان الأخير الذى نسب إلى فخامتكم ، مما جعلنى أشك بصحة نسبته إليكم ، لأنه يتناقض مع وعود حكومة الولايات المتحدة والتصريح الذى صدر فى ١٦ أغسطس ١٩٤٦ م من البيت الأبيض. وانى لعلى يقين بأن شعب الولايات المتحدة الذى بذل دمه وماله فى مقاومة العدوان الغاشم لايمكن أن يسمح بهذا العدوان الصهيونى على بلد عربى صديق لم يقترف ذنبا غير إيمانه بمبادىء العدل والإنصاف التى قاتلت من أجلها الأمم المتحدة ، وكان من أركانها بلاد الولايات المتحدة ، وكان لفخامتكم بعد سلفكم العظيم المجهود العظيم فى هذا السبيل .

ورغبة منى فى المحافظة على صداقة العرب والشرق مع الولايات المتحدة أوضحت لفخامتكم بهذا البيان الظلم الذى يمكن أن يحيق بالعرب إذا بذلت أى مساعدات لهذا العدوان الصهيونى . وانى على يقين بأن فخامتكم ومن ورائكم شعب الولايات المتحدة لا يمكن أن يقبل أن يدعو للحق والعدل والإنصاف ويحارب من أجله ليقره فى سائر أنحاء العالم ، ويمنع هذا الحق والعدل عن العرب فى بلادهم فلسطين التى ورثوها عن أبائهم وأجدادهم منذ العصور القديمة . واقبلوا تحياتنا . »

ولما نفد الصبر ووجد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أن الاتصالات الودية وكتب الإقناع لا تجدى لدى الأمريكان ، شرع يسلك معهم طريقا آخر ، فأرسل للحكومة الأمريكية إنذارا خطيراً هددها فيه بأن خطتها فى مسألة

فلسطين ستؤدى حتما إلى إصابة مصالحها فى الشرق العربى بالضرر الجسيم . وأذاعت وكالة الأنباء العربية من الرياض بتاريخ ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م أن جلالة الملك دعا المستر تشيلدز وزير أمريكا المفوض فى جدة إلى الرياض ، فحضر يوم ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٧ م وقابل جلالته مرتين . وذكرت الوكالة أن الحالة كانت توحى بأن الوزير الأمريكى تلقى كلاما قاسيا من جلالة الملك بسبيل تأييد أمريكا لتقسيم فلسطين . كما ذكرت أن جلالته أصدر تعليماته إلى سمو الأمير فيصل بمغادرة نيويورك والعودة إلى بلاده بعد أن كان مقرراً أن يزور وشنطن للبحث مع الحكومة الأمريكية فى مسألة « تعلق عليها المملكة العربية السعودية أهمية كبيرة » .

وعندما جرت المشاورات العربية فى أوائل مايو سنة ١٩٤٨ م لتقرير الخطة الحاسمة بعد إصرار أمريكا وروسيا على إقامة دولة صهيونية بفلسطين ، وبعد أن اعتزمت بريطانيا الجلاء عن هذه البلاد فى منتصف الشهر المذكور ، وذهب «صاحبا الدولة» جميل مردم «بك» رئيس وزراء سوريا ورياض الصلح «بك» رئيس وزراء لبنان إلى الرياض لمقابلة جلالة الملك عبد العزيز والاستماع إلى رأيه، وجدا جلالته شديد التحمس ، بل شديد الاندفاع، كما عبر المغفور له رياض الصلح «بك» . وكان أن اقتضت الظروف وتطلب الدفاع عن الحقوق والكرامة دخول الجيوش العربية فلسطين ، والاشتباك مع القوات اليهودية فيها فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ م فاشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع بقية الجيوش العربية



القائمقام سعيد « بك » الكردى قائد الفرقة السعودية التى اشتركت فى حرب فلسطين فى الجبهة المصرية ، وهو يبين لفريق من ضباطه
خطة الجيش المصرى فى دك حصون المستعمرات الصهيونية

بفرقة من جيشه تحت قيادة العقيد سعيد الكردى بك ، وجعل سيرها فى الجبهة التى يسير فيها الجيش المصرى ، كما جعلها تحت القيادة العامة للجيش المصرى . (١) وأبرق إلى ملك مصر السابق بهذه المناسبة وبعد أن بدأت الانتصارات المصرية البرقية الآتية :

حضرة صاحب الجلالة الأخ الملك فاروق حفظه الله ـ مصر

فى الوقت الذى تتقدم فيه جيوش جلالتكم وجيوش الدول العربية لإنقاذ فلسطين أضرع إلى الله بأن يؤيد هذه الجيوش بنصر من عنده ، وأن يثبت أقدام المجاهدين فى سبيله . وإنى إذ أحمد الله الذى ألف بين قلوبنا للجهاد فى سبيله أحمده تعالى على ما وفق إليه جيش مصر الظافر بإذن الله ، سائلين الله أن يتابع نصره الذى وعد به عباده المؤمنين .

وإنه يسرنى كما أعتقد أنه يسر جلالتكم أن يكون سير الجيش السعودى فى الجبهة التى يسير فيها الجيش المصرى . والله يعلم أننا جميعا لم نكن باغين ولا معتدين ، ولكننا نسير لدفع العدوان . « أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ » حفظكم الله وأبقاكم (٢) .

وهكذا اشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود من أجل فلسطين فى الميدان الحربى بفرقة من جيشه ، كما اشترك فى ميدان النضال السياسى فى هيئة الأمم المتحدة مع الوفود العربية بوفده .

---

(١) لم يشترك جلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى حرب فلسطين الا بهذه الفرقة ، ولهذا فانا نعتبر اشتراك جلالته فى هذه الحرب اشتراكا رمزيا .

(٢) نشرت هذه البرقية فى الصحف المصرية الصادرة بتاريخ ١٨ مايو سنة ١٩٤٨م .

محنة !

هى محنة الجامعة العربية ! فالجامعة العربية الآن فى محنة بسبب قضية فلسطين ؛ ولكن هذه المحنة لم تكن بسبب تألب الدول الاستعمارية على العرب ومما لأتهم لليهود ، ولا بسبب إمداد أمريكا وروسيا لليهود بالذخيرة والسلاح والعتاد والرجال الفنيين والمحاربين مع التضييق على العرب والامتناع عن إمدادهم بشىء من معدات الحرب ولوازمها ، ولا بسبب إرغام الدول الكبرى عن طريق « مجلس الأمن » للعرب على قبول الهدنة مرارا إنقاذا لليهود وإضعافا للعرب ، لا ! لم تكن كل هذه الأمور الموجبة للحرج والشدة سببا فى محنة الجامعة العربية ، فكل هذه أمور تهون ومشاكل تحل إذا كان التضامن بين دول الجامعة العربية قويا عمليا . إنما هذه المحنة حلت بالجامعة العربية بسبب التخاذل الذى بدا فى ميدان الحرب بفلسطين . فالجيوش العربية الموجودة بالميدان لا تحرك الآن ساكنا ، والجيش المصرى وحده هو الذى يتحمل العبء فى الميدان ، وهو وحده الذى يقاتل اليهود الآن ويرد هجماتهم الغادرة بشجاعة وبسالة منقطعة النظير .

نحن الآن فى اليوم الثانى من شهر يناير ١٩٤٩ ، ومنذ اليوم الثانى والعشرين من شهر ديسمبر الماضى والجيش المصرى يقاتل اليهود فى فلسطين وحده بعد أن خرقوا الهدنة وهاجموه فى المرة الأخيرة . (١) « وإن مصر التى يرفرف علمها

---

(١) هذه هى المرة الثالثة التى خرق اليهود فيها الهدنة فى صورة هجوم منظم بالجبهة المصرية ، والتى تركت فيها الجيوش العربية الجيش المصرى يرد الاعتداء وحده .

منفرداً فى الميدان بينما اختفت أعلام الدول العربية الأخرى قد بهرت العروبة بثباتها على المبدأ ، وأدهشت الأمم الأخرى بعدم مبالاتها باليهود وأنصارهم مهما يكونوا ومهما تكن قوتهم وأسلحتهم . إن مصر التى دخلت هذه الحرب متضامنة مع الدول العربية الأخرى بقيت بمفردها فى الميدان ، وما زالت تنزل وحدها بالعدو الخسائر الفادحة فى طائراته وقواته الأرضية ومصفحاته ودباباته وسفنه البحرية ، وتطارد فلوله المندحرة فى السهول والوديان بينما الدول العربية نظارة تتفرج » . (١)

« وسمو الأمير فيصل آل سعود يزور مصر فى هذا الوقت الذى تجرى فيه تلك الأحداث الهامة التى تتصل بفلسطين . ولا شك فى أن سموه خير من يعرف حقيقة هذه الأحداث ، وموقف مصر منها ، وانفراد الجيش المصرى بمناضلة اليهود . ونحن لا نشك فى عواطف المملكة العربية السعودية نحو مصر والمصريين ، ونعتقد أن العواطف يمكن أن تتكيف فى هذه الآونة الحاسمة بشكل عملى ليس من الضرورى أن يكون فى الميدان العسكرى ، وأن فى يد المملكة السعودية وسائل عملية تستطيع أن تكون بها أشد تأثيرا فى مستقبل قضية فلسطين مما بدا حتى الآن . ولقد أصبحت هذه القضية تتطلب من جلالة الملك ابن السعود مزيدا من المعاونة وشد الأزر والتضحية . ولا شك

---

(١) من مقال « عاش الجيش المصرى » لجريدة الأهرام فى العدد الصادر فى يوم الأحد ٢ يناير سنة ١٩٤٩ م .

فى أن سمو الأمير العربى قد فهم الموقف أثناء إقامته القصيرة هنا ، ولا شك كذلك فى أنه سينقله إلى جلالة والده . وسيكون من بين ما ينقله أن مصر تتوقع من المملكة السعودية أن يكون موقفها غير موقف غيرها من دول الجامعة العربية » (١) .

عبد العزيز ابن سعود وعبد الله بن الحسين :

بدأت العلاقات بين عبد العزيز ابن سعود وبين البيت الهاشمى الحجازى على غير ما يرام ، ففى سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م حصل التصادم لأول مرة بين ابن سعود وبين الشريف حسين على الحدود النجدية الحجازية ، وأُسر شقيق ابن سعود سعد بن عبد الرحمن ولم يطلق سراحه إلا بعد أن افتداه أخوه عبد العزيز بمبلغ من المال وبعد أن تم الصلح بين نجد والحجاز (٢) . ثم تطورت الأحداث بين البيتين السعودى والهاشمى حتى انتهت بالحرب بينهما وباستيلاء عبد العزيز ابن سعود على الحجاز وخروج الأشراف من الأرض الحجازية نهائياً بعد أن خسروا المعركة ، ونودى بعبد العزيز ملكا للحجاز فى ٨ يناير سنة ١٩٢٦ (٣) .

---

(١) هذه هى « كلمة المصرى » التى كتبتها جريدة المصرى فى عدد يوم السبت أول يناير سنة ١٩٤٩ م ، اقتبسناها ليطلع القارىء على صدى الرأى العام فى مصر ، وليعرف ما يعلقه الشعب المصرى من آمال على عاهل الجزيرة العظيم .

(٢) راجع ص ١١٧ ـ ١١٨ من الكتاب .

(٣) راجع تطور العلاقات بين البيتين فى ص ١٤١ ـ ١٦٤ من الكتاب .

ولقد اقتضت الأحوال أن يساهم عبـدالله بن الحسين فيما كان بين البيتين من نزاع بنصيب كبير ،فـكان قائد الجيش الهاشمى فى موقعة تَرَبة سنة ١٣٣٧ هـ/ ١٩١٩ م حينما أراد الشريف حسين الاستيلاء على هـــذه المنطقة على الحدود النجدية الحجازية وا كتساح نجد إلى الخليج الفارسى (١) .

وبعد هزيمة الجيش الهاشمى فى تربة وعودة عبدالله بن الحسين إلى الحجاز اختلف الأمير مع والده الملك الحسين بن على فى السياسة التى ينبغى أن تتبع فى إدارة شئون الدولة الهاشمية؛ ثم غادر الحجاز إلى شرق الأردن فى سنة ١٩٢١م حيث أصبح أميراً لإمارة شرق الأرن بعـد اجتماعة مع المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية فى ذلك الوقت بمدينة القدس واتفاقه معه على إنشاء هذه الإمارة وأن يسند الحكم فيها إليـه .

وقد أخذت العلاقات تزداد توتراً بين عبـدالعزيز ابن سعود وبين أمير شرق الأردن منذ تأسيس الإمارة ، حتى أن النجديين هاجموا بلاده فى سنـة ١٩٢٢ و ١٩٢٣ م فزاد ذلك فى اشتعال نار الخصومة ، وخصوصاً بعد امتلاك ابن سعود للحجاز . وأخيراً رأى المغفور له الملك فيصل الأول ملك العراق أن يتدخل للإصلاح والتوفيق بين أخيه الأمير عبدالله وبين الملك عبدالعزيز آ ل سعود ، فتم ذلك بمساعدة الساسة الإنجليز ، ووُقِّعَتْ معاهـدة الصداقة وحسن الجوار بينهما كما وقع بروتوكول التحكيم فى قصر المنـدوب البريطانى بالقدس بتاريخ ٢٧ يوليه سنة ١٩٣٣ م.

---

(١) راجع ص ١٤٧ — ١٤٩ من الكتاب .

ومن وقت توقيع معاهدة الصداقة هـذه بدأت صحيفة جديدة فى تاريخ العلاقات بين حكومة شرق الأردن وحكومة المملكة العربية السعودية ، وأخذ الماضى يزول بما له وما عليه ، وحلت محله صداقة نمت بمضى الأيام والأعوام حتى حل عصر الجامعة العربيـــة ، وتحرج موقف العرب بسبب القضية الفلسطينية ؛ فاقتضت الأحوال أن تزداد الصلات توثقاً وأن يتم التفاهم بين الملكين العربيين عن طريق التعارف الشخصى والزيارة ، الأمر الذى قابله العرب بمظاهر الغبطة والاستبشار وعدوه مطلعاً لفجر عهد جديد زاهر فى تاريخ البيتين العربيين الكريمين وتاريخ الأمة العربية .

زيارة الملك عبد الله للملك عبد العزيز :

إن هذه الزيارة التاريخية التى سنتحدث عنها حدثت بعد تمهيدات سبقتها ، وكان لحكومة مصر الفضل الأول فى تلك التمهيدات ، ولقد ساعد على تحقيقها ضغط الحوادث وحروجة مركز الدول العربيـة بسبب التطورات التى طرأت على قضية فلسطين .

فحكومة مصر قد عملت على تنقية الجومن آثار الغبار الذى قد أثارته الحوادث الماضية ومهدت للتعارف الشخصى وعقد أواصر المودة بين ملوك العرب ورسائهم بعضهم وبعض ، إذ سبق ملك مصر السابق بزيارة عاهل الجزيرة والتقى به لأول مرة فى اجتماع رضوى ، ثم استتبع هـذا رد جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود الزيارة لشعب مصر وملكها ، وتلا ذلك اجتماع أنشاص الذى جمع بين ملوك

العرب ورؤسائهم وأمرائهم بدعوة من ملك وادى النيل . وفى هذا الاجتماع التاريخى ابتدأت أسس التفاهم والتقارب تقوم وتقوى بين الرؤساء العرب والبيوت العربية المالكة ، التى لم يكن بين بعضها وبعض من قبل سوى الشقاق والعداء الظاهر أو المستتر ، الأمر الذى كان يؤدى دائما إلى اضعاف العرب وتفريق كلمتهم .

أما ضغط الحوادث وحروجة موقف الدول العربية فقد كان له أثره أيضاً فى التمهيد لهذه الزيارة ، خصوصاً بعد أن خاب أمل الأمة العربية فى هيئة الأمم المتحدة وأصبح تحيزها لليهود واضحاً من وقت أن أوصت بتقسيم فلسطين وإقامة دولة يهودية فيها بتاريخ ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ م . وبعد هذا القرار الجائر حددت انجلترا موعداً للجلاء عن فلسطين فى شهر اغسطس سنة ١٩٤٨ م ثم فاجأت العالم والعرب على الخصوص بتقديم موعد الجلاء وجعله فى منتصف مايو سنة ١٩٤٨ م ، وأعلنت الاحتفاظ بحيفا حتى يرحل عن فلسطين آخر جندى بريطانى . وأعقبت هذه المفاجأة بمفاجأة أخرى أدهى وأمر ، فسلمت حيفا بما كان لها فيها من سلاح وعتاد حربى إلى اليهود ، فتقوى بذلك مركزهم وازداد الخطر على عرب فلسطين وعلى سائر الدول العربية .

ولما اجتمعت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية بالقاهرة فى أوائل مايو للتشاور والاتفاق على الخطه العملية التى ينبغى على العرب اتباعها ، وقد قرب موعد الجلاء البريطانى عن فلسطين ، بدا الاختلاف فى وجهات النظر بين حكومات الدول

العربية ، وكاد الأمر يتحرج أكثر مما كان ، وكادت الفرصة تفلت من يد العرب . ولكن الرؤساء العرب تداركوا الموقف فى اللحظة الأخيرة ، وتشاور أعضاء اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية وقر رأيهم على أن تبذل مساع جديدة ، يضطلع بأعبائها رسول من لدن الجامعة العربية ، وعلى أن يبذل أول مسعى منها لدى الملك عبد الله بن الحسين . فطار المغفور له « دولة » رياض الصلح « بك » رئيس الوزارة اللبنانية وعضو اللجنة السياسية فى ذلك الوقت من القاهرة إلى عمان ، واستطاع أن يتفاهم مع الملك الهاشمى وأن يقنعه ، ثم عاد إلى مصر وطار منها مرة أخرى إلى الرياض فتفاهم مع الملك السعودى واتفق معه وعاد مظفراً إلى مصر واتخذت الجامعة العربية بعد هذه المساعى الموفقة قرارها بالتدخل عسكرياً لإنقاذ فلسطين وتأديب الصهيونيين العصاة ، وعقد لواء القيادة العامة للجيوش العربية كلها للملك عبد الله بن الحسين .

وبعد أن اجتازت الجيوش العربية حدود فلسطين فى ١٥ مايو فتوغلت وانتصرت وكادت تقضى على الدولة اليهودية بادر مجلس الأمن بإنقاذ اليهود ، فطلب وقف القتال وعقد الهدنة ، واضطر العرب لقبول الهدنة حتى لا يزداد تعرضهم للضغط الدولى ، وحتى يحافظوا على وحدة العرب وعلى كيان الجامعة العربية ، وقد بدا من بعض دول الجامعة التصميم على قبول الهدنة .

ولقد كان للدور الذى لعبه الجنرال كلايتون مدير أقلام المخابرات البريطانية فى الشرق الاوسط أكبر الأثر فى قبول العرب للهدنة التى كانت فتحا لباب الشر

عليهم وبدءاً لهزيمتهم ، فخدع الجنرال الإنكليزى ساسة وزعماء العرب وحملهم على قبول الهدنة فى الوقت الذى كانت الجيوش العربية فيه تطوق تل أبيب ؛ وكان ذلك مع الأسف الشديد نقطة التحول فى معركة فلسطين لمصلحة اسرائيل .

وقعت كل هذه الأحداث وتتابعت ، فزادت ملوك العرب ورؤساءهم اقتناعاً بوجوب التضامن والتآزر حتى تنجو الأمة العربية من الخطر المحدق بها وكان ذلك مع ماسبق أن قامت به حكومة مصر ممهداً لزيارة عاهل البيت الهاشمى لعاهل البيت السعودى .

وفى يوم الاثنين الموافق ٦ شعبان سنة ١٣٦٧ هـ / ١٤ يونية سنة ١٩٤٨ م تشرف المغفور له الأستاذ فؤاد حمزة ، مندوب المملكة العربية السعودية فى اللجنة السياسية ، بمقابلة جلالة الملك عبد الله فى قصر رغدان ، ورفع إليه برقية وصلته من جلالة الملك عبد العزيز متضمنة دعوة ملك شرق الأردن إلى زيارة المملكة العربية السعودية زيارة رسمية ، فتقبل جلالته هذه الدعوة مرحبا مسرورا . وبعد أن زار جلالة الملك عبد الله ملك مصر السابق وتفاهم معه على المسائل التى تهم العالم العربى ، وربما استعرض معه أيضاً المسائل التى ستعرض على بساط البحث أثناء زيارته للعاهل السعودى ، عاد جلالته إلى عمان ؛ ثم استأنف السفر إلى المملكة العربية السعودية هو ورجال الحاشية الذين رافقوه وأعضاء بعثة الشرف السعودية التى كان يرأسها المغفور له الأستاذ فؤاد حمزة . واستقل

الجميع الطائرتين السعوديتين ، وكانتا قد وصلتا إلى عمان قبل ذلك لتكونا تحت تصرف الملك عبد الله فى رحلته هذه ، فاستوت الطائرتان فى الفضاء فى فجر يوم السبت الموافق ١٨ شعبان سنة ١٣٦٧هـ/٢٦ يونيه سنة ١٩٤٨م فى اتجاه الرياض عن طريق الظهران ، فوصل الركب الملكى إلى مطار الظهران بمنطقة الأحساء فى منتصف الساعة العاشرة من صباح اليوم نفسه ، وكان فى استقبال جلالة الضيف الكريم صاحب السمو الأمير سعود ولى العهد نائبا عن جلالة والده ، فتعانقا عناقا حارا وقال سمو الأمير لجلالته : « لقد أمرنى والدى جلالة الملك أن أبلغ جلالتكم بأنه عربى مسلم ، وجلالتكم عربى مسلم ، وكلا كما اخوان . وجلالتكم فى بلادكم ، ولذلك لم أضع ، ولن أضع أى برنامج لزيارتكم . فانتم صاحب البيت » وقابل الملك الهاشمى هذه العاطفة الأخوية من الملك السعودى بالشكر والارتياح . وقد أمر جلالة الملك عبد العزيز أن يكون سعادة الشيخ يوسف ياسين فى خدمة الملك الهاشمى طول مدة إقامته فى الرياض . وبعد أن مكث جلالة الضيف ليلة فى الظهران واصل السفر بالطيارة إلى الرياض فوصل إلى مطارها عصر يوم الأحد ، وكان فى استقبال جلالته جلالة الملك عبد العزيز يحف به الأمراء ورجال الحكومة والحاشية . فلما وصلت الطائرة تقدم إليها عاهل الجزيرة واستقبل أخاه وضيفه وعانقه مرحباً به ومهنئاً بسلامة الوصول ، وقال له : « تلك هى اللحظة الخالدة من تاريخ حياتى ، إذ تم لى لقاء أخ كريم عزيز » . ولقد مكث جلالة الملك عبد الله فى هذه الزيارة إلى صبيحة يوم الأربعاء الموافق ٢٢ شعبان سنة ١٣٦٨ هـ / ٣٠ يونيه سنة ١٩٤٨ م ، حيث

سافر بالطائرة إلى بغداد مودعاً من جلالة الملك عبد العزيز بكل مظاهر الحفاوة والتكريم .

كانت هذه الزيارة محوطة بمظاهر المودة والتآخى بين الملكين العربيين ، وكانت « فاتحة عهد مبارك من تاريخ العرب » كما وصفها جلالة الملك عبد العزيز ، إذ تم فيها التلاقى والتصافى لأول مرة بين الملكين بعد أن قضت ظروفهما السابقة أن يكونا خصمين متنافرين . فهذه الزيارة طويت صحيفة فى تاريخ العلاقات بينهما ، وفتحت صحيفة أخرى فى تاريخهما وتاريخ الأمة العربية لتسطر فيها آيات التآخى والتآزر فى سبيل خير العرب واستقلالهم . وقد بدأت المحادثات الرسمية بين الملكين يوم الاثنين ، فاجتمعا بقصر الضيافة الذى ينزل فيه الملك عبد الله اجتماعا طويلا ، بحثا خلاله فى مختلف المشكلات العربية . وقد قال جلالة الملك عبد الله لمندوب الأهرام قبيل الاجتماع : إننا سنبحث معاً جميع ما يهم العالم العربى من أمور ، وسيكون لقضية فلسطين التى هى الشغل الشاغل لجلالة أخى عبد العزيز المكان الأول من هذه المباحثات . وفى يوم الثلاثاء عقدا اجتماعا آخر ، وعلى إثره قال الملك عبد الله : يسرنى أن أنوه بحماس أخى عبد العزيز فى تناول مشكلات العرب ، وأن أؤكد أن هذه الجامعة العربية قد استطاعت أن تخرج مرفوعة الرأس فى جميع ما مر بها من ظروف . وقد أثلج صدر أخى ابن السعود هذا الاتحاد الرائع بين ملوك العرب ورؤسائهم . ولقد انطوت الأحاديث التى دارت بين الملكين على تفاهم تام بينهما وسُمع عاهل الجزيرة يقول لأخيه الملك الهاشمى : « لم يعد ثمة الآن عبد العزيز

ولا عبد الله ، بل نحن شخص واحد نعمل معاً لما فيه مصلحة الأمة العربية كلها ، أنت هناك وأنا هناك ، وأنت تحل عنى وأنا أحل عنك ؛ ونسأل الله التوفيق » .

وكان من أهم الأحداث التى وقعت أثناء الزيارة اجتماع الملكين بدار الحكومة فى الرياض يوم الثلاثاء آخر أيام الزيارة ، وإصدارهما بعد الاجتماع للبيان التاريخى الذى وقعه الملكان أمام الأمراء وكبار المدعوين . وبعد توقيع البيان الملكى طلب الملك عبدالعزيز إلى « سعادة » الأستاذ فؤاد حمزة تلاوته ، فتلاه على أسماع الحاضرين ، وكان ذلك سبباً لإشاعة جو من الغبطة والسرور بهذه الخاتمة الحسنة . ولقد صرح صاحبا الجلالة فى البيان بأن الباعث الأول على الاجتماع إنما هو الرغبة الصادقة فى توثيق عرى المودة والصداقة بين شخصيهما وشعبيهما ، وملاحظتهما للظروف الحاضرة وما تقتضيه من اتحاد واتفاق . كذلك سجلا تحققهما من وجود الاتفاق بينهما فى الأفكار والآراء والأهداف كما أعلنا ثقتهما بالجامعة العربية وباللجنة السياسية ، وأنهما يؤيدان الجامعة فى تصرفاتها التى هى داخلة فى حدود مسئوليتها ، خصوصاً فيما يتعلق بفلسطين وهذا هو نص البيان :



جلالة الملك عبد الله وهو يوقع بإمضائه البيان الملكى الذى أذيع لمناسبة اجتماعه بجلالة الملك عبد العزيز آل سعود
وزيارته له فى الرياض ،وجلالته يظهر فى الصورة بجانب الملك عبد الله

« الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، لقد كان الباعث الأول على اجتماعنا رغبتنا الصادقة فى توثيق عرى الأخوة ، وتشييد بناء الصداقة والوداد بين شخصينا وشعبينا ، مادام الشعب وما دام البيت إن شاء الله تعالى ؛ وملاحظتنا الظروف الحاضرة ، وما تقتضيه من اتحاد واتفاق واضعين نصب أعيننا مبدأين أساسيين : أولهما تقوى الله ، وثانيهما التفانى فى حفظ البيعة والذود عن الكيان .

وقد وجدنا أن فى اجتماعنا هذا كل الخير والبركة ، وقد تحققنا من وجود اتفاق تام فى وجهات نظرنا إلى الشئون الخاصة والعامة ، واتحاد تام للأهداف والغايات الوطنية والقومية . ولذلك فإنا نعلن ، نحن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، وعبد الله بن الحسين بن على ، بأننا متفقون فى أفكارنا وآرائنا وأهدافنا فى هذا الباب ، وبأننا متفقون بصورة خاصة فى تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنهيه ، مما هو داخل فى ميثاق جامعة الدول العربية وفى حدود مسئوليتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين التى نحن باذلون كل مافى وسعنا من جهد للوصول إلى مايضمن للعرب استقلالهم التام ، وسلطانهم المطلق ، ونجاة فلسطين وإنقاذها . ونعلن ثقتنا التامة بالجامعة العربية ولجنتها السياسية ، واعتقادنا بأنها ستقوم بتمحيص المواقف الحاضرة حق التمحيص ، وتنصح بما تراه موافقاً لمصلحة العرب وضامناً لها . وإن ثقتنا بالله العظيم كبيرة فى أن النتائج ستكون موافقة إن شاء الله ، لاسيما أننا واثقون من أن الجامعة العربية لا تستهدف إلا إقرار السلام فى الشرق الأوسط ، ذلك

السلام الذى لايمكن أن يتم إلا بحفظ حقوق العرب وصيانة استقلال بلادهم ، وإنها إذا اضطرت للدفاع فإنما تدافع عن مصلحة العرب الأساسية وعن الشرف والحرية والسلام . »

وإن أهمية هذه الزيارة وذلك الاجتماع الذى تمّ بين الملك عبد الله والملك عبد العزيز بالنسبة للعالم العربى لتفوق أهمية الاجتماع التاريخى الذى تم فى عام ١٩٣٠ م بين الملك فيصل والملك ابن سعود لفض النزاع على الحدود الفاصلة بين العراق ونجد ؛ ولهذا فإن الأمة العربية بأجمعها استبشرت بهذه الزيارة خيراً وعدتها مطلعاً لفجر عهد جديد مبارك كما سبق أن ذكرنا . وبدت دلائل الوحدة العربية بعد الزيارة قوية جلية ، فرأيتا جلالة الملك عبد الله يتكلم باسم جميع الملوك والرؤساء العرب ، وفى مقدمتهم أخوه جلالة الملك عبدالعزيز بعد أن تفاهم معه وأنابه عنه ؛ رأيناه يخاطب السفير الأمريكى بالنيابة فى بغداد ، ويقول له : إننى أحدثك باسم الملك عبدالعزيز والملك فاروق والامام أحمد والأمير عبد الإله ، وباسم رئيس جمهورية سوريا ورئيس الجمهورية اللبنانية . وأرجو أن تبلغ حكومتك أن تقف موقف الحياد الشريف فى هذا النضال الذى نخوضه فى هذه الظروف (١) .

وكان من نتائج الزيارة أيضاً غير ماجد بسببها من التقارب والوئام بين البيتين السعودى والهاشمى اللذين ظلا فى عداء وشقاق أمداً طويلا قبل هذا ، كان من نتائجها أن بدا للناس انه قد ترك للشعوب العربيه أن تقول كلمتها فى مصيرها ؛ وان مشروع « سوريا الكبرى » قد

---

(١) نشر هذا الحديث للملك عبد الله فى صحف مصر الصادرة فى يوم الجمعة الموافق ٢ يولية سنة ١٩٤٨ م .

طوى ، ذلك المشروع الذى كان خصوم العرب كثيراً ما يتخذونه وسيلة لبذر بذور الشقاق بين الشعوب العربية . وظل الناس على هذا الاعتقاد إلى أن فاجأتنا الأيام بحوادث أريحا المزعجة ، فعادت مشكلة « سوريا الكبرى » إلى الظهور فى ميدان السياسة العربية ، وفتحت أبواب الشقاق والنزاع فى صفوف العرب من جديد . وقبل حديثنا عن مؤتمر أريحا وأثره فى العلاقات بين المملكة العربية السعودية والمملكة الهاشمية الأردنية نحب أن نقدم لذلك بالحديث عن مشروع « سوريا الكبرى » نشأته وتطوراته وما يترتب عليه من نتائج ، حتى تتضح الأمور وتتبين الأغراض والدوافع .

مشروع « سوريا الكبرى »

إن مشروع « سوريا الكبرى » يرمى إلى تكوين كتلة عربية من بلاد شرق الأردن وفلسطين وسوريا ولبنان والعراق تحت حكم أحد أفراد البيت الهاشمى من أبناء المغفور له الشريف حسين شريف مكة وملك الحجاز السابق ، وقد كان المغفور له الملك عبد الله ملك شرق الأردن يعتقد أنه صاحب هذا الحق ويعمل لتحقيق المشروع .

فهذا المشروع يرمى فى الأصل إلى تكوين دولة سورية مستقلة موحدة بوحدتها القومية وحدودها الطبيعية ، « فتمتد من جبال طوروس شمالا ومن الخابور فالفرات شرقا ومن الصحراء العربية فمداين صالح جنوبا ومن البحر الأحمر خط العقبة ورفح فالبحر الأبيض المتوسط غربا » . والسوريون حينما نادوا بإنشاء هذه الدولة كانوا يريدون أن تنشأ دولة عربية موحدة مستقلة من وقت تكوينها .

والمشروع على هذا الوضع مشروع صالح ولاشك يسر العرب جميعاً أن يتحقق؛ ولكن فكرة المشروع تطورت من وقت نشأتها إلى الآن تطورات كثيرة بسبب الأحداث التى جدت فى هذه الحقبة الطويلة من الزمن وبسبب ألاعيب السياسة الاستعمارية التى مسخت المشروع فجعلته وسيلة من وسائل تمكين النفوذ الأجنبى الاستعمارى ومده فى البلاد العربية بدل أن يكون من وسائل التوحد والاستقلال والقوة لأهل هذه البلاد العرب كما كان يقصد به فى الأصل ، وسنبين فى حديثنا الآتى كيف نشأ هذا المشروع وكيف تطور .

أصل الفكرة فى المشروع :

عندما أعلنت الحرب الكبرى الأولى كانت الأمة العربية تفكر فى العمل للاستقلال وكانت رغبة العرب فى التحرر من الحكم العثمانى قوية ، خصوصاً بعد الذى شاهده زعماء العرب من اتجاه رجال حكومة الاتحاد والترقى التركية إلى تغليب الطابع التركى فى دولة الخلافة وإلى كبت الشعور القومى العربى والعمل لسيادة العنصر التركى وإذلال العرب وإخضاعهم بمختلف الوسائل . فلما قامت الحرب رأى العرب أنها قد تكون فرصة سانحة لتحقيق ما اتجهت أفكارهم إليه من الاستقلال والتحرر ، وأدرك الحلفاء وخاصة الإنكليز مايجيش بنفوس العرب فعملوا على استقلاله لصالحهم بطريقة تكفل لهم النصر فى ميدان الشرق الأدنى حتى يتقوا الخطر الألمانى التركى فى هذا الميدان الحيوى بالنسبة إليهم ؛ ومما ساعد الحلفاء والإنكليز على النجاح فى خطتهم التى وضعوها لإثارة العرب

ضد الأتراك تلك المظالم الفاحشة التى ارتكبها جمال باشا الحاكم التركى فى بلاد سوريا ضد السكان العرب الأبرياء ، فاغتصب أموالهم وملأ السجون منهم وقتل الكثيرين من زعمائهم بلا ذنب ارتكبوه ودون اكتراث من جانبه .

فعمل الإنكليز على الاتصال بالشريف حسين حتى ينضم إليهم فى حربهم ضد الأتراك ويثور على دولة الخلافة فى مقابل مساعدتهم له على تحقيق أغراضه فى إنشاء دولة عربية مستقلة تحت حكمه ، وقد كان الإنكليز يعرفون الكثير عن هذه الأغراض خصوصاً بعد أن بدأ الشريف حسين بالاتصال بهم حيث إنه أرسل ابنه الأمير عبد الله (ملك شرق الأردن أخيرا) قبيل قيام الحرب فى فبراير سنة ١٩١٤ م إلى القاهرة فزار سموه اللورد كتشنر المعتمد البريطانى فى مصر فى ذلك الوقت ، وعلم اللورد فى هذه الزيارة الكثير عن أغراض الشريف حسين وعن أمله فى مساعدة الإنكليز له لتحقيق تلك الأغراض [1] . وبناء على مشورة اللورد كتشنر الذى أصبح وزيراً للحربية البريطانية جدد خلفه فى القاهرة السير هنرى مكماهون الاتصال بالشريف حسين ودارت بين الجانبين مباحثات وتبودلت بينهما مكاتبات سرية للاتفاق ولتحديد مطالب الشريف فى إنشاء الدولة العربية المرجوة .

وفى الكتاب الذى أرسله الشريف حسين إلى السير هنرى مكماهون فى ٢٨ رمضان سنة ١٣٣٣ هـ / ١٤ يوليه سنة ١٩١٥ م بين الشريف حدود الدولة

---

(١) راجع ص ١٤١ ـ ١٤٢ من الكتاب .

العربية التى يطلب من الإنكليز أن يتعهدوا بمساعدته فى إنشائها ، وطلب « أن تعترف انكلترا باستقلال البلاد العربية من مرسين — اطنه حتى الخليج الفارسى شمالا ، ومن بلاد فارس حتى خليج البصرة شرقا ، ومن المحيط الهندى للجزيرة جنوبا — يستثنى من ذلك عدن التى تبقى كما هى — ومن البحر الأحمر والبحر المتوسط حتى سينا غربا » (١) . وبعد أن حاول السير هنرى مكماهون فى رده على هذا الكتاب التهرب من الارتباط بشىء فى مسألة الحدود اضطر فى رده على كتاب الشريف الثانى إلى أن يتعرض لهذه المسألة ولكن بطريقة معماة ملتوية تتيح للانكليز التحلل فيما بعد . فقال فى هذا الرد المؤرخ فى ١٥ ذى الحجة سنة ١٣٣٣ هـ / ٢٤ اكتوبر سنة ١٩١٥ م : « . . . إن مرسين واسكندرونه وبعض الأقسام السورية الواقعة فى غربى دمشق وحمص وحماه وحلب لا يمكن أن يقال عنها إنها عربية محضة ، فيجب أن تستثنى من الحدود التى ذكرتموها ، ونحن على استعداد للموافقة على تلك الحدود على أساس هذه التعديلات على ألا تنقض شيئا من اتفاقنا مع الزعماء العرب . أما الأراضى التى تستطيع انكلترا العمل فيها بملء الحرية ودون أن توقع ضرراً بحليفتها فرنسا فإن لى السلطة التامة باسم حكومة صاحب الجلالة أن أعطيكم التأمينات التالية جواباً على كتابكم .

---

(١) راجع ص ١٣٠ — ١٣١ من المجلد الأول من كتاب « الثورة العربية الكبرى » لأمين سعيد .

١ — إن انكلترا مستعدة — على أساس تلك التعديلات — أن تعترف باستقلال العرب وتقديم المساعدة لهم فى الحدود التى اقترحها شريف مكة .

٢ — تحمى بريطانيا الأراضى المقدسة من كل اعتداء خارجى وتعترف بوحدتها .

٣ — تقدم بريطانيا للعرب — عند الحاجة — كل مساعدة أو نصيحة تلزم وتعاونهم فى تشكيل أفضل شكل من أشكال الحكومات فى مختلف البلاد العربية .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن العرب يوافقون على الاقتصار على استشارة ومعونة وإدارة بريطانيا العظمى وحدها ، ويرضون بأن يكون جميع الموظفين الذين يحتاجون إليهم لتنظيم دوائر مملكتهم من التبعة الإنكليزية .

أما ما يتعلق بولايتى البصرة وبغداد فإن العرب يعرفون أن مركز انكلترا ومصالحها فيها تتطلب شكلا إداريا خاصا ، ومراقبة خاصة للمحافظة على تلك الأنحاء من الاعتداءات الخارجية وتأمين راحة واطمئنان السكان ، وتوطيد مصالحنا المشتركة فيها . . . » (١) .

ثم اعترض الشريف على كثير من المسائل التى تتعلق بالحدود والعراق ، وحصلت بينه وبين السير هنرى مكماهون عدة مكاتبات، وأخيراً تفاهم مع الإنكليز

(١) راجع ص ١٣٦ — ١٣٧ ، ج ١ من المرجع السابق .

وأعلن الثورة فى الحجاز فى يونيه سنة ١٩١٦ م ، ثم امتد أوار الثورة إلى سوريا وكان موقف العرب عاملا حاسما فى كسب الحلفاء للمعركة وحصولهم على النصر . ووقف العرب هذا الموقف آملين أن انكلترا ستفى بالوعد وأنها ستساعدهم على تكوين الدولة العربية كما تخيلها الشريف حسين وحددها أو قريباً من ذلك . غير أن الحوادث أخلفت ظن العرب وأظهرت أن ثقة الشريف فى الوعود والمساعدة البريطانية كانت فى غير محلها ، حيث تبين فيما بعد أنه كانت هناك مفاوضات سرية بين انكلترا وفرنسا بشأن تقسيم الشرق العربى إلى منطقتى نفوذ بين الدولتين فى نفس الوقت الذى كانت تتفاوض فيه انكلترا مع الشريف حسين وأنه تم الاتفاق بين الدولتين نهائيا على ذلك قبل إعلان الشريف للثورة بمقتضى معاهدة سيكس ـ بيكو (Sykes Picot) التى عقدت بين فرنسا وانكلترا فى مايو سنة ١٩١٦ م . وفى ٤ نوفمبر من سنة ١٩١٧ صدر تصريح بلفور المشئوم الذى يعطى اليهود حق الوطن القومى فى فلسطين ويقطع قسما من الدولة العربية التى تعهد الإنكليز للشريف بمساعدته على إنشائها .

وكانت النتيجة العملية أن أصبح تكوين الدولة العربية الموحدة المستقلة بعد معاهدة سيكس ـ بيكو وبعد تصريح بلفور أمراً لا يمكن تنفيذه إلا إذا تغيرت الظروف وجد ما لم يكن بالحسبان . وعلى الرغم من هذا فقد بقيت الفكرة مسيطرة على أصحابها ، وبقى العرب على استعداد للتضحية فى سبيلها .

مملكة سوريا الكبرى :

ولما وصل الأمير فيصل بن الحسين إلى دمشق فى ٢ اكتوبر سنة ١٩١٨ أذاع بعد ثلاثة أيام من وصوله بلاغا رسميا معلناً أنه قد « تشكلت فى سوريا حكومة دستورية عربية مستقلة استقلالا تاما لا شائبة فيه باسم السلطان حسين (الشريف حسين والد سموه) شاملة جميع البلاد السورية » ، أعلن هذا الأمير فيصل وهو يعرف مابين انكلترا وفرنسا من اتفاق ويعرف وعد بلفور ، ولكنه تجاهل كل ذلك فى سبيل تقرير حق العرب المشروع . غير أن انكلترا وفرنسا لم تتركا إعلان قيام الدولة السورية يمر بدون تدخل ، فأصدرتا فى ٨ نوفمبر سنة ١٩١٨ تصريحهما (١) الذى يعتبر رداً على ما أعلنه الأمير ، والذى يدل على أن الدولتين لم تنزلا عن أطماعهما وسياستهما المرسومة وينبىء عن تصميم الحليفتين على تنفيذ الاتفاق السرى المعقود بينهما وتنفيذ وعد بلفور .

وكان وصول الأمير فيصل إلى دمشق وإعلانه قيام دولة سوريا الكبرى سبباً فى إلهاب نار الحماسة الوطنية فى نفوس العرب الأحرار ، فالتفوا حول الأمير ونشطت الحركة الوطنية وتألفت الأحزاب وفى مقدمتها «حزب الاتحاد السورى» و«الحزب الوطنى السورى» ، وأعلنت البلاد المطالبة بإنشاء دولة سوريا بوحدتها القومية وحدودها الطبيعية التى ذكرناها فى مبدأ الحديث ، وطالبت بأن تكون تلك الدولة مستقلة استقلالا تاما تحت حكم فيصل بن الحسين الذى قاد هذه الحركة

(١) راجع نص التصريح فى ص ٥ - ٦ ، ج ٢ من المرجع السابق .

الاستقلالية وكافح فى سبيلها كفاح الأبطال على منابر البيان والخطابة فى مؤتمر الصلح حينما انعقد بباريس فى جلسة ٦ فبراير سنة ١٩١٩ م ، وفى ميادين القتال السورية حينما زحف الجيش الفرنسى بقيادة الجنرال غورو واستولى على دمشق فى يولية سنة ١٩٢٠ م .

وفى هذه الفترة الأخيرة من الكفاح حدثت أحداث هامة كانت فاصلة فى تاريخ مملكة سوريا الكبرى التى كان يرجى لها أن تنشأ دولة عربية موحدة مستقلة ، وسنشير إلى أهم تلك الأحداث فيما نرى بالقدر اللازم لتوضيح الفكرة وبيان تطورها . فبعد وصول اللجنة الأمريكية المؤلفة برئاسة المستر تشارلس كراين والمكلفة بدراسة الأحوال فى سوريا ، وتعرف رغبات السكان ومطالبهم إلى دمشق قابلها رئيس المؤتمر السورى العام الممثل لكل أجزاء البلاد السورية بتاريخ ٣ يوليه سنة ١٩١٩ م ، وكان على رأس وفد مؤلف من واحد وعشرين عضواً عن أعضاء المؤتمر ، وسلم إليها قرار المؤتمر الهام الذى يوضح رغبات السوريين ويحدد مطالبهم (١) . وفى هذا القرار يوضح الشعب السورى فى البند الأول أنه يطلب الاستقلال السياسى التام الناجز للبلاد السورية بأكملها ، كما سبق أن حددناها ، بدون حماية ولا وصاية ؛ ثم يطلب فى البند الثانى أن تكون حكومة سوريا الكبرى حكومة ملكية مدنية نيابية على طريقة اللامركزية الواسعة مع كفالة حقوق الأقليات ، على أن يكون الأمير فيصل ملكا

(١) راجع نص القرار فى ص ٤٨ — ٥٠ ، ج ٢ من المرجع السابق .

على البلاد لأنه جاهد فى سبيل تحريرها ولأنه يستحق ثقة الشعب السورى ؛ وفى البند السادس والسابع يسجل القرار عدم الاعتراف بأى حق تدعيه الدولة الفرنسية فى أى بقعة كانت من البلاد السورية ويرفض أى مساعدة من فرنسا تقدمها إلى سوريا ، كما يرفض مطالب الصهيونيين بجعل القسم الجنوبى من البلاد السورية (فلسطين) وطناً قومياً للإسرائيليين ؛ وفى البند الثامن يبين قرار المؤتمر السورى ضرورة احتواء الدولة السورية على لبنان وفلسطين ؛ وفى التاسع يطلب الاستقلال التام للقطر العراقى المحرر وعدم إيجاد حواجز اقتصادية بينه وبين سوريا .

وفى ٢٥ ابريل سنة ١٩٢٠ اجتمع المجلس الأعلى للحلفاء وقرر وضع المنطقة العربية فيما بين البحر الأبيض المتوسط والخليج الفارسى تحت الانتداب ، كما قرر تقسيم سوريا إلى ثلاثة أقسام لبنان وفلسطين وسوريا التى تشمل ماتبقى بعد القسمين السابقين ، وفى بقية قراراته أبقى العراق بدون تقسيم . وكانت هـذه القرارات التى أثارت نفوس العرب وسخطهم على دول الحلفاء إيذانا بالقضاء على دولة سوريا الـكبرى الموحدة المستقلة وبدخولها فى مرحلة جديدة من مراحل التاريخ . فبعد أحداث وتطورات فى الموقف أنذر الجنرال غورو قائد الجيش الفرنسى جلالة الملك فيصل ملك سوريا فى ١٤ يوليه سـنة ١٩٢٠ م ، وطلب إليه فيما طلب قبول الانتداب الفرنسى بدون قيد ولا شرط ؛ وفى يوم السبت الموافق ٢٤ يولية سنة ١٩٢٠ م هزم جيش سوريا الـكبرى فى موقعة ميسلون ، وفى الساعة الرابعة بعدظهر يوم الأحد الموافق ٢٥ بدأت طلائع الجيش الفرنسى

تدخل أبواب دمشق . وبعدسقوط دمشق طلب الجنرال غورو إلى الملك مغادرة البلاد بقرار من الحكومة الفرنسية ، إذ أن وجوده فى البلاد السورية أصبح فى نظر الفرنسيين خطراً عليهم ، وحدد له الساعة الخامسة من صباح الأربعاء الموافق ٢٨ يوليه سنة ١٩٢٠م لمغادرة محطة الحجاز بدمشق فى طريقه إلى خارج البلاد . ولم يستطع الملك فيصل غير مغادرة البلادفنفذ ما طلب إليه وغادر دمشق فى الموعد المضروب ، ثم أبحر إلى إيطاليا بعد قليل ومكث بها مدة إلى أن سافر إلى لندن فى ديسمبر من نفس السنة بناء على دعوة وجهت إليه من الحكومة الإنكليزية . وكانت خاتمة هذا الدور من تاريخ سوريا الكبرى الاتفاق بين فرنسا وانكلترا بتاريخ ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٢٠ على تحديد الحدود بين سوريا ولبنان مناطق الانتداب الفرنسى ، وفلسطين والعراق مناطق الانتداب الإنكليزى .

أرادت انكلترا بعد أن ساعدت فرنسا على توطيد نفوذها فى سوريا ولبنان وبعد أن وطدت نفوذها هى فى فلسطين والعراق واحتلت البلدين بجيوشها ، أرادت بعد أن مزقت سوريا الكبرى وأضاعت استقلالها وخدعت العرب فى سبيل قضاء مصالحها أن تعمل عملا لإرضاء الهاشميين الذين آزروها وخدعوا بألاعيبها ، فأنشأت إمارة شرق الأردن وأسندتها إلى الأمير عبد الله بن الحسين وسوت أمورها فى العراق بعد ثورة العراقيين ضدها ، ثم ساعدت على تولى الملك فيصل بن الحسين عرش مملكة العراق الجديدة .

وكانت النهاية بعد هذه التطورات التى شرحناها أن قضى على مشروع سوريا الكبرى الموحدة المستقلة ، وأن هدأت فكرة المشروع حتى أذن لها أن تتحرك من جديد ، فتحركت ولكن فى ثوب جديد وعلى وجه جديد ؛ فبعد أن كانت سوريا الكبرى المستقلة التى حاربها الإنكليز وقضوا مع حلفائهم الفرنسيين عليها ، أصبحت سوريا الكبرى التى يوعز بالدعوة إليها الإنكليز ، والتى يساعد على قيامها ويرحب بها الإنكليز لتنشأ فى حجرهم وتعيش فى حمايتهم وتحت كنفهم .

عبد الله بن الحسين ومشروع « سوريا الكبرى » :

رأينا فيما سبق أن فيصل بن الحسين هو الذى كان يتزعم حركة الدعوة والعمل لتحقيق مشروع سوريا الكبرى فى دورها الأول ، يوم أن كانت دعوة إلى إنشاء دولة عربية موحدة مستقلة يسعى سكانها العرب إلى تحقيقها ويضحون فى سبيل قيامها بكل ما يستطيعون . أما فى هذا الدور الثانى فإن الذى يتزعم الدعوة إلى تحقيق المشروع هو أخو فيصل عبد الله بن الحسين ، ولكن بعد أن تغيرت الأحوال وتطورت فكرة المشروع ، إذ لو تحقق مشروع سوريا الكبرى الآن كما كان يريد جلالة الملك عبدالله لترتب على ذلك إلحاق سوريا المستقلة وربط لبنان المستقل بشرق الأردن المشمول بنفوذ الإنكليز وحمايتهم ، والمحتل بالإنكليز ، كما يترتب عليه إلحاق القسم العربى من فلسطين بشرق الأردن ، وفى ذلك مافيه من الاعتراف بقيام الدولة الصهيونية بفلسطين وما يتبع ذلك

من النتائج الخطيرة ، ومثل هـــذا يقال فيما يترتب على ربط العراق المستقل بشرق الأردن الذى لم ينل بعد من الاستقلال إلا اسمه . وفيما يلى سنرى تطورات المشروع فى عهد عبد الله بن الحسين .

لما رأى الأمير عبد الله أن فرنسا انهارت فى أوائل الحرب العالمية الثانيـة وأن سيطرتها فى سوريا ولبنان فى طريق الزوال خصوصاً بعد احتلال انـكلترا لسوريا فى مايو وللبنان فى يونيه من سنة ١٩٤١ م ، ورأى بعد ذلك أن الإنـكليز والفرنسيين الأحرار يعلنون العزم على منح البلدين الاستقلال حينما يصبح ذلك ميسوراً ، لما رأى الأمير هذه الأحداث تحدث أثناء الحرب الـكبرى الثانية فـكر فى السعى لتحقيق مشروع سوريا الـكبرى . وإذا تحقق هذا المشروع فسيكون ذلك طبعاً بما يتناسب مع وضع شرق الأردن السياسى ، وما يتناسب مع وضع الإنـكليز فى هذه الإمارة وهم أصحاب السلطان والنفوذ فيها . ولقد سارت الحركة الاستقلالية فى سوريا ولبنان فى طريقها حتى وصلت إلى تقرير تنفيذ استقلال القطرين الشقيقين اعتباراً من أول يناير سـنة ١٩٤٤ م مع بقاء جيوش الاحتلال الفرنسية والإنـكليزية فيهما لحين انتهاء أعمال القتال ، وانتهى الأمر بعد ذلك بجلاء الجيوش الأجنبية وباستقلال البلدين استقلالا تاما . وفى هذه الأثناء قويت الرغبة عنـــد الأمير عبد الله فى العمل لتحقيق المشروع فابتدأ سعيه الرسمى بأن أرسل مذكرة هامة إلى الحـكومة البريطانية فى سنة ١٩٤٣ م يشرح فيها رأيه فى القضية العربية ، ويقترح قيام دولة سوريا الـكبرى على أساس الوحدة كما هو مقتضى المشروع الأول من المذكرة ، أو على أساس

الاتحاد كما هو مقتضى المشروع الثانى . وفيما يلى نثبت نص هـذه المذكرة الخطيرة التى تعتبر أساساً لسعى عبـد الله بن الحسين فى تحقيق مشروع سوريا الـكبرى ، والتى ترينا بالتفصيل على أى وجه أراد الأمير أن يتحقق المشروع .

مذكرة الأمير عبد الله إلى الحكومة البريطانية (١) .

بناءاً على وعود بريطانيا العظمى للعرب سابقاً ولاحقاً ، ونظراً لعجز الحـكومة الفرنسية الشرعية عن القيام بوكالتها المؤقتة عن جمعية الأمم فى سوريا وزوال تلك الوكالة حكما بسقوط أهليتها القانونية ، ونظراً لتمتع سوريا باستقلال ودستور شرعيين ، وبالإشارة إلى ما صرح به وزير الخارجية البريطانية المستر انطونى إيدن بشأن الوحدة العربية أرى أن من مقتضيات ذلك ، بل من مقتضيات تسهيل مهمة الديمقراطيات فى الشرق الأدنى ، وإعادة توثيق الصداقة العربية البريطانية التقليدية ، وضمان الثقة والاستقرار الحقيقى فى البلاد العربية المحررة منذ الحرب الماضية أن يصار حالا إلى تنفيذ أحد المشروعين الآتيين :

---

(١) أخذنا نص المذكرة عن « مشروع سوريا الـكبرى » للدكتور راشد البراوى ، حيث صرح الدكتور فى هامش الصحيفة رقم ٣٩ بأنه نقله عن كتاب « الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربى » ص ٢٢١ — ٢٢٩ .

المشروع الأول

(ا) مشروع الوحـدة السورية (الدولة السورية الموحدة والاتحاد العربى) .

١ — إعلان الحلفاء تأييد استقلال سوريا بحدودها الطبيعية واعتبار وحدتها القومية والجغرافية أساساً لنظام الحكم فيها .

٢ — يكون هذا الإعلان تأييداً فى الواقع لمصلحة البلاد ولرغبة الشعب السورى التى أبداها عقب الحرب الماضية وفى جميع المناسبات وسجلتها لجنة الاستفتاء الأمريكية (لجنة المستر كراين) فى حينه ، كما أن المؤتمر السورى الذى انعقد بدمشق ممثلا سوريا المحررة بجميع أقاليمها أى (سوريا الشمالية ، لبنان ، شرقى الأردن ، فلسطين) قد أعلن ذلك فى قرار ٨ آذار (مارس) ١٩٢٠ م المبلغ إلى الدول وجامعة الأمم فى حينه ، معبراً فى قراره التاريخى هذا عن إرادة الشعب السورى الحقيقية ، ذلك القرار الذى مازال هو الميثاق القومى لجميع السوريين ، والحكومة السورية الحاضرة مازالت تعتبر يوم إعلانه عيداً رسمياً ، كما أن العلم الرسمى الذى أنشأه لسوريا مازال هو العلم الذى يظلل حكومة شرق الأردن .

٣ — ان مشروع الدولة السورية يتضمن :

(ا) الاعتراف بدولة سوريا مستقلة وذات سيادة يكون نظام الحكم فيها ملكيا ودستوريا .

(ب) تضم الدولة السورية الموحدة (سوريا الشمالية ، وشرق الأردن ، وفلسطين ، ولبنان) .

(ج) يكون لكل من فلسطين فى بعض مناطقها ولبنان القديمة إدارة خاصة بمقتضى الدستور يلاحظ فى الأول منها حفظ حقوق الأقلية اليهودية ومركز الأماكن المقدسة الخاصة وفى الثانية صيانة امتيازات لبنان القديم .

(د) يلغى وعد بلفور لعدم موافقة العرب عليه وهم أصحاب البلاد الشرعيين ، أو يفسر تفسيراً يزيل مخاوف العالمين العربى والإسلامى فيكتفى بالوضع الراهن وهو نسبة الثلث إلى الثلثين وتمنع الهجرة اليهودية .

(هـ) تصان المصالح البريطانية والأجنبية فى الدولة السورية الموحدة بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

٤ — رئاسة الدول السورية .

يدعى سمو الأمير عبد الله بن الحسين لرئاسة الدول السورية بالاستناد إلى الاعتبارات المشروعة الآتية :

(ا) حقوقه الشرعية الثابتة فى الإمارة الأردنية وهى جزء مهم من أجزاء سوريا الكبرى .

(ب) مساهمته سابقا ولاحقاً بمعونة الحلفاء معونة فعلية وقد اشتملت هذه

المعونة على الساحة السورية فى الحرب الحاضرة .

(ج) كونه الوريث الأول لحقوق والده المغفور له جلالة الملك حسين فى رعاية الحقوق السورية بوجه خاص والحقوق العربية بوجه عام .

(د) وعد الحكومة البريطانية له برئاسة الدول السورية بلسان رئيس وزارتها الحالى المستر تشرشل منذ عام ١٩٢١ وزوال موانع تنفيذ ذلك الوعد بعد انهيار الدولة الفرنسية وسقوط وكالتها القانونية عن جمعية الأمم ، وبعد أن أصبحت بريطانيا العظمى تملك حرية العمل فى الأراضى السورية على اختلاف أقاليمها .

(هـ) رغبة السوريين بالحكم الملكى الدستورى فى حالة تحقيق وحدة البلاد العامة أو اتحادها المركزى .

٥ — الاتحاد العربى .

حال إعلان تأسيس الدولة السورية الموحدة يصار إلى تأسيس اتحاد عربى تعاهدى مؤلف من الدولتين السورية والعراقية (أى من أراضى الهلال الخصيب) بتنظيم الدفاع والثقافة والاقتصاد الوطنى ، وليس ثمة مايمنع انضمام الدول العربية الأخرى إلى هذا الاتحاد على أن تكون رئاسة مجلس الاتحاد العربى دورية أو أن تعطى عند الاقتضاء عهدياً إلى أوسع الدول العربية ثروة ونفوذاً ونفوساً .

المشروع الثانى

(ب) مشروع عملى فى تأسيس دولة سورية اتحادية وقيام اتحاد عربى تعاهدى فى حالة عدم تأسيس الدولة السورية الموحدة حالا فإنه لا يكون متعذراً أن يصار إلى تأسيس اتحاد سورى مركزى (أى دولة سورية اتحادية) ضمن القواعد الآتية الموضوعة فى ضوء المصلحة الحقيقية للبلاد السورية مع تقدير أوضاعها الراهنة بالإضافة إلى مصلحة الحلفاء الحقيقية بالنسبة إلى اكتساب الثقة العامة وتسهيل مهمة الدفاع فى الشرق الأدنى .

١ — تقوم فى الأراضى السورية بحدودها الطبيعية دولة سورية اتحادية مركزية تضم حكومات شرق الأردن وسوريا الشمالية ولبنان وفلسطين عاصمتها دمشق .

٢ — ينظم الاتحاد السورى المركزى شؤون الدفاع والمواصلات والاقتصاد الوطنى والسياسة الخارجية والثقافة العامة والقضاء الاتحادى مع بقاء الاستقلال الذاتى لكل من الحكومات الإقليمية الأربع باستثناء مايصبح من اختصاص حكومة الاتحاد السورى العامة .

٣ — يكون للاتحاد السورى (مجلس اشتراعى عام منتخب) ممثل للأقاليم المتحدة اتحاداً مركزيا ، ومنه يكون انتخاب رئيس وزراء الاتحاد واختيار أعضاء السلطة التنفيذية الاتحادية وفق أحكام الدستور .

٤ ـ يتم الاتحاد السورى بنتيجة مفاوضات واتفاق بين الحكومات الأربعة الاقليمية ، وتكون الخطوة الأولى فى تحقيقه مفاوضات واتفاق حكومتى شرق الأردن وسوريا الشمالية .

٥ ـ تصاغ قواعد وأسس الاتحاد فى مشروع دستور اتحادى تضعه لجنة مختصة تمثل الأقاليم المشتركة فيه يتفق على عددها وصلاحيتها .

٦ ـ يسمى سمو الأمير عبد الله بن الحسين رئيسا للدولة السورية الاتحادية لعين الأسباب والاعتبارات المبينة فى البند (٤) من المشروع السابق ، ويعهد بإدارة شرق الأردن الخاصة إلى نائب عن سموه .

٧ ـ يناقش ويصدق على مشروع دستور الاتحاد السورى من قبل المجالس التمثيلية للحكومات الاقليمية فى هيئة مؤتمر ، أو من قبل جمعية وطنية عامة تمثل مناطق الاتحاد تنتخب لهذه الغاية .

٨ ـ يعلن دستور الاتحاد رسميا ويعمل به من تاريخ اليوم المعين للتنفيذ وفق المراسم التى تقرر .

٩ ـ فى حالة وقوع انضمام حكومة لبنان أو فلسطين إلى الاتحاد السورى متأخراً أو على أساس تعاهدى فقط يصار إلى تصديق شروط وحدود ذلك الانضمام من قبل مجلس الاتحاد الاشتراعى ومجلس نواب الحكومة المنظمة الاقليمى كلا على حدة ، ثم يعلن تنفيذ ذلك .

١٠ — إذا تخلفت حكومة لبنان عن الانضمام إلى الاتحاد السورى المركزى لأسباب خاصة بها يجب أن تعاد الأراضى السورية الملحقة بلبنان (دون رغبة من السكان) بالاستفتاء الحر إلى سوريا .

١١ — يشترط فى انضمام فلسطين إلى الاتحاد السورى وبالنتيجة إلى الاتحاد العربى العام تحقق الأمور الآتية :

(ا) تقوم حكومة وطنية دستورية فى فلسطين بحدودها الحاضرة .

(ب) يبقى العمل بالكتاب الأبيض موقتاً على أن يحل محله تفسير رسمى لوعد بلفور من الجانب البريطانى خلال مدة معينة ، وهذا التفسير يشترط فيه إزالة مخاوف العالمين العربى والإسلامى بتأكيد حقوق عرب فلسطين القومية والسياسية فى وطنهم الخاص الموروث عن الآباء والأجداد ، بحيث يظل مركزهم القومى مضموناً فى فلسطين لايصار إلى انتقاصه عن طريق أى هجرة يهودية أو أى إجراءات أخرى ، مع وقف الهجرة اليهودية الأجنبية منذ الآن والاحتفاظ بالحالة الراهنة وهى نسبة الثلث من اليهود إلى ثلثين من العرب ، تلك النسبة التى أوجدتها منذ نهاية الحرب الماضية حتى الآن هجرة أجنبية متواصلة لم يعترف بمشروعيتها العرب قط .

إن مثل هذه النسبة الطارئة على فلسطين دون موافقة السكان العرب يجب أن تعتبر كافية فى نظر الحكومة البريطانية لتبرير الادعاء بأنها قدأنجزت ماوعدت به اليهود ، لاسيما وهى مرتبطة فى ذات الوقت بالتزامات مقطوعة للعرب من

حقوق قومية وشرعية ثابتة فى وطنهم الموروث .

(ج) يراعى فى إدارة فلسطين الوطنية المركز الخاص للأماكن المقدسة .

(د) تعطى المناطق ذات الأكثرية اليهودية إدارة لامركزية توكيداً لحفظ حقوق الأقلية اليهودية .

(هـ) يبادل الاتحاد العربى العام المواطنين الفلسطينيين من اليهود تعاوناً اقتصادياً نافعاً .

(و) يشترط لإقرار العرب هذه المزايا للأقلية اليهودية فى فلسطين إعلان الهيئة اليهودية المسئولة موافقة اليهود نهائياً على هذا الحل بإشعار الحكومة البريطانية ذلك .

١٢ — فى حالة عدم حل المشكلة الفلسطينية على هذا الأساس من الجانب البريطانى تظل فلسطين خارج نطاق الاتحاد السورى ، كما يظل العرب كأمة ذات ميثاق قومى وحقوق وطنية مشروعة غير معترفين بمشروعية الوضع الراهن لفلسطين ومثابرين على المطالبة بإلغاء وعد بلفور ، مع العلم أن المشكلة الفلسطينية هى المصدر الرئيسى لتسميم العلاقات البريطانية مع العالمين العربى والإسلامى ، ومع العلم أن فلسطين ليست هى المكان الذى يتسع لحل المشكلة اليهودية العالمية ، وإنه لفى صالح الجميع فى رأى أصدقاء بريطانيا العظمى أن تحل المسألة الفلسطينية كما أوضحنا ، وهو أوفى مايمكن أن يرضى به العرب ، ويكفى أنه فى مصلحة السلام

والاستقرار والعدل الدولى حاضراً ومستقبلا ، كما أنه يقطع دابر الفتنة والشكوك والدعاية المعادية للديمقراطيات فى الشرق الأدنى .

١٣ — بعد قيام الدولة السورية الاتحادية وفق الأسس المبينة فى البنود السابقة يصار إلى تأسيس الاتحاد العربى التعاهدى وفق ماذكر فى البند (٥) من المشروع الأول .

١٤ — تصان المصالح البريطانية والأجنبية فى الدولة السورية الاتحادية بمقتضى معاهدة كالمعاهدتين المصرية والعراقية .

***

تقدم الأمير إلى الحكومة البريطانية بهذه المذكرة آملا أن يجد لدى أصدقائه الانكليز أصحاب القوة والسلطان وأصحاب المطامع الاستعمارية والمصالح المختلفة العون والمساعدة فى إنشاء دولة سوريا الكبرى ؛ ثم اتجه من ناحية أخرى فى سنة ١٩٤٣ م أيضا إلى أهل البلاد الذين سيكونون من رعاياه عند ما تقوم الدولة المرجوة ، وأصدر بلاغا إلى أهل الشام « حاضره وباديه ومن خليج العقبة إلى البحر الأبيض المتوسط إلى أعالى الفرات » ليعدهم لقبول ماسيجد مما يسعى إليه وجاء فى هذا البلاغ قول سموه : « ألا وإننا لداعون فى الوقت نفسه جملة أهل الحل والعقد فى بلاد الشام إلى مشروع وحدة أواتحاد سورى شامل ووطن كامل يناقشون أمره فى مؤتمر سورى خاص نرحب بعقده فى عاصمة بلادنا عند مايختارون وقته وزمانه أو يؤيدونه بعد إمعان النظر فى مراميه هيئات وفئات من زعماء وعلماء » .

وبعد هذه الخطوات التى اتخذها الأمير عبد الله اقتضت الأحوال أن يتريث زمنا حتى تنتهى الحرب وتحل المشاكل فيما بين فرنسا وبين سوريا ولبنان ، فلما انتهت الحرب واستقلت سوريا ولبنان أصبحت الظروف مهيأة لنشاط الأمير وسعيه من جديد ، وكانت مقدمة السعى والنشاط أن يتفاهم سموه مع الإنكليز لتعديل وضع شرق الأردن السياسى ، ولو من حيث الشكل حتى يكون من المستساغ لدى السوريين من سكان سوريا الكبرى أن يقبلوا الانضمام إلى شرق الأردن فى وحدة أوفى اتحاد . وكان من نتائج ذلك أن أعلنت انكلترا إلغاء انتدابها على شرق الأردن وأنها أصبحت دولة مستقلة ذات سيادة ، وأبلغت ذلك إلى هيئة الأمم المتحدة عند بدء انعقاد دورتها الأولى بلندن فى شهر يناير سنة ١٩٤٦ م . فأصبح الأمير عبد الله ملكا لشرق الأردن ، وأصبحت شرق الأردن فى الظاهر دولة مستقلة دستورية ؛ فجلالته إذاً يستحق أن يكون رئيسا لسوريا الكبرى ، ودولة شرق الأردن أصبحت أهلا لأن ينضم إليها لبنان وسوريا وفلسطين أوبعضها والعراق أيضاً على أى وجه من الوجوه ، وغير العراق من البلاد العربية فى المستقبل إن أمكن .

وعلى هذا الوجه اعتقد جلالة الملك عبد الله أن الأمور أصبحت مهيأة لأن تسعى المملكة الهاشمية الأردنية بجد فى سبيل تحقيق المشروع وإنشاء دولة سوريا الكبرى تحت حكم جلالته ، فتحرك المجلس النيابى الأردنى الذى ألف بعد اعلان استقلال شرق الأردن الصورى تأليفاً صورياً أيضاً يتناسب مع استقلال المملكة الجديدة ؛ فكما أن هذا الاستقلال مقيد بالمعاهدة الأردنية البريطانية

التى ربطت مصير شرق الأردن بعجلة بريطانيا العظمى وجعلت من هذه البلاد قاعدة حربية يحق لبريطانيا العظمى أن تستخدمها وفق إرادتها بلا قيد ولا شرط ، فكذلك كان تأليف المجلس النيابى تأليفاً صوريا ، إذ أعطى الدستور الأردنى جلالة الملك عبد الله حق تعيين رئيس مجلس النواب ونائبه وحق تعيين جميع أعضاء مجلس الأعيان ، كذلك ليس لمجلس النواب حق اقتراح القوانين ، ولا حق الزيادة فى النفقات المقترحة فى ميزانية الدولة التى تعرض عليه للموافقة ، والملك هو الذى يبرم المعاهدات بموافقة مجلس الوزراء ولا تعرض على البرلمان ، فهو إذاً مجلس نيابى صورى فى بلد مستقل استقلالا صوريا . تحرك هذا المجلس بأمر من سيده جلالة الملك عبد الله وأعلن فى دورته الأولى سنة ١٩٤٦ م على هيئة ميثاق وطنى أن الشعب والحكومة يتمسكان ويطالبان بتحقيق الميثاق الوطنى القديم الخاص بإنشاء دولة سوريا الكبرى تحت عرش الهاشميين . وكان لهذا العمل أثره السيء فى مختلف البلاد والدوائر العربية ، فأثار السخط والارتياب وعدم الارتياح فى سوريا ولبنان والمملكة العربية السعودية ومصر ، خصوصا وقد أثير هذا الموضوع الموجب للخلاف فى صفوف العرب فى وقت حرج بالنسبة للعرب جميعا ، أثير والعرب أشد ما يكونون حاجة إلى الوحدة وضم الصفوف والابتعاد عن كل ما يوجب الفتنة ويثير الخلاف . وتدخل مجلس جامعة الدول العربية حينما انعقد بالقاهرة فى نوفمبر سنة ١٩٤٦ م فى الأمر لفض الخلاف الذى نشب بين سوريا وشرق الأردن نتيجة لموقف الحكومة الأردنية وموقف المجلس النيابى الذى ذكرناه ، تدخل مجلس الجامعة العربية بعد أن

أثار « دولة » المغفور له سعد الله الجابرى « بك » رئيس مجلس وزراء سوريا وممثلها فى مجلس الجامعة الموضوع فى إحدى الجلسات ، فاقترحت مصر بعد نقاش وجدال بين ممثل سوريا وممثل شرق الأردن أن تحال المسألة على لجنة وزراء الخارجية لتفصل فيها ، وهـذه فصلت فى الموضوع وقررت التمسك بميثاق جامعة الدول العربية الذى يوجب بمقتضى المادة الثامنة منه أن « تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى ، وتعتبره حقا من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها » . وطلبت اللجنة إلى الفريقين الكف عن إثارة الموضوع من جديد .

ولـكن جلالة الملك عبد الله لم يكف ولم يستمع لحكم مجلس جامعة الدول العربية الذى لا تزال بلاد جلالته إلى الآن عضوا من أعضائه ، فأثار الموضوع من جديد وأذاع بيانا عن مشروع « سوريا الـكبرى » على الصحف فى أغسطس سنة ١٩٤٧ م ، ثم عقب بإرسال كتاب فى نفس الموضوع إلى فخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس جمهورية سوريا إذ ذاك . وكان أثر هذا العمل من جانب الملك عبـد الله فى نفوس الشعوب والحكومات العربية جميعا أسوأ مما سبق ، خصوصا أثره فى الشعب السورى وحكومته ، ولقد عبر عن هذا الأثر السيىء « دولة » جميل مردم « بك » رئيس الوزارة السورية فى ذلك الوقت فى تصريحه لمندوبى الصحف بتاريخ ٢٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ م حيث قال لهم : « إن مجلس الجامعة العربية قرر بالاجماع التغاضى نهائيا عن هذا المشروع الذى من شأنه أن يمس علاقات حسن الجوار القائمه بين الدول العربية . وكنا نود لو أن الملك

عبد الله احترم قرار الجامعة ، ولكنه لم يسع الحكومة السورية أمام هذا الاستفزاز الجديد إلا أن تقرر اتخاذ جميع التدابير اللازمة لمنع هذا الاحتيال على الوحدة العربيه من خدمة أغراضه التوسعية . ولقد لاحظنا فى الواقع أن مشروع سوريا الكبرى يثار دائما فى أوقات تتفق بشكل غريب والفترات الحرجة التى تجتازها الدول العربية ، مما يدل دلالة واضحة على أن هذا المشروع موعزبه من دول أجنبية ، وأنه لايرمى إلا إلى خلق جو من الاستياء فى الدول العربية فى الوقت الذى هى فى أشد الحاجة فيه إلى توثيق علاقاتها وضم صفوفها . . . ان مشروع سوريا الكبرى مشروع صهيونى لايرمى إلا إلى تيسير مشروع تقسيم فلسطين وإنشاء دولة يهودية . . . . . وكان الواجب على الملك عبد الله أن ينسج على منوالنا فيحترم هـذه الفترة الحرجة التى تجتازها الدول العربية فى الوقت الذى تبحث فيه المسألتان المصرية والفلسطينية أمام هيئة الأمم المتحدة ، وفى الوقت الذى توجد فيه الدول العربية فى أشد الحاجة إلى الوحدة » (١) .

أما الكتاب الذى أرسله جلالة الملك عبد الله إلى فخامة الرئيس السورى فقد كان أول مالوحظ عليه أنه وصل بعد ما أذاع الملك عبد الله بيانه فى الصحف ، وقد قال جلالته فيه انه يحيل فخامة الرئيس إلى هذا البيان ! فكان مما علقت به الدوائر السورية على هذا التصرف قولها : إن هذه طريقة جديدة فى الكتابة إلى رؤساء الدول ! ولقد كان الرئيس شكرى القوتلى — كما يقول العارفون —

---

(١) نشر التصريح فى الصحف الصادرة يوم السبت الموافق ٣٠ أغسطس سنة ١٩٤٧م .

حازما كل الحزم وصريحا كل الصراحة وقاسيا كل القسوة فى الحديث الذى وجهه إلى «معالى» الشريقى «باشا» حامل رسالة الملك عبد الله ورئيس ديوان جلالته إذ ذاك. فلم يعط الرئيس السورى الشريقى «باشا» رداً كتابياً على تلك الرسالة واكتفى بالرد الشفوى ، وكان مما وجهه فخامته لمعاليه قوله : « أنتم غير مستقلين ونحن مستقلون ، فلماذا تريدون أن تحملونا أغلالكم ؟ ! » وقال له أيضا : « أى استفتاء تريدون ؟ ! لقد استفتى الشعب السورى أربع مرات فما اختار سوى النظام الحالى نظاما له ، فاذهبوا واستفتوا أهل شرق الأردن ! » .

وبعد هذه الأحداث تمت الزيارة التاريخية التى أداها جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى الرياض أو اخر شهر يونيه سنة ١٩٤٨م بعد أن تهيأت الأسباب ووجدت الظروف المناسبة لتلك الزيارة كما سبق أن ذكرنا (١) ، ولقد تفاهم الملكان وأعلنا فى بيانهما الملكى اتفاقهما « بصورة خاصة فى تأييد الجامعة العربية فيما تقره أو تنهيه ، مما هو داخل فى ميثاق جامعة الدول العربية وفى حدود مسئوليتها ، وبالأخص فيما يتعلق بفلسطين » (٢) .

اتفق الملكان إذاً فى هذه الزيارة على جعل تقرير مصير فلسطين فى يد أهلها العرب يبتون فيه وفى نوع الحكم الذى يختارونه بمطلق حريتهم بعد انتهاء الجيوش العربية من مهمتها بتحرير البلاد الفلسطينية وطرد العصابة الصهيونية منها ،

---

(١) تحدثنا عن هذه الزيارة فى ص ٢١٦ — ٢٢٧ من الكتاب .

(٢) راجع نص البيان فى ص ٢٢٥ من الكتاب .

واتفقا بالتالى على عدم إثارة مشروع سوريا الكبرى من جديد . ولكن مع الأسف لم تمض على هذه الزيارة وتلك الاتفاقات غير خمسة أشهر حتى فوجئت الأمة العربية بحوادث أريحا المزعجة ، وذلك ما سنتحدث عنه فيما يلى .

مؤتمر أريحا احدى مراحل التطور للمشروع

بعد أن هلل العرب وكبروا للزيارة التى أداها الملك الهاشمى للملك السعودى واعتقدوا أنها تعتبر مطلعاً لفجر عهد جديد سعيد فى تاريخ العلاقات العربية وأن مشروع سوريا الكبرى الموجب للخلاف والشقاق فى صفوف الأمة العربية قد طوى نهائيا ، بعد هذا كله بقليل فوجئوا بأخبار مؤتمر أريحا . ففى يوم الأربعاء الموافق ٣٠ محرم سنة ١٣٦٨ هـ أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد جماعة من اللاجئين الفلسطينيين يبلغ عددهم نحو الألفين مؤتمرا ببلدة أريحا الواقعة على الحدود الفلسطينية ، وكان ذلك تحت رياسة الشيخ محمد على الجعبرى رئيس بلدية الخليل وبعد تمهيد ودعوة من رجال الملك عبد الله وعملائه الذين أرغموا هؤلاء المشردين المحتاجين من اللاجئين الفلسطينين بواسطة الترغيب أو الترهيب على أن يأتمروا بأريحا ويصدروا قرارتهم الخطيرة . وفى يوم السبت الموافق ٤ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م ظهرت الصحف تحمل الأخبار الجديدة عن ملك شرق الأردن وتذكر أن « الملك عبدالله يبايع نفسه ملكا على فلسطين » ، كما ذكرت أخبار المؤتمر ونشرت عن قراراته ما يلى :

أولا — المناداة بالملك عبدالله ملكا على شرق الأردن وفلسطين .

ثانيا — أن يكون اسم المملكة الجديدة « شرق الأردن وفلسطين » . وهناك من يقترح أن يكون الاسم الجديد « مملكة جنوب سوريا » . والغرض من هذه التسمية أن تكون خطوة أولى نحو تحقيق مشروع سوريا الكبرى الذى يدعو إليه الملك عبد الله .

ولقد ذكرت الصحف أنه مما تقرر كذلك أن ينادى بالملك عبد الله ملكا على فلسطين كلها وليس على جزء منها ، وكان مما علقت به بعض هذه الصحف على تلك القرارات قولها : فكأن مصر وسائر الدول العربية قد بذلت على أرض فلسطين دمها ومالها وجهودها وحياة أعز أبنائها لكى تكون فلسطين لقمة سائغة لشهوة أو لمطمع ! وكأننا فعلنا كل ما فعلناه لتصبح فلسطين قاعدة إنكليزية باسم عربى ، ومستعمرة بريطانية تحت تاج عربى . ولتكون نقطة للوثوب إلى سوريا وغيرها لتحطيم استقلالها ، وهكذا تستعبد البلاد العربية كلها وهى التى كانت تحاول تحرير فلسطين وشرق الأردن .

كما ذكرت الصحف أنه على أثر ارفضاض مؤتمر أريحا تشرف مكتب المؤتمر بالمثول بين يدى جلالة الملك عبدالله بالشونة التى تقع قريبا من أريحا ، ورفعوا إليه وثيقة المبايعة ومطلب تأليف المملكة الواحدة من فلسطين وشرق الأردن ، ورجوا من جلالته النظر فى هذا وسرعة إنفاذه دستوريا إذا اقترن بالقبول والموافقة . ولقد بعثت سكرتارية المؤتمر بنسخ من قراراتها إلى سكرتارية هيئة الأمم المتحدة أثناء انعقادها بباريس ، وإلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية

وإلى كل من الدول العربية على حدة .

وفى يوم الثلاثاء الموافق ٧ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد مجلس وزراء المملكة الأردنية اجتماعا طويلا لدرس مقررات مؤتمر أريحا ، ثم أذاع على أثر ارفضاضه بلاغا رسميا قرر فيه أن مقررات أريحا تتفق مع أهداف حكومة الملك عبد الله وأن هذه الحكومة ترحب بها وتسعى إلى تحقيقها بالوسائل الدستورية والدولية وأنها ستنفذها فى الوقت المناسب ، كما قرر عرض هذه المقررات على مجلس الأمة ليبدى رأيه فيها نظرا لما لها من علاقة بكيان البلاد ومستقبلها .

وفى يوم الاثنين الموافق ١٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م عقد مجلس الأمة الأردنى المؤلف من مجلسى الأعيان والنواب اجتماعا لمناقشة مقررات أريحا ، وشهد هذا الاجتماع رئيس الوزراء والوزراء ورجال السلك السياسى وعدد من الفلسطينيين والشبان والزعماء الأردنيين . ولما اجتمع المجلس ألقى رئيس الحكومة الأردنية خطابا عن موقف هذه الحكومة من قرارات أريحا وموافقتها التامة عليها ، وبعد خطب التأييد من بعض الأعضاء قرر المجلس الموافقة على القرارات بالإجماع ؛ ثم رفع القرار إلى جلالة الملك عبد الله فشكر لأعضاء المجلس والحكومة هذه الثقة وقال لهم : « لقد حملتمونى عبئاً ثقيلا ، وأرجو الله أن يوفقنى لما فيه خير الأمة العربية » .

وقفت قرارات مؤتمر أريحا وتطورات مشروع سوريا الكبرى مؤقتا عند هذا الحد ، أما موقف دول الجامعة من ذلك فقد استهله ملك وادى النيل

السابق إذ دعا رئيس الديوان فى مساء الخميس الموافق ٩ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م وزراء الدول العربيـة المفوضين فى القاهرة كلا منهم على حدة ، وأبلغهم رسالة ملـكية سامية شفوية إلى أصحاب الجلالة والفخامة والسـمو ملوك هذه الدول ورؤساء جمهورياتها والوصى على عرش العراق . وكانت هـذه الرسالة الملـكية خاصة بفلسطين وبمؤتمر أريحا ، وبعد إبلاغها وردت الموافقة عليها من سوريا ولبنان والمملـكة العربية السعودية واليمن والعراق ، وأجمعت شعوب هذه البلاد وحكوماتها على وجوب احترام قرارات الجامعة العربية المتعلقة بفلسطين ، وعلى وجوب التمسك ببيان ملك وادى النيل الذى ألقاه رئيس الديوان على رؤساء وفود الدول العربية لدى اللجنة السياسية عندما قابلوا الملك بعد ظهر يوم ١٢ أبريل سـنة ١٩٤٨ ، والذى أمن عليه الجميع واعتبروه عهدا واجب التنفيذ . ولقد جاء فى هذا البيان الملـكى « إنه إذا دخلت جيوش عربية فلسطين لإنقاذها فجلالته يود أن يكون مفهوما صراحة أنه يجب النظر إلى هذه التدابير كإجراء مؤقت خال من كل صفة من صفات الاحتلال أو التجزئة لفلسطين ، وأنه بعد إتمام تحريرها تسلم إلى أصحابها ليحكموها كما يريدون . »

ثم ذهب بعد ذلك وفد عراقى مؤلف من نورى السعيد «باشا» وجميل المدفعى «بك» والفريق صالح صائب «باشا» إلى عمان لمقابلة جلالة الملك عبدالله والسعى لديه حتى لاينفذ قرارات مؤتمر أريحا التى أثارت الشعوب العربية وأسخطتها وهزت أركان الوحدة بين العرب ، فاجتمع الوفد مع جلالته فى مؤتمر تحت رياسته

وبحضور توفيق أبوالهدى «باشا» وسعيد المفتى «باشا» وفوزى الملقى «باشا» من الجانب الأردنى . ويقول مندوب الأهرام إنه اتصل به « أن الملك عبدالله صرح لأعضاء وفدالعراق بأنه يرى أن هذه القرارات تعبر عن رغبة السكان الفلسطينيين ، وأنه لايستطع أن يعارض هذه الرغبة . وطمأن جلالته الوفد إلى أن تنفيذ هذه القرارات مرهون بالوقت المناسب » . ولقد صرح دولة جميل المدفعى « بك » لمندوب جريدة المصرى فى دمشق بعد وصول دولته إليها بأن الوفد العراقى نجح فى مهمته ، وأن الملك عبد الله قبل بقاء « الحالة الراهنة » بفلسطين على ماهى عليه . وبعد الوفد العراقى ذهب وفد يمنى إلى عمان مؤلف من سمو الأمير سيف الإسلام محمد نجل إمام اليمن وسمو الأمير يحيى شقيق جلالته ، وكان الوفد اليمنى يحمل رسالة من جلالة الإمام أحمد ملك اليمن إلى جلالة الملك عبد الله . ولما انتهت زيارة الأميرين للملك عبد الله غادرا عمان هما ومن كان فى صحبتهما إلى دمشق فوصلوا إليها فى يوم الثلاء الموافق ٤ يناير سنة ١٩٤٩ م ، وقداجتمع مراسل المصرى فى دمشق بأعضاء الوفد يوم الأربعاء التالى فصرح له سعادة القاضى العمرى أحد أعضاء الوفد ورئيس وفد اليمن إلى مجلس الجامعة العربية « بأن مباحثات الأميرين اليمنيين مع جلالة الملك عبد الله أسفرت عن اقتناع جلالته بعدم إعلان تتويجه على فلسطين رسميا » . وعلى الرغم من هذا فقد أراد الملك عبد الله أن يقنع الأميرين اليمنيين بأن قرارات مؤتمر أريحا كانت قرارات صحيحة صادرة عن أهل فلسطين باختيارهم ورغبتهم ودون تدخل من جانب رجاله وعملائه ، إذ أن جلالته كان يعتزم زيارة مناطق أريحا ونابلس

وجنين فلما علم بمقدم الأميرين أجل تلك الزيارة حتى حضرا إليه فاستصحبهما معه فى زيارته لهذه المناطق بعد أن أعدت العدة ودبرت المظاهرات التى تدل على تأييد مبايعته ملكا على فلسطين ، غير أن الشباب الفلسطينى فى « رام الله » لم يشأ أن يترك مظاهرات التأييد تمر بدون أن يعبر عن رأيه الصحيح ، فقام بمظاهرة حاشدة هتف فيها للوحدة العربية ولم يهتف « لسوريا الكبرى » ولا « لمملكة جنوب سوريا » الأمر الذى دعا البوليس الأردنى إلى التدخل وتفريق هؤلاء المتظاهرين الممتردين فى نظره بالعصى .

الأصبع الانكليزية

وإذا أردنا أن نعرف هل كان للإنكليز يد فى ترتيبات أريحا فينبغى لنا ألا نقف عند التصريحات التى أذاعها بعض الساسة البريطانيين يعلنون فيها أن انكلترا لم تشجع جلالة الملك عبد الله على اتخاذ تلك الترتيبات التى أثارت ثائرة العرب فى مختلف أقطارهم . فالواقع أن انكلترا هى التى أوحت بمؤتمر أريحا وأنها هى التى اختارت له الوقت المناسب بعد أن ظنت أن هذا الوقت الذى اختارته هو نفس الوقت الذى ستصدر فيه هيئة الأمم المتحدة قرارها بتأييد الاقتراح الإنكليزى الذى يدعو فى حل مشكلة فلسطين إلى الأخذ بتقرير الكونت برنادوت بعد مصرعه ، ذلك التقرير الذى يقترح ـ طبقا للرغبات البريطانية ـ ضم القسم العربى من فلسطين ، وفيه منطقة النقب ، إلى الدولة الأردنية الهاشمية . « وانكلترا تعلم علم اليقين أن الدول العربية تعارض هذا أشد المعارضة لأنه ينطوى من ناحية على تنفيذ التقسيم وقيام دولة إسرائيل ، ولأنه يخشى من ناحية ثانية أن يكون خطوة من خطى تحقيق مشروع سوريا الكبرى الذى لاترتضيه تلك الدول بحال . وحسبت انكلترا أنها ناجحة بفعل التأييد الأمريكى فى سبيل الحصول على كثرة الثلثين من أعضاء الجمعية العامة للأمم المتحدة تأييدا لاقتراحها الذى تبنته معها الولايات المتحدة ، فأوحت دون ريب بمهزلة مؤتمر أريحا حتى تجابه الحكومات العربية بقرار « الأمم المتحدة » وبقرارات « أريحا » فى وقت واحد ، فيفت هذا الازدواج فى عضدها وتخضع للأمر الواقع فى الحظيرة الدولية وفى الحظيرة « الفلسطينية الداخلية » . لكن

الاقتراح البريطانى لم يكتب له التوفيق فى هيئة الأمم المتحدة إذ لم ينل كثرة الثلثين المشروطة ، وكانت الاستعدادات قد تمت لإخراج مؤتمر أريحا وقراراته ، فبدأ وحده فريدا ، وكان مهزلة مكشوفة اضطرت إنكلترا معها إلى أن تعلن أنها لم تشجع جلالة الملك عبد الله عليها » (١) .

ولقد كان المستر بيفن وزير الخارجية البريطانية بعيد النظر وممارسا للسياسة البريطانية التقليدية حينما أشار على جلالة الملك عبد الله عند زيارة جلالته للندن لتوقيع المعاهدة مع الحكومة الإنكليزية فى أوائل سنة ١٩٤٦ م بعدم الانسحاب من جامعة الدول العربية . فلقد عُرف أن جلالة الملك عبد الله حينما زار لندن لتوقيع المعاهدة المشار إليها والتى أعلن نفسه على أثر توقيعها ملكا وصاحب جلالة على شرق الأردن ، عرف أنه صارح المستر بيفن برغبته فى الانسحاب من جامعة الدول العربية ، وكان ذلك فى أوائل سنة ١٩٤٦م كما ذكرنا ، ولكن وزير الخارجية البريطانية رأى أن بقاء شرق الأردن عضوا فى جامعة الدول العربية يمكن الساسة الإنكليز من تنفيذ أغراضهم والقيام بألاعيبهم السياسية فى الخفاء « ومن وراء ستار عمان » — كما يقول الأستاذ محمد التابعى فى بعض كتاباته — فلهذا أشار الوزير على صديق انكلترا الحميم وحليفها الوفى الملك عبدالله بن الحسين صاحب الأطماع الكبيرة بأن يبقى عضوا فى الجامعة العربية ولا ينسحب . وسمع جلالته لهذه

---

(١) من مقال للدكتور محمود عزمى نشر فى الصحيفة رقم ٤ من « أخبار اليوم » بتاريخ ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م .

النصيحة ، ولايسعه إلا أن يسمع لنصائح أصدقائه من الساسة البريطانيين ، فهم أصحاب الفضل فى إنشاء إمارة شرق الأردن وتنصيب سمو الأمير عبد الله بن الحسين أميرا عليها فى سنة ١٩٢١ م ، ثم فى جعل هذه الإمارة مملكة وجعل سمو الأمير صاحب الجلالة ملك شرق الأردن فى سنة ١٩٤٦ م ، والخزانة البريطانية تدفع سنويا لمملكة شرق الأردن الصغيرة الفقيرة بضعة الملايين من الجنيهات ، وجلالة الملك عبدالله كان لايزال يطمع فى عطف الحكومة البريطانية ومساعدتها ، وكان لايزال يأمل فى معونتها له ليحقق مشروع سوريا الكبرى . « ولقد تبدت فى هذه الشهور التى عقد فيها مؤتمر أريحا آثار نصيحة مستر بيفن ، أو نصيحة السياسة البريطانية البعيدة النظر ؛ وإلا لو كان الملك عبدالله قد خرج من الجامعة فى عام ١٩٤٦ م فهل كانت السياسة البريطانية قد استطاعت بعد ذلك أن تحقق أغراضها فى فلسطين ؟ ... وهل كان العرب اعتمدوا بين ما اعتمدوا عليه على الجيش الأردنى ؟ ... وهل كانوا فوجئوا كما فوجئوا بكف هذا الجيش عن القتال فى الوقت الذى كان القتال لايزال دائرا فيه بين العرب واليهود ؟ .. وهل كانوا فوجئوا بإخلاء اللد والرملة بناء على أمر أصدره جلوب باشا ؟ . . . وهل كانت وحدتهم — وحدة العرب — أصيبت بما أصيبت به فى تلك الأيام ؟ ... ووحدة العرب ليست قطعا مما تطمئن أو تستريح إليه لندن وهويت هول ! ! إذاً فإن الملك عبد الله قد بقى فى جامعة الدول العربية لكى تستطيع بريطانيا أن تمضى فى تحقيق أهدافها السياسية من ورائه . . . من وراء ستار عمان » .

وهكذا نرى بريطانيا تمارس الشيء ونقيضه ولاترى فى عملها هذا شيئاً من الغضاضة أو الاستنكاف مادام فى رأيها يوصلها إلى الغرض ، فهى التى أشارت بتكوين جامعة الدول العربية وشجعت هذه الفكرة على لسان وزير خارجيتها فى سنة ١٩٤٣ م المستر إيدن ، (١) وهى التى ضغطت على الجامعة العربية ودولها إلى حد الإحراج ، خصوصا فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية ، إذ أنها بعد أن سمحت وشجعت دخول الجيوش العربية البلاد الفلسطينية لتطهيرها من الصهيونيين ورأت الجيوش العربية المظفرة قد قاربت النصر وأوشكت أن تقضى على العصابات الصهيونية عادت فضغطت على الحكومات العربية لقبول الهدنة حتى قبلوها بحكم الظروف القاسية . ثم تمادت بريطانيا فى ضغطها على العرب وإحراجها لجامعة الدول العربية فمنعت السلاح والذخيرة عن الدول العربية رغم مابينها وبين بعض هذه الدول من معاهدات تقضى بتقديم السلاح والمعونة الحربية لها فى مثل هذه الأحوال ، فى حين أنها أعطت الفرصة لليهود ليتزودوا بالسلاح والذخيرة والرجال من أمريكا وروسيا وغيرهما من مختلف أنحاء العالم ، فوق ما أعطاه الجيش الإنكليزى نفسه لليهود من مخازن السلاح والذخيرة فى حيفا وغيرها من البلاد الفلسطينية . وتماديا فى الضغط على الجامعة العربية والنكاية بها أوحت بريطانيا لحليفها ووليها جلالة الملك عبد الله فتوقف جيشه عن القتال الدائر بفلسطين فى الساعات الحرجة ، وفاجأ هذا الجيش العرب والمصريين على وجه الخصوص بإخلاء اللد والرملة كما سبق أن ذكرنا ، ثم

---

(١) راجع ص ١٧٤ — ١٧٥ من الكتاب .

فاجأ جلالته الأمة العربية فى هذه الأوقات العصيبة بمؤتمر أريحا متماديا فى تحقيق مشروع سوريا الكبرى ، وغير مكترث بما يترتب على ذلك كله من الفت فى عضد العرب وتصدع وحدتهم وإضعاف جامعتهم مادام ذلك يلبى رغبات السادة الإنكليز ويحقق أطماعه وأطماعهم .

إذاً فقد عطفت بريطانيا على إنشاء الجامعة العربية وشجعتها حينا ، ثم ضغطت عليها وأحرجتها حينا آخر ، عطفت عليها وشجعتها هى وحليفتها أمريكا حينما كانت مصلحة الدولتين تقتضى تكتيل العرب ليقفوا مع الإنكليز والأمريكان ضد خصومهم وليساعدوهم فى محنتهم (١) ؛ وضغطت عليها وأحرجتها حينما رأتها تحاول التحرر من القيد البريطانى ورأت العرب يجدون فى طريق الحرية والاستقلال غير مبالين بقيود بريطانيا الاستعمارية ولا بالمؤازرة الفعالة والمعونة الحاسمة التى قدمها الأمريكان والروس إلى الصهيونين . وكان من أشد الضربات التى وجهتها بريطانيا إلى جامعة الدول العربية تلك الضربة التى كادت تزعزع من كيان الجامعة حينما عملت الحكومة البريطانية على التخذيل بين دول الجامعة بمختلف الوسائل واستطاعت أن تزيد الضغط على مصر الأبية الوفية لعهدها وأن تجعل جيشها المظفر يتلقى هجمات الصهيونيين وحده فى المدة الأخيرة من حرب فلسطين بعدأن سمع أصدقاء بريطانيا من الساسة العرب فى عمان

---

(١) راجع هامش ص ١٧٥ من الكتاب ، ومذكرات المستر كوردل هل وزير الخارجية الأمريكية فى عهد الرئيس روزفلت التى نشرتها « أخبار اليوم » بالصحيفة رقم ٤ من العدد الصادر بتاريخ ٢٩ يناير ١٩٤٩ م .

وبغداد للدسائس الإنكليزية البارعة ، وبعد أن تورط ساسة بيروت ودمشق عندماذ كروا بجميل انكلترا على البلاد اللبنانية والسورية فى مساعدتها على الاستقلال والتحرر من النير الفرنسى ، وعندما لوح الإنكليز والأمريكان لهم بإمكان استفادة البلدين من دولارات مشروع «مارشال» ، وسوريا ولبنان كانتا ولاشك فى حاجة شديدة إلى المعونة المالية . (١)

ومن طرائف السياسة البريطانية فى ممارسة الشىء ونقيضه ذلك الذى حدث فى أو اخر شهر يناير سنة ١٩٤٩ م ، فبينما كان المستر بيفن وزير خارجية بريطانيا يلقى كلمته فى مجلس العموم البريطانى مشيدا بفضل العرب على بريطانيا ومنوها بسابق وفائهم لها ، « وفى الوقت الذى أنحى فيه باللائمة على اليهود واعتبرهم فى أطماعهم خطرا على السلام فى الشرق الأوسط ، فى هذا الوقت كان مجلس الوزراء البريطانى ، الذى أيدت أغلبيته وزير الخارجية فيما قال ، يوافق على الاعتراف بدولة اسرائيل ، ثم يشترك مع وزراء دول الحلف الغربى فى تدبير اعتراف إجماعى من هذه الدول الخمس . ولعله كان يتوقع أن العرب سيصدمون أو سيزداد سوء ظنهم ببريطانيا ، ولهذا وجه إليهم هذا الكلام المعسول ليمتدحوه وليخدعوا فيه وفى بريطانيا حتى إذا أعقبة اعتراف هذه البلاد بدولة إسرائيل كان وقعه أقل شدة من وقعه لولم يوجه مستر بيفن هذا الكلام إلى العرب . إنه تخدير أعصاب لاغير ! وهو ديدن بريطانيا مع العرب ، كلام

---

(١) راجع ص ٢١٢ — ٢١٤ من الكتاب ، ومقال الدكتور محمود عزمى عن أسباب انفراد مصر بالقتال المنشور بأخبار اليوم فى أول يناير سنة ١٩٤٩ م .

معسول ونكث بالعهود ! . . . ان بريطانيا تتابع سياسة إرضاء النقيضين ، ولقد فشلت هذه السياسة ، وهى اليوم أشد فشلا مما كانت فى أى وقت مضى . » (١)

وبعد ! فإنه ينبغى لنا أن نسجل أن هـذه المحن التى حلت بجامعة الدول العربية وهى لاتزال فى دور الطفولة من سنى حياتها ، هذه المحن التى حلت بالجامعة بسعى من السياسة الاستعمارية البريطانية وبسبب أخطاء بعض الحكومات العربية سوف لاتفصم عرى الوحدة العربية وسوف لاتهدم بناء الجامعة العربية وان هزت أركانه وعمده . سوف لايقع هذا بإذن الله لأن إنشاء الجامعة العربية كان بعد شعور الأمة العربية جمعاء بالحاجة إلى إنشائها ، وبعد إيمان الشعوب العربية فى مختلف الأقطار بأنها ضرورة لازمة لحماية مصالح العرب . فهى فكرة أوحت بها الشعوب العربية أولا ، ثم جاءت الحكومات العربية فنفذتها فى الظروف التى شرحناها ؛ ولن تكون أخطاء بعض هذه الحكومات أو بعض رجالات العرب سببا فى هدم هذا البناء الذى طالما تمنى العرب أن يقام ويشيد وأن يكون وسيلة لاتحاد العرب ، وسوف لاتقف المطامع الخاصة فى سبيل غرض عام تؤمن كل الشعوب العربية إيمانا جازما بلزومه لها ! ولكن على الشعوب العربية أن تعالج الأخطاء التى وقعت وأن تحتاط حتى لايقع مثلها فى المستقبل .

---

(١) من « كلمة المصرى » عن اعتراف بريطانيا بإسرائيل المنشورة بالصحيفة رقم ٤ من جريدة المصرى بتاريخ ٣٠ يناير سنة ١٩٤٩م .

موقف ابن سعود من « مشروع سوريا الكبرى » فى تطوراته المختلفة

وقبل أن نتحدث عن موقف صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود من مشروع سوريا الكبرى فى مراحله المختلفة نحب أن نبين أولا موقف جلالته من المشروع الأساسى الذى بنيت عليه فكرة المشروع الذى نحن بصدده ، مشروع سوريا الكبرى . وهذا المشروع الأساسى هو مشروع الدولة العربية الكبرى الذى فكر فيه وحاول تحقيقه المغفور له الشريف حسين ملك الحجاز السابق ووالد جلالة الملك عبد الله ملك شرق الأردن . فلقد سبق أن بينا كيف حاول الشريف حسين تحقيق هذا المشروع وكيف أراد بناء الإمبراطورية العربية ، فاتصل بالانكليز واتفق معهم وخرج على دولة الخلافة العثمانية وحاربها فى صفوف الحلفاء (١) .

ولما أعلن الشريف حسين نفسه ملكا على العرب فى ٢٩ اكتوبر سنة ١٩١٦ م شرع يعامل زعماء الجزيرة العربية وأمراءها وفيهم ابن سعود معاملة الذين أصبحوا من أتباعه ورعاياه ، بعد أن صار فى نظر نفسه ملكا للعرب جميعاً ؛ فأرسل فى أواخر سنة ١٩١٦ وأوائل سنة ١٩١٧ م إلى أمير الرياض ابن سعود بالهدايا والتحف وثلاث صرر من الذهب الانكليزى الذى وصل إلى الشريف ليستعين به فى الثورة على الأتراك . وكان يبلغ مجموع هذه الصرر من الذهب نحو خمسة عشر ألفا من الجنيهات . أرسل الشريف لابن سعود هذه الهدايا والتحف والأموال على دفعات ، وكما كان يفعل سلاطين آل عثمان مع

(١) راجع ص ١٤١ — ١٤٥ وص ٢٢٨ — ٢٣٢ من الكتاب .

أتباعهم من الأمراء ، فكان يجيء الرسول بها إلى ابن سعود ويقول : من جلالة الملك ! ولا يزيد على ذلك شيئاً . وبعد أن فهم ابن سعود غرض الشريف من هذا التصرف وعلم أنه يريد تقرير تبعية البلاد السعودية له بطريقة عملية أراد من ناحيته أن يضع الأمور فى نصابها وأن يفهم شريف مكة بأسلوب صريح واضح أن البلاد السعودية بلاد مستقلة وأن أميرها ابن سعود لايقبل التبعية لشريف مكة بحال من الأحوال ، فأرسل إليه وفدا يحمل بعض الهدايا ويحمل خطابا منه إلى الشريف بطلب تحديد الحدود بين نجد المستقل والحجاز « لتزول الشكوك ، وتتضاعف من أهل نجد المساعدات » . وكان وفد ابن سعود مؤلفا من أخيه محمد بن عبد الرحمن آل سعود ، ومن عبد العزيز بن تركى ، ومشارى بن جلوى ، ومحمد بن ناصر الفرحان . وعند اجتماع أعضاء الوفد السعودى بالملك حسين دار الحديث بينهم وبينه فى الشئون السياسة ، وطالبوا بتحديد الحدود نهائيا بين نجد والحجاز ، وبالاعتراف بنجد ومصالحها . ولكن هذا العمل لم يرق جلالة الملك الهاشمى الذى يرى لنفسه الحق فى أن يكون ملكا للعرب جميعاً ، فأظهر امتعاضه لهذا الطلب الجرىء ولم يعط الوفد جوابا صريحا وإنما اكتفى بقوله لأعضاء الوفد : قولوا لموفدكم : « كل ماأنت عليه فهو لك » ويروى صاحب «تاريخ نجد الحديث» أن الشريف حسينا أظهر غضبه وامتعاضه فى كلمات شديدة جارحة ، وهكذا عاد الوفد السعودى إلى نجد دون أن ينال منالا من شريف مكة أو يحل معه مشكلة .

أما ابن سعود فإنه بعد أن أفهم الشريف أن نجدا بلد مستقل وأنه لايقبل منه أن يزعم لنفسه أنه ملك للعرب جميعاً اتجه إلى حلفائه الانكليز وكتب

إلى الوكيل البريطانى فى البصرة السير برسى كوكس يطلب إليه الاجتماع به فى القريب العاجل ، فاجتمعا فى العقير ، وكان قد سبق أن اعترف الانكليز باستقلال نجد وتعاهدوا مع ابن سعود على يد السير برسى كوكس نفسه فى ديسمبر سنة ١٩١٥ م . (١) وعندما علم الوكيل البريطانى بما حدث قال لابن سعود : « لاتكترث به ، نحن ضامنون استقلالك ، ونتعهد بألا يعتدى عليك الشريف أو غيره » ثم ألح عليه أن يعطيه عهدا بألا يكون بينه وبين الشريف محاربة إذ الشريف أيضا قد أصبح حليفا لانكلترا ، فوعده ابن سعود بذلك على شرطين ، أولهما ألا يتدخل الشريف فى شئون نجد ، وثانيهما ألا يتكلم باسم العرب وألا يدعو نفسه ملك العرب ، إذ أنه ملك للحجاز فقط ، تعهد السير برسى كوكس بذلك وتدخلت الحكومة الانكليزية فى الأمر ، كما سبق أن ذكرنا ، وأخبرت الشريف حسينا بأنها قد ارتبطت مع أمير نجد بمعاهدة وضمنت له استقلاله ، وأنها لا يسعها الاعتراف بالشريف إلا أميرا للحجاز فقط وأن عليه ألا يتدخل فى شئون نجد وأن يراعى ما بين نجد وبين انكلترا من ارتباطات . (٢)

وبذلك يكون ابن سعود قد حدد موقفه من مشروع الدولة العربية الكبرى الذى فكر فيه وحاول تحقيقه الشريف حسين ، فلم يقبل أن يتنازل عن استقلاله ويندمج تحت لواء الشريف ، بل تمسك بحقوقه ودافع عنها كما رأينا (٣) .

* * *

(١) راجع ص ١٣٢ ـ ١٣٣ من الكتاب .
(٢) راجع ص ١٤٤ ـ ١٤٥ من الكتاب .
(٣) راجع فى هذا الموضوع « تاريخ نجد الحديث » ص ٢١١ ـ ٢١٢ ؛ و « الثورة العربية الكبرى » ج ٣ ، ص ١٣٦ ـ ١٣٧ ؛ و « قلب جزيرة العرب » ص ٣٧٧ ؛ و Geschichte der islamischen Völker ص ٤٢٨

تغيرت الأحوال بعد ذلك ودالت دولة الشريف حسين فى الحجاز واستولى عليها ابن سعود نهائيا فى نهاية سنة ١٩٢٥ م وكان الأمير فيصل بن الحسين قد أصبح ملكا على العراق كما أصبح أخوه الأمير عبد الله بن الحسين أميرا لشرق الأردن فى سنة ١٩٢١ م . ورأى الملك فيصل ملك العراق أن يسوى علاقاته مع ابن سعود فى سنة ١٩٣٠ م ، ثم سعى بمساعدة الإنكليز فى تسوية العلاقات بين أخيه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن وبين ابن سعود فاعترف كل منهما بالآخر فى سنة ١٩٣٣ م .

ولقد تطور مشروع سوريا الكبرى على الوجه الذى ذكرناه حتى أصبح بطله الأمير عبد الله بن الحسين فحاول محاولاته التمهيدية وكتب مذكرته إلى الحكومة البريطانية أثناء الحرب الأخيرة ، وكان ابن سعود فى كل هذه المراحل يقظا متنبها للأحداث لايقبل ولا يرضى بأن تتم هذه المحاولات التى يقوم بها أمير شرق الأردن فى سبيل تحقيق مشروع سوريا الكبرى . فابن سعود يعرف أنه إذا تم هذا المشروع فستترتب عليه نتائج خطيرة بالنسبة إليه ، سيترتب عليه قيام دولة فى شمال المملكة السعودية تكون أكثر عددا وأوفر موردا من هذه المملكة وتخضع للبيت الهاشمى الذى لم يزل أفراده — وعلى رأسهم عبد الله بن الحسين — يذكرون أن الحجاز كان لهم وأنه قد ضاع منهم « ومن يدرى ؟ ! فقد تحاول الدولة الجديدة إذا استقرت أمورها وقويت ودان لها السلطان استرجاع بلاد الحجاز بالقوة بطبيعة الحال . . . . . ولا ريب أن محاولة من هذا القبيل سيقاومها السعوديون ، وبذا يضطرب حبل الأمن والسلام فى الشرق

الأوسط . ثم ان انكلترا تحتفظ الآن بعلاقات الصداقة والمودة مع المملكة العربية السعودية ، ولكنها إذ تصبح ذات مركز ممتاز فى مملكة سوريا الكبرى الجديدة فإنها تستخدم هذا المركز لإيقاع الضغط على المملكة السعودية » . وسيترتب عليه أيضا لو تم إيجاد حاجز قوى بين المملكة السعودية وبين صديقتها مصر (١) . لهذا وغيره من النتائج التى ستترتب على تحقيق مشروع سوريا الكبرى عارض ابن سعود المشروع ويعارضه ، وسوف لايزال يعارضه .

ظلت الحكومة السعودية دائما على حذر متنبهة لما يقوم به عبد الله بن الحسين من محاولات ، واتصلت بالحكومة المصرية وعلمت منها أنها لاترضى عن مثل هذه المحاولات التى ستؤدى حتما إلى التفرقة فى صفوف العرب فى الوقت الذى تشعر فيه الشعوب العربية جميعها بأنها أشد ماتكون حاجة إلى توحيد الصفوف كذلك اتصلت الحكومة السعودية بحكومات سوريا ولبنان وبأهل الرأى فى هذين البلدين وفى فلسطين ، اتصلت بهؤلاء جميعا الذين يهمهم الأمر ويتصل بهم اتصالا مباشرا وعلمت منهم أنهم غير راضين عن مشروع سوريا الكبرى وأنهم جميعا على استعداد للوقوف فى سبيله ومؤازرة المملكة السعودية فى ذلك . وكان جلالة الملك ابن سعود وأصحاب السمو الأمراء أنجاله يصرحون عند كل مناسبة وازاء كل محاولة يقوم بها جلالة الملك عبد الله برأيهم المعروف ويظهرون عزمهم وتصميمهم . .

---

(١) راجع « مشروع سوريا الكبرى » للدكتور راشد البراوى ، ص ٦٥ ـ ٦٦ .

فعندما أعلنت بريطانيا استقلال شرق الأردن فى يناير سنة ١٩٤٦ م وعُرفت المساعى التى يقوم بها جلالة الملك عبد الله تمهيدا للسير بمشروع سوريا الكبرى نحو التحقيق صرح سمو الأمير فيصل آل سعود لبعض الصحفيين الإنكليز برأى الحكومة السعودية فى المشروع فى أسلوب دبلوماسى طريف — وقد كان سموه فى ذلك الوقت بالعاصمة البريطانية — فقال : ان هذه المسألة ليس للأمير عبد الله أن يقترحها وليس لابن سعود أن يعارضها ، فإن السوريين ليسوا بخراف ، وإنه لمن حق الشعب أن يقرر ماذا يريد ومن يقيمه حاكما عليه . وفى اعتقادى أنه ينبغى على الجامعة العربية قبل اتخاذ أية خطوة من هذا القبيل أن تنظم نوعا من الاستفتاء فى جميع البلاد التى يهمها الأمر بصفة مباشرة ، ولاسيما شعوب شرق الأردن ولبنان وسوريا وفلسطين لمعرفة ما إذا كانت هذه الشعوب ترغب حقا فى إحداث هذا التغيير ! » (١) .

صرح الأمير فيصل بهذا وهو يعرف يقينا أن هذه الشعوب التى يهمها الأمر بصفة مباشرة لاترغب مطلقا فى إحداث هذا التغيير ، بل هى ستقف قطعا فى سبيل تحقيقه .

وحينما عاود الملك عبد الله إثارته للموضوع فى أغسطس سنة ١٩٤٧ م (٢) كتب جلالته إلى سمو الأمير سعود ولى العهد للمملكة السعودية يرجوه أن

---

(١) نشر تصريح الأمير فيصل بجريدة الأهرام ، بالعدد الصادر فى ٢٠ يناير سنة ١٩٤٦ م.

(٢) راجع ص ٢٥٠ — ٢٥٢ من الكتاب .

يتوسط له لدى والده جلالة الملك عبد العزيز حتى يعمل جلالته على توثيق العلاقات بين مملكته وبين شرق الأردن وحتى يرضى عن مشروع سوريا الكبرى . ولكن رد جلالة الملك السعودى كان صريحا فى أنه على استعداد تام لتوثيق العلاقات بين البلدين ولتبادل التمثيل السياسى . أما عن مشروع سوريا الكبرى فكان الجواب : لا ! ولما أرسل صاحب الفخامة الرئيس شكرى القوتلى رئيس سوريا السابق السيد محسن البرازى رئيس ديوان فخامته إلى الرياض عقب هذه الإثارة للمشروع « وجد السيد البرازى من جلالة الملك عبد العزيز تصميما قاطعا على موقفه وتمسكا تاما بميثاق الجامعة العربية . بل ان بعض رجال السلك السياسى الأجنبى فى جدة قالوا لبعض مواطنيهم : إن الملك عبد العزيز يذهب إلى أبعد من ذلك فى معارضته لمشروع سوريا الكبرى ، ويعتبره عملا عدائيا له » .

وفى أثناء الزيارة التى أداها جلالة الملك عبد الله لجلالة الملك عبد العزيز فى الرياض أواخر شهر يونية سنة ١٩٤٨ اتفق الملكان على عدم إثارة مشروع سوريا الكبرى من جديد ؛ غير أن جلالة الملك عبد الله لم يشأ أن يرعى هذا الاتفاق ولم يعدل عن إثارته للمشروع إلا ريثما تسنح الفرصة المناسبة ، فلما سنحت فيما يرى أثاره من جديد بمؤتمر أريحا الذى عقد فى أول ديسمبر سنة ١٩٤٨ . وكان هذا العمل فى نظر الملك عبد العزيز متضمنا للنكث بعهد سابق بينه وبين ملك شرق الأردن ، وترديدا لتلك النغمة التى لا يرضاها ولا يستسيغها

من جديد ؛ ولذلك بادر جلالته إلى الموافقة على الرسالة الشفوية التى وجهها ملك مصر السابق إلى ملوك ورؤساء الدول العربية فى موضوع مصير فلسطين ومعارضة قرارات أريحا . (١) كذلك كتب الملك عبد العزيز إلى الملك عبد الله فى هذا الموضوع آملا العدول عن مقررات أريحا مذكرا الملك الهاشمى بما دار بينهما وبما ارتبطا به من عهود أثناء زيارة الملك عبد الله للرياض . وجاء فى الرد الذى ورد لملك مصر السابق من الملك عبد العزيز قول جلالته . « إننى أؤيدك تأييدا تاما فى موقفك . . . . . وعلى عهدى معك ، فإن ماتقبله أنت أقبله أنا ، وما ترفضه أنت أرفضه أنا . وقد كتبت إلى الملك عبد الله أبلغه تأييدى لك ، وأذكره بما دار بيننا فى اجتماعنا فى الرياض . » (٢)

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، فقد نشرت جريدة الفيحاء التى تصدر بدمشق فى عددها الصادر فى ٣١ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م أن جلالة الملك عبد العزيز آل سعود طالب شرق الأردن ببلدة معان ـ وهى فى نهاية سكة حديد الحجاز ـ ليستخدمها الحجاج فى السفر إلى مكة . وذكرت الجريدة ان موقف الملك عبد الله الأخير من مشكلة فلسطين هو الذى حمل الملك عبد العزيز آل سعود

---

(١) راجع ص ٢٥٥ ـ ٢٥٦ من الكتاب .

(٢) نشر هذا الرد بمجلة « أخبار اليوم » بالعدد الصادر فى ٢٥ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م ، وبجرائد الأهرام والمصرى ، الأعداد الصادر فى ١٤ ديسمبر سنة ١٩٤٨ م .

على إثارة هذه المسألة من جديد . ولقد كان للموقف الحازم الذى وقفته دول الجامعة العربية ولما أبداه الملك عبد العزيز من تصميم على الوقوف فى سبيل تنفيذ مشروع سوريا الكبرى مهما كان الأمر ومهما بلغ التحايل ، كان لكل هذا أثره الفعال ، فتبرأت الحكومة البريطانية من أنها أشارت على الملك عبد الله أو شجعته على اتخاذ ترتيبات أريحا ، كما جعل ذلك الملك عبد الله يتردد ويقف عن تنفيذ مقررات أريحا مؤقتا بعد موافقة مجلس وزرائه وبرلمانه عليها .

ابن سعود بين انكلترا وأمريكا

لقد كانت الصلة التى عقدها جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مع الحكومة الإنكليزية فى مستهل حياته السياسية هى أولى صلاته بالعالم الخارجى والحكومات الأجنبية ، وكانت هذه الصلة صلة صداقة من يوم أن نشأت منذ أن استولى جلالته على مقاطعة الاحساء فى سنة ١٩١٣ م واتصل بذلك بالعالم الخارجى اتصالا مباشرا عن طريق الخليج الفارسى ، فاستطاع الإنكليز بعد وصول عبد العزيز آل سعود إلى مياه الخليج الفارسى — وهم أصحاب النفوذ فيها — أن يتصلوا به ويدخلوا معه فى مفاوضات لتسوية مابينهم وبينه من علاقات . وقد كانت الأحوال فى ذلك الوقت تقتضى أن تسوى العلاقات بين الطرفين على أساس ثابت محدد ، فابن سعود كان فى سبيل تكوين دولته ومد نفوذه على كل مايستطيع الاستيلاء عليه من مقاطعات الجزيرة العربية ، كما كان فى صراع جبار

مع خصومه ومنافسيه فى الجزيرة من الأتراك وآل رشيد وغيرهم ، فهو لهذا كان يشعر بأنه فى حاجة إلى أصدقاء أقوياء أمثال الإنكليز ، والإنكليز من ناحيتهم كانوا يشعرون بأنهم مقبلون على حرب مع ألمانيا وحليفاتها ، كما كانوا يعرفون أن حكومة الخلافة العثمانية صاحبة السيادة الإسمية فى هذه المناطق العربية ستكون فى صف خصومهم ، فهم لهذا كانوا شديدى الحرص على أن يصادقوا عبد العزيز آل سعود ويضموه إلى صفوفهم ، خصوصا وقد راقبوه فى تصرفاته منذ أن ظهر فى الميدان وعلموا أنه من الرجال الأقوياء المحنكين الذين يخشى بأسهم ويعتمد عليهم .

أما نتيجة الاتصال والمفاوضات بين الطرفين فقد انتهت أولا إلى الاتفاق بينهما على أن يقف عبد العزيز آل سعود موقف الحياد المشبع بروح الود نحو الإنكليز فى الحرب الكبرى الأولى ، وكانت قد شبت نيرانها ، وثانيا إلى عقد معاهدة القطيف بينه وبينهم فى صفر سنة ١٣٣٤ هـ / ديسمبر سنة ١٩١٥ م . وبهذه المعاهدة اعترف الإنكليز بعبد العزيز آل سعود وخلفائه من بعده حكاما لنجد والاحساء وتوابعها ، كما تعهدوا بحمايته من كل اعتداء خارجى . (١)

وعلى هذا الأساس سويت العلاقات وحددت بينه وبين الإنكليز ، فأصبح صديقا لهم داخلا فى حمايتهم . وهكذا حتمت الأوضاع والملابسات التى كانت

---

(١) راجع ص ١٢٧ — ١٣٣ من الكتاب .

موجودة فى ذلك الوقت على ابن سعود أن يقبل هذا الوضع ، غير أنه قبله مؤقتا وهو مصمم على تصحيحه فى أول فرصة تتاح ، وقد أتيحت الفرصة بعد ذلك فعلا وأخذ عاهل الجزيرة فى المدة الواقعة بين نهاية سنة ١٩١٥ ومبدأ سنة ١٩٢٦ م يتحلل من تبعات الحماية البريطانية رويدا رويدا ويقوى من دعائم سلطانه فى دولته الناشئة ويمد نفوذه على مقاطعات جديدة داخل الجزيرة . فلم تأت سنة ١٩٢٦ م حتى كان قد استولى على حائل وعسير والحجاز وأصبح طليقا فى تصرفاته من قيود الحماية البريطانية التى ضربت عليه بمقتضى معاهدة سنة ١٩١٥ م السابقة الذكر ، كما أصبحت هذه المعاهدة ملغاة عمليا .

وعندما تغيرت الأوضاع على هذه الصورة رأت الحكومة الإنكليزية نفسها مضطرة إلى أن تجدد علاقاتها مع جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جديد وعلى أسس جديدة ، فأبرمت معه فى مايو سنة ١٩٢٧ بمدينة جدة معاهدة صداقة وحسن تفاهم « رغبة فى توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها » ، وعرفت هذه المعاهدة بمعاهدة جدة ، وكان أساسها الجديد هو اعتراف الحكومة الإنكليزية بالاستقلال التام المطلق لممالك حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد والملحقات ، كما هو المنطوق الصريح للمادة الأولى منها . وفى المادة التاسعة نُصَّ صراحة كذلك على إلغاء المعاهدة السابقة التى عقدت فى سنة ١٩١٥ م والتى ضربت بمقتضاها الحماية الملغاة . (١)

---

(١) راجع ص ١٦٩ — ١٧٠ من الكتاب .

استطاع ابن سعود بقوته وحكمته وحسن تصرفه أن يكتسب ثقة الإنكليز واحترامهم كما اكتسب صداقتهم ، وكثيرا ما جاملهم وأثبت لهم فى مختلف الظروف ، فى الشدة والرخاء ، أنه الصديق الوفى ؛ ولكنه كان الحريص دائما على أن يكون صاحب السلطان المطلق فى بلاده وعلى ألا يُجرَح استقلاله بالحكم فى مملكته من الإنكليز أو غيرهم ، خصوصا بعد أن اعترف الإنكليز فى اتفاقية جدة بالاستقلال التام المطلق لممتلكات جلالته . ولحذر جلالته اليقظ وحرصه على الاحتفاظ بهذا الاستقلال أراد أن يبرهن عمليا على أن بلاده حرة فى تصرفاتها غير ملزمة مثلا بتفضيل الشركات البريطانية على غيرها ومراعاة الجانب البريطانى دائما وفى كل حال ، ولهذا رأيناه يفضل جانب شركات البترول الأمريكية على غيرها من الشركات الإنكليزية ويعطيها امتياز البحث عن زيت البترول وحق استنباطه واستثماره فى المناطق الشرقية من بلاده فى سنة ١٩٣٣ م . أعطى جلالة الملك ابن سعود هذا الحق للشركات الأمريكية وحرم منه الشركات الإنكليزية الصديقة حتى لاتستأثر هذه بكل المعاملات مع المملكة العربية السعودية فيكون ذلك بمثابة الاعتراف العملى بالتبعية من جانب المملكة السعودية وبالنفوذ الطاغى صاحب الحق المكتسب من الجانب البريطانى ؛ لاسيما وقد كانت هناك عوامل أخرى تبرر هذا المسلك الذى سلكه جلالته ، فالعطاء الذى تقدمت به الشركات الأمريكية كان أفضل بكثير مما يمكن أن تتقدم به زميلاتها الإنكليزية ، وحكومة الولايات المتحدة كان المعروف عنها فى ذلك الوقت أنها تعضد استقلال الشعوب وتؤازر الحريات وأنها ليس لها

من المآرب الاستعمارية مثل ما لبريطانيا فى الشرق . تصرف جلالته هذا التصرف إذاً حفظاً للتوازن بين القوى ، وعملا للاحتفاظ باستقلال بلاده ، واختيارا للجانب الأكثر نفعا .

ومن هذا الوقت الذى تم فيه التعاقد بين شركات البترول الأمريكية وبين جلالة الملك عبد العزيز آل سعود أخذ الأمريكان يشعرون جديا بأن لهم مصالح فى بلاد المملكة العربية السعودية ، كما أخذت الصداقة بين هذه المملكة وبين حكومة الولايات المتحدة تنمو وتقوى ، فبعد توقيع اتفاقية البترول بأشهر وفى نفس السنة عقدت اتفاقية بين الحكومتين بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى والصيانة القضائية والتجارية والملاحة . وبذلك برز منافس قوى للإنكليز فى الميدان ، ووجد ملك المملكة العربية السعودية المجال واسعا ليتصرف تصرف الأحرار المستقلين ويتفادى الضغط الإنكليزى إذا حدث .

ولكن مع هذا حرص جلالته على الاحتفاظ بعلاقات الصداقة مع الإنكليز كما حرص هؤلاء من ناحيتهم على مثل هذا ، فمعاهدة الصداقة وحسن التفاهم التى عقدت بين الطرفين بجدة لاتزال قائمة وجددت عدة مرات كما سنفصل ذلك ، والمعاملات التجارية والاقتصادية جارية بين الدولتين كما كانت ، مع ملاحظة ان فرصة الاختيار أصبحت طبعا أوسع أمام الدولة السعودية بعد صلاتها الجديدة بالأمريكان . كذلك لم ير جلالة الملك عبد العزيز بعد ذلك بأسا من أن يمنح بعض الشركات الإنكليزية للتعدين أو للبحث عن البترول واستنباطه حق الامتياز فى بعض مناطق الدولة ، ففى ديسمبر سنة ١٩٣٤ م أعطت حكومة

جلالته حق الامتياز لشركة التعدين الإنكليزية المسماة « نقابة التعدين العربية السعودية المحدودة » ولقد نجحت هذه الشركة فى استخراج الذهب ولاتزال توالى عملها إلى الآن ، وفى يوليه سنة ١٩٣٦ م أعطت الحكومة السعودية شركة إنكليزية أخرى تسمى « شركة امتيازات النفط المحدودة » حق البحث عن البترول واستنباطه فى كامل المنطقة الغربية الساحلية للمملكة العربية السعودية ، غير أن تلك الشركة الأخيرة لم تنجح فى مهمتها بما سنبينه بعد .

وهكذا استطاع جلالة الملك ابن سعود أن يحافظ على استقلاله التام المطلق وأن يحافظ فى نفس الوقت على علاقاته الطيبة بأصدقائه الإنكليز . أما الإنكليز فقد فهموا هذا التصرف من جلالته وقبلوه على الرغم من انهم كانوا يعتبرون أنفسهم أصحاب المصالح الكبرى والنفوذ الأول فى هذه المناطق التى تشمل بلاد المملكة العربية السعودية ؛ وذلك لما رأوه من حرص جلالة الملك السعودى على التمسك باستقلاله والمحافظة عليه بكل مايستطيع ، ولما بينهم وبين الأمريكان من المصالح المشتركة الهامة والعلاقات الطيبة التقليدية التى يحرص عليها الطرفان مراعاة للمصالح المشتركة وبحكم الظروف والحوادث .

واستمرت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين إنكلترا فى طريقها من الصداقة وحسن التفاهم ، فكان موقف الملك ابن سعود فى الحرب الكبرى الثانية ، مثل ماكان فى الحرب الكبرى الأولى ، موقف الصديق

من إنكلترا . ورأينا جلالته كذلك يستعين ببعثة عسكرية إنكليزية فى تدريب الجيش السعودى وتنظيمه ، ولا تزال هذه البعثة إلى الآن فى البلاد السعودية تؤدى عملها ، مع العلم بأن استقدام هذه البعثة كان بمحض الاختيار الحر والتصرف المستقل الذى تقتضيه المصلحة ، وليس فيه شىء من شوائب الإلزام .

والحكومة الإنكليزية من جانبها حريصة على إرضاء الشعور بالكرامة الوطنية والمحافظة على الاستقلال من ناحية الحكومة السعودية ، فقد حدث أثناء الحرب الكبرى الثانية ان طلب المستر جوردون الوزير البريطانى المفوض فى جدة الاطلاع على الميزانية السعودية بعد اعدادها ، وكاد هذا الطلب الجرىء يحدث أزمة بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، غير أن هذه الأخيرة سارعت إلى تفادى وقوع الأزمة بنقل وزيرها المفوض إلى مركز آخر وبتعيين مستر جرافتى سميث الذى كان مساعدا للمستشار الشرقى فى السفارة البريطانية بالقاهرة خلفا له . وكما أن الحكومة الإنكليزية هى أول حكومة أجنبية ارتبطت مع الحكومة السعودية بمعاهدات الصداقة وحسن التفاهم فى سنتى ١٩١٥ و ١٩٢٧ م ، وأول حكومة أجنبية رفعت تمثيلها السياسى فى جدة من قنصلية أو معتمدية إلى مفوضية فى ديسمبر سنة ١٩٢٩ م ، فهى كذلك أول حكومة أجنبية رفعت تمثيلها السياسى لدى الحكومة السعودية إلى سفارة فى أوائل سنة ١٩٤٨ م ؛ فمن ذلك الحين أصبح التمثيل السياسى بين المملكة العربية السعودية وانكلترا فى جدة وفى لندن يأخذ أرفع صوره وأسمى درجاته ، وهى درجة السفارة المتبادلة .

وهناك أمر آخر يدلنا على مقدار توثق الصلات وتوطيد العلاقات بين البلدين ، وذلك أن المادة الثامنة من معاهدة جدة المبرمة بين الطرفين فى مايو سنة ١٩٢٧ م حددت مدة العمل بالمعاهدة بسبع سنوات شمسية قابلة للتجديد ، ونصت على أنه « إن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر » . فكان المفهوم إذاً أن هذه المعاهدة إذا لم تجدد سبع سنوات أخرى بعد انتهاء مدتها فلكل من الطرفين أن يعلن إلغاءها متى شاء وتصبح باطلة بعد هذا الإعلان بستة أشهر ، وبعد أن جددت فى أكتوبر سنة ١٩٣٦ م سبع سنوات وفى أكتوبر سنة ١٩٤٣ م مرة ثانية رأت الحكومتان أن تجعلا تجديدها فى المستقبل آليا من تلقاء نفسه بدون حاجة إلى تعاقد جديد واتفقتا فى ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م على أن تكون المعاهدة نافذة المفعول من هذا التاريخ « سبع سنوات شمسية على التوالى ، وإذا لم يعلن أحد الفريقين الساميين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء أى سابع من السنوات الشمسية المقبلة بستة أشهر رغبته فى تعديلها أو إلغائها فإنها تتجدد بطبيعتها سبع سنوات شمسية أخرى وهكذا » . (١) والسبب فى هذا التعديل هو ماصرحت به

(١) راجع البلاغ الرسمى رقم ٧٩ الذى أذاعته الحكومة السعودية ، والكتب المتبادلة بين وزير الخارجية السعودية بالنيابة وبين الوزير البريطانى المفوض فى جدة بتاريخ ٣ أكتوبر سنة ١٩٤٣ م ، وتجد هذا كله بملحق الوثائق .

الحكومتان فى الكتب المتبادلة بينهما من رغبتهما « فى وضع علاقاتهما على قواعد أشد ثبوتا » ، وهذا ماتم فعلا نتيجة للتعديل السابق الذكر كما ترى :

وفى أواخر سنة ١٩٤٧ وأوائل سنة ١٩٤٨ م جرت مباحثات فى جدة وفى الرياض بين السلطات السعودية وبين الوزير البريطانى المفوض لديها ، وشاع فى الأوساط السياسية إذ ذاك أن هذه المباحثات مقدمات لعقد محالفة عسكرية بين الحكومتين السعودية والبريطانية وأن صاحب السمو الملكى الأمير فيصل سيسافر إلى لندن لإتمام المباحثات وإبرام المحالفة ؛ وعلى الرغم من تكذيب السلطات السعودية لخبر المحالفة العسكرية وتفسيرها للمباحثات التى جرت بأنها إنما كانت من نوع المباحثات التى سبق أن جرت بين الجانبين منذ بدء الحرب العالمية الأخيرة وفى شئون تتعلق بما أحدثته هذه الحرب من أثر شديد فى معظم نواحى الحياة فى البلاد السعودية وبخاصة فى الناحية الاقتصادية منها ، على الرغم من هذا فقد ذكر مكتب الأهرام بلندن فى آخر مايو سنة ١٩٤٨ أنه « علم » أن مشروع المعاهدة فُكِّر فيه فعلا وأنه « أرجىء البحث فيه إثر فشل معاهدة بورتسموث العراقية البريطانية » .

وهناك مسألة لاتزال معلقة لم يبت بشأنها بعد بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، وهى المسألة التى تتعلق بتبعية منطقة العقبة ومعان على الحدود بين الحجاز وشرق الأردن . فحينما دخل ابن سعود بلاد الحجاز واستولى عليها كانت منقطة العقبة هذه تعتبر بلادا حجازية ، وبعد أن تنازل المغفور له الشريف

حسين عن العرش فى أكتوبر سنة ١٩٢٤ م لجأ إلى العقبة ونزل بها ، ولكن الجيوش السعودية هاجمت هذه المدينة فى يوليه سنة ١٩٢٥ فاضطر الشريف إلى الرحيل عنها إلى قبرص ، وتدخلت انكلترا بوصفها الدولة المنتدبة على فلسطين فاحتلت العقبة ومعان بجيوشها ، ثم ضمت هـذه المنطقة فى الإدارة والحكم إلى إمارة شرق الأردن التى كانت قد أنشأتها فى سنة ١٩٢١ م وأسندت حكمها إلى سمو الأمير عبد الله بن الحسين (صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية أخيرا) . وقد فعلت انكلترا هذا احتفاظا بمنطقة العقبة الهامة لنفسها ، ونحن نعرف الآن مقدار الأهمية للعقبة فى نظر الإنكليز بعد عودة الجيوش الإنكليزية لاحتلال هذا الميناء وبعد هذا الصراع السياسى الذى كان يخشى أن يصير حربيا والذى جرى بين الإنكليز وبين الصهيونيون فى فلسطين من أجل ميناء العقبة ؛ الإنكليز يتصرفون باسم الملك عبد الله بن الحسين وقد ارتبط معهم بمعاهـدة تعطيهم حق حماية أملاكه ، والصهيونيون يريدون الاستيلاء على هذا الميناء الهام الواقع على مياه البحر الأحمر وجعله ميناءً لدولتهم .

فجلالة الملك عبد الله يرى إذاً أن منطقة العقبة ومعان من أملاك دولته الداخلة فى حماية الانكليز ، والإنكليز من ناحيتهم يرون طبعا هذا الرأى ويعملون بمقتضاه . أما جلالة الملك ابن سعود فهو يرى غير هذا الرأى ، يرى أنه حينما استولى على الحجاز واتفق فى ١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥ م مع الملك على ابن الحسين ملك الحجاز المخلوع على أن كل أملاك الدولة الحجازية آلت إليه ،

يرى أنه حين ذلك دخلت هذه المنطقة أيضا فى أملاكه لأنه أصبح صاحب الحق الشرعى فى امتلاك كل جزء من أجزاء الدولة الحجازية الهاشمية التى سقطت فى يده . وعلى هـذا الأساس رفض جلالة الملك عبد العزيز آل سعود مطالب الإنـكليز حينما طلبوا إلى جلالته عند إبرام معاهـدة جدة فى سنة ١٩٢٧ م أن يعترف بضم منطقة العقبة ومعان إلى إمارة شرق الأردن ، ولـكنه نظرا إلى اصرار الإنـكليز على مطلبهم وإلى أنه يريد أن يحتفظ بصداقتهم رأى أنه لامانع لديه من ترك هـذه المسألة معلقة لتسوى فيما بعد عندما تحين الظروف المناسبة مـع تمسكه بعدم الاعتراف بضم المنطقة إلى شرق الأردن . وكتب جلالته بتاريخ ١٨ ذى القعـدة سنة ١٣٤٥ هـ / ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م إلى السير جلبرت كليتون المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية فى هـذا الشأن الـكتاب الآتى :

« جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٧ ذى القعـدة سـنة ١٣٤٥ هـ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن قد أخذنا علما بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ، ولـكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر فى الظروف الحاضرة . ومع ذلك نظرا لرغبتنا الصادقة فى المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة رأينا أن نعرب لفخامتـكم عن استعدادنا لإبقاء الحالة الحاضرة على ماهى عليه فى منطقة « معان والعقبة» ، مع الوعد بألانتداخل فى إدارتها إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية

هـذه المسألة تسوية نهائية » .(١)

إذاً فهذه المسألة لاتزال معلقة إلى الآن ولم تسو بعد بين الحكومتين السعودية والبريطانية ، ولا بين الحكومة السعودية والحكومة الأردنية الهاشمية ، ولهذا تحدثت الصحف اليومية العربية عن إثارة جلالة الملك عبد العزيز آل سعود لهذا الموضوع ومطالبته بالعقبة ومعان عقب مؤتمر أريحا الذى كان انعقاده إثارة لمشروع سوريا الكبرى من جانب جلالة الملك عبد الله بعد أن تعهد جلالته لجلالة الملك السعودى عند زيارته له فى الرياض بألا يثير مشروع سوريا الكبرى من جديد .(٢)

* * *

وفى ٤ مايو سنة ١٩٣١ م أنشئت العلاقات السياسية الرسمية لأول مرة بين الحكومة السعودية من جهة وبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية من جهة أخرى (٣) ، وظلت هذه العلاقات التى جدت بين الحكومتين علاقات عادية الغاية سنة ١٩٣٣ م ، ثم بدأت العلاقات تتطور بين أمريكا وبين المملكة العربية السعودية بعد أن حصلت إحدى الشركات الأمريكية وهى شركة استاندرد اويل بكلفورنيا فى مايو سنة ١٩٣٣ م على امتياز البترول فى المناطق الشرقية للملكة العربية السعودية . فمن ذلك الحين اتجهت أمريكا إلى تقوية

---

(١) راجع ص ٤١ من « مجموعة المعاهدات » للدولة السعودية ، الطبعة الثانية بمكة سنة ١٣٦٣ هـ .

(٢) راجع ص ٢٧٣ — ٢٧٤ من الكتاب .

(٣) راجع ص ١٢٦ من كتاب « البلاد العربية السعودية » .

روابط الصداقة بينها وبين البلاد السعودية وأصبحت ترى نفسها صاحبة مصالح هامة فى هـذه البلاد ، وفى هـذه السنة نفسها التى حصلت فيها الشركة الأمريكية على امتياز البترول رأت الحكومتان السعودية والامريكية أن تطور العلاقات بينهما يقتضى تنظيم الصلات السياسية والمعاملات الاقتصادية والتجارية تنظيما يتناسب مع الأحوال الطارئه ، فعقدتا اتفاقية بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى والصيانة القضائية والتجارة والملاحة . ووقعت هـذه الاتفاقية فى لندن بتاريخ ٧ نوفمبر سنة ١٩٣٣ م ، وقعها بالنيابة عن الحكومتين الشيخ حافظ وهبة وزير المملكة العربية السعودية بلندن والأونارابل روبرت ورث بنجهام السفير المفوض فوق العادة للولايات المتحدة الأمريكية بلندن بعد محادثات جرت بينهما .(١)

وفى أوائل سنة ١٩٣٨ م أثبتت عمليات استخراج البترول فى مناطق الامتياز الأمريكية بالبلاد العربية السعودية أن هـذه المناطق من أغنى مناطق البترول فى العالم وأن كميات الإنتاج البترولية فيها سوف تفوق مثيلاتها فى البلاد الأخرى بمقادير كبيرة ، وبذلك ازداد اهتمام الأمريكان بتحسين علاقاتهم وتقوية روابط الصداقة بينهم وبين صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود . وهكذا اطردت العلاقات الطيبة بين الجانبين فى سبيل التحسن ، وأصبحت أمريكا صاحبة المصالح الاقتصادية الهامة والموارد البترولية الوفيرة فى البلاد العربية السعودية منافسا قويا لبريطانيا فى الشرق الأوسط وبخاصة فى البلاد

---

(١) راجع نص المعاهدة بملحق الوثائق .

العربية السعودية كما سبق أن ذكرنا . فلما وقعت بعد ذلك بقليل الحرب الكبرى الثانية وآزرت أمريكا بريطانيا ثم دخلت الحرب إلى صفها كانت علاقة الحكومة السعودية بالدولتين علاقة الصداقة المتينة ، وكان موقف جلالة الملك عبد العزيز آل سعود من أمريكا وبريطانيا فى الحرب العالمية الثانية مثل موقفه فى الحرب العالمية الأولى ، فهو وان كان على الحياد ولم يشترك فى الحرب إلا أنه كان لهما فى الحالتين الصديق المؤازر .

وبعد وقوع الحرب واشتداد الحاجة إلى زيت البترول بجميع مشتقاته ازداد شعور الأمريكان أكثر مما كان بأهمية مالهم من منشآت بترولية فى البلاد العربية السعودية ، خصوصا بعد مضى السنوات الأولى من الحرب وبعد تبين حكومة الولايات المتحدة الأمريكية أن زيت البترول المستخرج من أمريكا سوف لا يفى بحاجتها فى الاستهلاك المحلى والاستهلاك الحربى الضرورى المتزايد فى مختلف الميادين الحربية . فابتدأت الحكومة الأمريكية من سنة ١٩٤٢ م تمد شركة البترول فى البلاد العربية السعودية بما تحتاجه من أموال ومهمات لتستأنف الأعمال ـ وكانت قد توقفت فى مبدأ الحرب ـ ولتتوسع فيها حتى تستخرج أكبر كمية يمكن استخراجها من زيت البترول لإسعاف الأداة الحربية وضمان مدها بما تحتاج إليه من الوقود . وفعلا لم تأت سنة ١٩٤٤ م حتى كانت كميات البترول المستخرج من البلاد العربية السعودية تفوق كل ما كان مقدرا لها ، فسدت كل حاجات الحرب فى ميدان المحيط الهادى .

وفوق هذا فقد بدا للأمريكان واضحا أن كميات البترول التى تستخرج

من بلادهم أخذت تتناقص لعوامل طبيعية وجيولوجية ولأسباب أخرى اجتماعية ترجع إلى حالة الفوضى والإضرابات التى كثيراً ما يقوم بها العمال . ولقد كان من نتائج التوسع الاقتصادى والتجارى الأمريكى ، ومن نتائج دخول أمريكا فى الحرب وشعورها بأنها هى الممون لمعسكر الحلفاء والموجه لسياستهم الدولية ، ثم سيطرتها رويداً رويداً على مصائر العالم ، كان من نتائج هذا كله أن خرجت أمريكا عن عزلتها إلى حد كبير بحيث لم يعد فى إمكانها حل مشكلاتها الاقتصادية داخل حدودها ، وبحيث أنها أصبحت ترى أهمية البترول العربى السعودى مجسمة أمام ناظرها . إذاً فالمحافظة على العلاقات الطيبة بالمملكة العربية السعودية واجبة ، وتقوية الصداقة وحسن التفاهم مع جلالة الملك ابن سعود أمر لازم .

وعلى هذا الأساس وبهذه الروح تمت المقابلة التاريخية التى حصلت فى أخريات الحرب السابقة بين جلالة الملك السعودى وبين الرئيس روزفلت الرئيس السابق للولايات المتحدة الأمريكية . ففى صباح يوم الخميس الموافق ٢ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ / ١٥ فبراير سنة ١٩٤٥ م كانت المدمرة الأمريكية التى أرسلها الرئيس روزفلت إلى المياه الحجازية لتقل صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود قد دخلت مياه البحيرات المرة ، إحدى بحيرات قناة السويس بأرض مصر ، حيث كان ينتظر رئيس الولايات المتحدة الأمريكية على ظهر الطرادة الأمريكية « كونيرى » . أبحر جلالة الملك من بلاده ولم يعلم بالأمر أحد سوى ولى عهده سمو الأمير سعود وسوى نائبه فى الحجاز ووزير خارجيته سمو الأمير فيصل ، حتى ان حاشية جلالته التى أبحرت معه والتى كان يبلغ عدد رجالها ثمانية وأربعين رجلا

ما كانت تعلم شيئا عن الرحلة ولا عن الاتجاه ولا عن الغرض ، ولم تخبر بشيء من ذلك إلا بعد أن اختفت اليابسة عن الأنظار وكانت ظروف الحرب تقتضى طبعا المبالغة فى التكتم للاحتياط والمحافظة على سلامة جلالة الملك . وكان ضمن رجال الحاشية الكثيرون من رجالات الدولة السعودية مثل أصحاب السمو الأمراء شقيق جلالة الملك الأمير عبدالله ، وابنى الملك الأمير محمد أمير المدينة والأمير منصور وزير الدفاع ومثل الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية والشيخ حافظ وهبه وزير المملكة السعودية المفوض فى لندن (وهو برتبة سفير الآن) والشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية والأستاذ عبدالله بلخير مترجم جلالته وبعض أركان حربه . وكذلك كان فى رفقة جلالته الكولونيل وليم إدى وزير الولايات المتحدة المفوض فى المملكة العربية السعودية ، وهو الذى تولى الترجمة الرسمية فى الاجتماع الذى عقد بين جلالة الملك وفخامة الرئيس . واستقبل فخامته جلالة الملك العربى على ظهر الطرادة أحر استقبال ورحب به أجمل ترحيب وأبدى بالغ الإعجاب بشخصيته قائلا له : كم كنت أود أن أجتمع بك قبل هذا !

وبعد أن تناول الملك ابن سعود طعام الغداء على مائدة الرئيس روزفلت بدأت المحادثات بينهما فى جو يسوده الود والتقدير من الجانبين ، ولقد عُرف أن المحادثات لم تقتصر على استعراض مابين المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأميريكية من المصالح المشتركة والمنافع المتبادلة ، ولا على ما بينهما من الروابط والصلات الودية التى أصبح كل من الطرفين يحرص على تقويتها

وتنميتها ؛ بل شملت هذه المحادثات شئونا أخرى هامة إقليمية وعالمية، خصوصا ما يتعلق منها بقضية فلسطين والقضايا العربية على وجه العموم. ولقد أشار لذلك جلالة الملك آل سعود اثناء زيارته لمصر — بعد اجتماعه مع الرئيس روزفلت بسنة تقريبا — فى حديثه مع الوفد المكون من أبناء سوريا ، والذى تشرف بالمثول بين يدى جلالته، حيث يقول موجها الخطاب إلى أعضاء الوفد السورى: «ولقد قابلت روزفلت فتكلمت معه بشأن سوريا ولبنان وفلسطين، ولم أتكلم معه بشأن بلادى خاصة لأننى أعد نفسى عاملا لرفعة شأن بلاد العرب كلها » . وكان الرئيس روزفلت حريصا على أن يتناول الحديث كل الشئون التى تهم الدولتين ، فهو يرى أنه « يجب أن تتاح لرؤساء العالم فرصة تبادل الآراء لكى يزداد تفاهمهم وتقدير كل منهم لمشاكل الآخر » (١)

أما الملك عبد العزيز فقد كان فى حديثه كعادته عربيا بطبعه يحافظ على الوعد الذى يعطيه ويثق بالوعد الذى يعطى له من المسئولين ، فقد قال للرئيس أثناء الحديث : « لا أريد كتابات بل أريد أن تُعطى الكلمة من عبد العزيز لروزفلت ومن روزفلت لعبد العزيز » (٢) وفيما يتعلق بقضية فلسطين فقد أظهر الملك العربى للرئيس الأمريكى اهتمامه البالغ بها وشرح له وجهة النظر العربية ودلل على صحتها بما أظهر معه الرئيس روزفلت أنه قد اقتنع بعدالتها وبما جعله يصرح بأن الأمر يحتاج إلى إعادة النظر فى القضية الفلسطينية من جديد

---

(١) هذا تصريح للرئيس أثناء مقابلته للملك عبد العزيز . راجع ص ٦٧١ ، ج ٣ من كتاب « صقر الجزيرة » .

(٢) راجع نفس الصحيفة من المرجع السابق .

على ضوء مافهمه من جلالة الملك . (١)

ولكن روزفلت لم يلبث أن توفى فجأة ، فخلفه فى الرياسة ترومان الذى تبنى الصهيونيين وشجعهم على المضى فى طريق الاعتداء على حقوق العرب ومكنهم من إنشاء دولتهم ، غير مكترث بما أعطاه سلفه للعرب فى شخص جلالة الملك عبد العزيز من وعود ، ولا بما سيترتب على مسلكه هذا من أثر سيء فى نفوس العرب . ولقد تأثرت العلاقات بين المملكة العربية السعودية وبين الولايات المتحدة الأمريكية ، وفترت الصداقة بينهما رويدا رويدا بعد الموقف الذى وقفه الرئيس ترومان ، وبعد المجهود الضائع الذى بذله الملك عبد العزيز آل سعود والاتصالات التى قام بها مع حكومة الولايات المتحدة بشأن القضية الفليسطينية على الوجه الذى شرحناه سابقا . (٢)

ثم تطورت الأمور فى فلسطين وعقدت الهدنة بين مصر وبين اليهود على يد وسيط هيئة الأمم المتحدة الدكتور بانش الأمريكى الجنسية وبمسعى أمريكا ومساعدتها ؛ كما تطورت الأحداث الدولية وازدادت الجفوة بين روسيا وأمريكا إلى الحد الذى جعل أمريكا تخشى وقوع حرب جديدة ، وجعلها تستعد لملاقاة الأخطار التى أخذت نذرها تقرع الأسماع . كل هذه التطورات جعلت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية تراجع نفسها وتعمل من جديد على توطيد مركزها فى الشرق الأوسط وعلى استرضاء الشعوب العربية . كما جعلتها تعنى عناية خاصة

(١) راجع ص ٢٠٣ من الكتاب .

(٢) راجع ص ٢٠٤ — ٢٠٨ من الكتاب .

THE AMERICAN UNIVERSITY AT CAIRO
LIBRARY
SCHOOL OF ORIENTAL STUDIES

بالعمل على التخفيف من شدة وطأة الفتور الذى أصاب العلاقات الأمريكية السعودية بسبب تأييد أمريكا لليهود ومساعدتها لهم ضد العرب . ولقد وردت الأنباء فى أوائل مارس سنة ١٩٤٩م من وشنطن ومن نيويورك ، وهى تفيد أن المجهود الذى بذل فى هذا السبيل قد كلل بالنجاح ، وأن المحادثات التى دارت بين الشيخ أسعد الفقيه سفير المملكة العربية السعودية فى وشنطن وبين وزارة الخارجية الأمريكية بشأن تجديد الاتفاقية الخاصة بمطار الظهران قد قاربت من نهايتها المرجوة . ومطار الظهران هذا يقع فى المنطقة الشرقية من المملكة العربية السعودية على الخليج الفارسى ، وهو من المنشآت الأمريكية الهامة الواقعة فى نطاق شركة البترول الأمريكية بالبلاد العربية السعودية ، وفوق أهميته التجارية فهو يعتبر من ناحية الاستعدادات الضخمة الموجودة به ومن ناحية موقعه الاستراتيجى وصلاحيته للاستعمال الحربى أهم بكثير من القاعدة البريطانية الجوية فى الحبانية بالعراق . وهو معد لأن تنزل به الطائرات الأمريكية من نوع قاذفات القنابل الضخمة والمعروفة بالقلاع الجبارة لتتزود بالوقود من مخازن شركة البترول الأمريكية ، ولتحمى منشآتها هناك ؛ ثم لتثب عند اللزوم على المناطق الصناعية والبترولية الهامة فى جنوب روسيا ، إذا ماوقعت الحرب ، حيث إن قاعدة الظهران قريبة من تلك المناطق . وكانت الحكومة الأمريكية قد عقدت اتفاقية مع صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود فى منتصف شهر مارس سنة ١٩٤٦ م لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى منتصف مارس سنة ١٩٤٩ م ، وبمقتضى هذه الاتفاقية أعطى الحق للأمريكان فى إدارة مطار الظهران أثناء

تلك المدة على أن يسلموه فى نهايتها للحكومة السعودية لتديره بواسطة الشبان العرب السعوديين الذين دربهم الأمريكان وأعدوهم لهذا الغرض ، ولكن التطورات التى ذكرناها جعلت الحكومة الأمريكية تسعى للحصول على مد الاتفاقية سنة أخرى . وعلى الرغم من نطاق السرية الذى ضربته حكومة الولايات المتحدة الأمريكية حول المفاوضات التى جرت بينها وبين سفير المملكة العربية السعودية لديها فى هذا الشأن ، فقد وردت ـ كما قلنا ـ الأنباء التى تفيد أن المفاوضات قد كللت بالنجاح ، وأن تجديد الاتفاقية سوف يعلن رسميا فى القريب . وهكذا تكون الحوادث الدولية الجارية ، وحرص أمريكا على حماية مصالحها البترولية فى المملكة العربية السعودية قد قربا بين الدولتين من جديد ، وجعلا أمريكا تسعى جهدها فى تصفية الجو والقضاء على ماطرأ على العلاقات بينهما من فتور .

بترول المملكة العربية السعودية

ان بترول المملكة العربية السعودية أصبح جميعه فى حوزة الأمريكان ، حتى بترول المناطق الغربية الواقعة على ساحل البحر الأحمر ، الذى أُعطىَ امتياز البحث عنه واستخراجه فى سنة ١٩٣٦ م إلى شركة انكليزية ، انتقل امتيازه فى يوليه سنة ١٩٤٢ م إلى الأمريكان أيضا بعد أن أخفقت الشركة الإنكليزية فى بحثها وبعد أن سقطت حقوقها . (١) فشركة أرامكو «ARAMCO» الأمريكية هى صاحبة امتياز البترول السعودى الآن فى شرق المملكة وغربها ،

(١) راجع ص ١٠٣ من كتاب « حرب البترول فى الشرق الأوسط » .

وإن كان استخراج البترول بالفعل لم يجر لغاية الآن إلا فى المناطق الشرقية الواقعة على الخليج الفارسى فقط . وفى الوقت الذى حصلت فيه الشركات الأمريكية على امتياز البترول فى المملكة العربية السعودية فى سنة ١٩٣٣ م كانت أمريكا فيه بعيدة عن المطامع الاستعمارية وكانت تشجع حريات الشعوب ، كما كانت الحكومة السعودية ترى نفسها فى حاجة ملحة إلى المال وانها لابدلها من استخراج كنوزها واستغلالها حتى تحصل على المال اللازم للقيام بالمشروعات الإصلاحية الضرورية المتعددة النواحى ، مثل نشر العلم وفتح المدارس وحفر الآبار واستنباط المياه وفلاحة الأرض وزرعها ومد السكك الحديدية وبناء الموانى والإنفاق على الجيش وغير ذلك من الأمور الكثيرة اللازمة للبلاد العربية السعودية حتى ترقى وتنهض وتساير العصر . وإننا نعتقد ان كل هذه الأمور كان لها اعتبارها عند جلالة الملك عبد العزيز آل سعود حينما أعطى امتياز البترول لشركة أجنبية ، وحينما فضل الأمريكان على الإنكليز ، خصوصا وهو يعرف انه ليس هناك شركات عربية تستطيع القيام بمثل هذا العمل الضخم الذى يحتاج إلى الكثير من المال والخبرة الفنية ، ويعرف مع هذا ان بلاده فقيرة ليس لها من الموارد المالية مايسد النفقات المطلوبة ويغنيه عن إعطاء امتياز البترول فى بلاده لشركات أجنبية .

وفيما يلى سنورد كلمة عن بترول المملكة العربية السعودية ، تبين لنا كيف حصلت الشركة الأمريكية الأولى على عقد الامتياز ، وماهى الشركات الأخرى التى انضمت إليها بالتدريج ؛ وتوضح التطورات التى مرت بها عمليات استكشاف

البترول واستخراجه وتكريره ومد أنابيبه ، معتمدين فى ذلك على المصادر الوثيقة المختصة . (١) .

الحصول على عقد الامتياز وتطوراته

ان اكتشاف البترول فى جزيرة البحرين عام ١٩٣٢ م جعل موظفى شركة استاندرد أويل لكلفورنيا «California Standard Oil» يولون وجوههم شطر بلاد المملكة العربية السعودية المقابلة لهذه الجزيرة . وفى مايو سنة ١٩٣٣ م حصلت الشركة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود على امتياز يشمل ٣١٨ ألف ميل مربع تمتد على الساحل الشرقى لجزيرة العرب وتصل حدودها الشمالية إلى تخوم العراق .

وفى مايو سنة ١٩٣٩ م عدل الامتياز وزيد فيه فأصبحت الشركة تسيطر على ٤٤٠ ألف ميل مربع تقريبا ، وإذا ما أضيف إلى هذه المساحة ١٧٧ ألف ميل مربع أعطى للشركة حق استغلالها بالأفضلية صار الامتياز يشمل جميع الأراضى السعودية شمال وشرق صخور الجرانيت القديمة التى تكون معظم جهات إقليم نجد . وللشركة كذلك امتيازات ممنوحة من الحكومة السعودية

(١) اعتمدنا فى ذلك على ما كتبته أكبر المجلات العلمية المختصة بهذا الموضوع ، مجلة بتروليوم تيمس « Petroleum Times » عن بترول البلاد العربية السعودية فى العدد الخاص بالشرق الأوسط الصادر فى يونيه سنة ١٩٤٨ م ، ص ٧٣ — ٨٣ . وكان اعتمادنا على هذا بعد ان عرضناه على الأستاذ احمد « بك » توفيق الذى كان مستشارا قضائيا للحكومة السعودية فأقره وأيد صحته .

فى المنطقة المحايدة الواقعة بين المملكة العربية السعودية وبين مشيخة الكويت جنوب وغرب هذه المشيخة .

ومدة الامتياز الأول ٦٦ عاما تبدأ من ١٥ يوليه سنة ١٩٣٣ م ، أما الامتياز الملحق بعد التعديل والمشتمل على المنطقة المحايدة فمدته ٦٦ عاما ابتداء من ٢١ يوليه سنة ١٩٣٩ م .

وفى سنة ١٩٣٦ م اشتركت شركة تكساس « Texas » بحق النصف فى عمليات البحث عن البترول فى البلاد العربية السعودية ، وأصبحت الشركة الجديدة تسمى شركة استاندرد اويل العربية لكلفورنيا California Arabian Standard Oil Co. . وفى ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م غير الاسم إلى شركة البترول العربية الأمريكية «Arabian American Oil Company» وصار هذا الاسم الأخير يختصر إلى ارامكو «ARAMCO» . وأصبحت هذه الشركة تضم شركتين ، شركة استاندرد أويل لكلفورنيا وشركة تكساس ، وحول إليها كل امتيازات استخراج البترول ببلاد العرب السعودية .

وفى سنة ١٩٤٦ م طلبت شركتا جرسى استاندرد « Jercey Standard » وسكونى فاكوم « Socony Vacuum » — وهما اللتان تملكان ٧٥-٢٣ ٪ من شركة بترول العراق — طلبتا المساهمة فى شركة البترول العربية الأمريكية بغية الحصول على كمية أكبر من زيت البترول الخام لأسواق نصف الكرة الشرقى على حساب نصف الكرة الغربى . وفى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩٤٦ أعلن أن

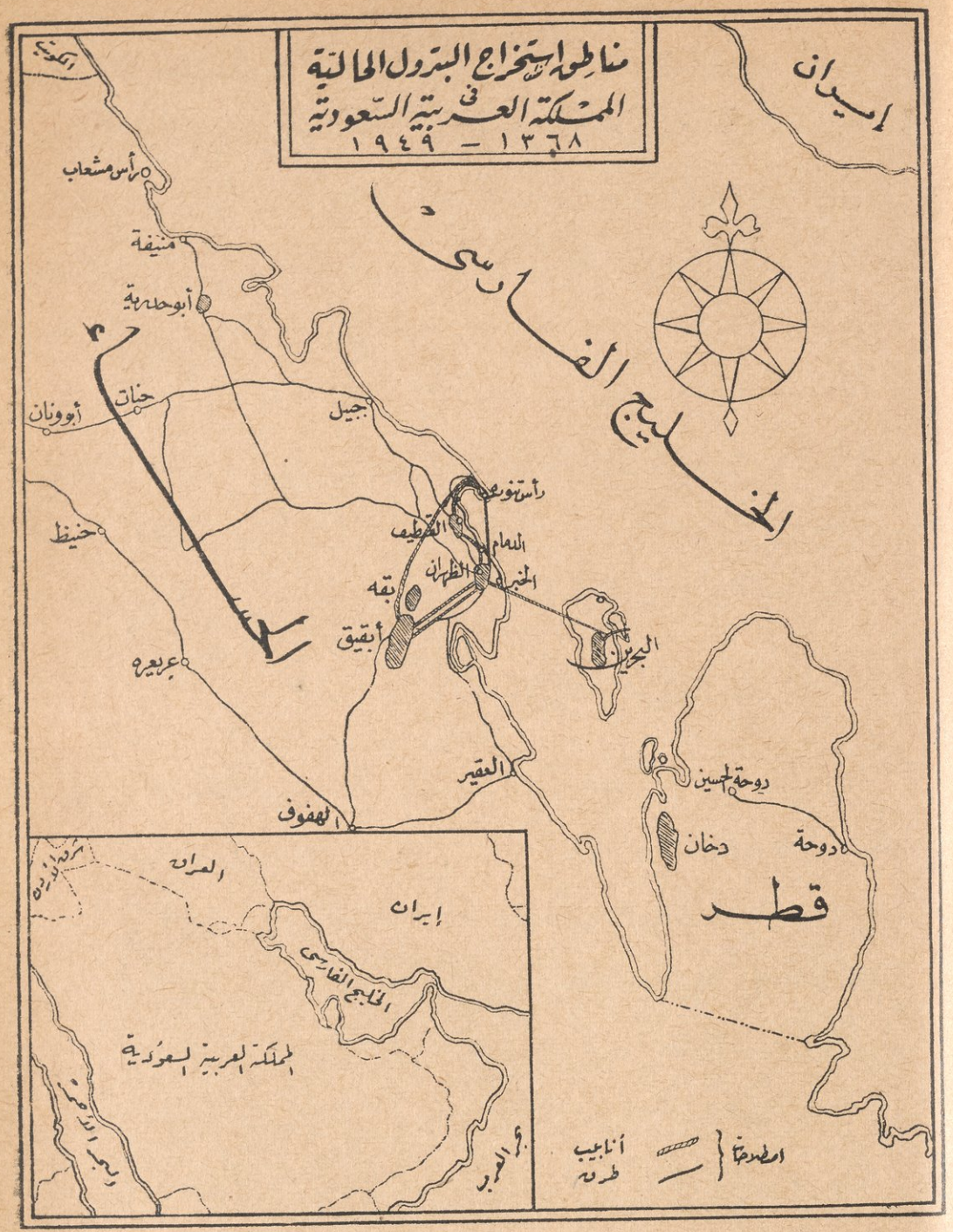

مناطق استخراج البترول الحالية
في
المملكة العربية السعودية
١٣٦٨ - ١٩٤٩
إيران
الخليج الفارسي
الكويت
رأس مشعاب
منيفة
أبوحدرية
حنات
أبوونان
جبيل
رأس تنورة
القطيف
الدمام
الظهران
الخبر
بقه
أبقيق
البحرين
حنيظ
عريعره
العقير
الهفوف
دوحة الحسين
دخان
دوحة
قطر
العراق
إيران
الخليج الفارسي
المملكة العربية السعودية
البحر الأحمر
بحر العرب
اصطلاحات
أنابيب
طرق

LIBRARY

الاتفاق من ناحية المبدأ تم بين هذه الشركات جميعا على أن تكون شركة البترول العربية الأمريكية موزعة الحصص بين الشركات الأربع بحيث يكون ٣٠ ٪ من الأسهم لشركة جرسى استاندرد و ١٠ ٪ لشركة سكونى فاكوم و٣٠ ٪ لشركة استاندرداويل لكلفورنيا و٣٠٪ لشركة تكساس ، غير أن إبرام هذه الاتفاقية قد عرقله اعتراض المساهمين الفرنسيين فى شركة بترول العراق بحجة أن هذه الاتفاقية لاتتمشى مع اتفاقية الخط الأحمر المبرمة فى سنة ١٩٢٨ م ، والتى تنص على أن الشركات المساهمة فى شركة بترول العراق ليس لها أن تباشر أعمالا فيما يختص بالبحث عن البترول وإنتاجه إلا فى الدائرة التى كانت معروفة قديما باسم الامبراطورية العثمانية .

عملية الكشف عن البترول

بدأت عملية الكشف عن البترول فى بلاد العرب السعودية فى سبتمبر سنة ١٩٣٣ ، وبدأ حفر الآبار الاختبارية فى سنة ١٩٣٤ م . وفى ديسمبر سنة ١٩٣٦ م تم حفر البئر التجريبية فى حقل الدمّام بالقرب من الظهران فى مقاطعة الاحساء على عمق ٢١٠٩ قدم . وفى مارس سنة ١٩٣٨ م تم حفر بئر على عمق ٤٧٢٧ قدم ، فأنتجت ٥٠٠٠ برميل فى اليوم وتعرف بالبئر رقم ٧ .

وفى خلال سنى الحرب الأولى تعطلت عمليات استخراج البترول ، ولكن حدث فى سنة ١٩٤٤ م أن أعيد العمل بهمة بالغة فى هذه المنطقة للحصول على كميات إضافية من البترول لسد حاجة الحلفاء الحربية فى المحيط الهادى فما وافى

ختام عام ١٩٤٧ م حتى كان قد حفر بالمنطقة ٤٠ بئرا وأصبح المحصول اليومى ٨٥ ألف برميل .

أما الاكتشاف الثانى فى المملكة العربية السعودية فقد كان فى منطقة أبوحضرية التى تبعد ١٠٠ ميل شمال غرب الظهران ، حيث اكتشف البترول على عمق ١٠٢٠٠ قدم فى مارس سنة ١٩٤٠ م ، كما اكتشفت بئر أخرى على بعد ميل ونصف ميل فى جنوب غرب البئر السابقة على عمق ٤٧٠٠ قدم ، وكان ذلك فى أكتوبر سنة ١٩٤٠ م . ولم تحاول الشركة استغلال هذه الآبار لسهولة الحصول على البترول من آبار أخرى أقل عمقا من هذه وأقرب منها فى الموقع إلى معامل التكرير براس تَنُّوره الواقعة على الخليج الفارسى .

وقد حفرت بئر تجريبية فى حقل ابقيق التى تبعد ٤٠ ميلا عن الظهران فى الجهة الجنوبية الغربية منها ، وتم حفرها فى فبراير سنة ١٩٤١ م على عمق ٦١٨٠ قدم ، وبدأ استغلال هذه المنطقة فى يناير سنة ١٩٤٦ م وفى نهاية سنة ١٩٤٧ م بلغ متوسط محصولها اليومى ٢٠٠ ألف برميل من ٢٥ بئراً .

وفى فبراير سنة ١٩٤٥ م تم حفر البئر الأولى فى منطقة القطيف على عمق ٧٣٠٠ قدم فكان محصولها ٥٠٠٠ برميل يوميا ، وفى أواخر سنة ١٩٤٧ تم حفر بئرين أخريين فى هذه المنطقة التى تقع بين حقل الدَّمام وراس تَنُّوره

وأحدث ما اكتشف من آبار البترول فى المملكة العربية السعودية كان

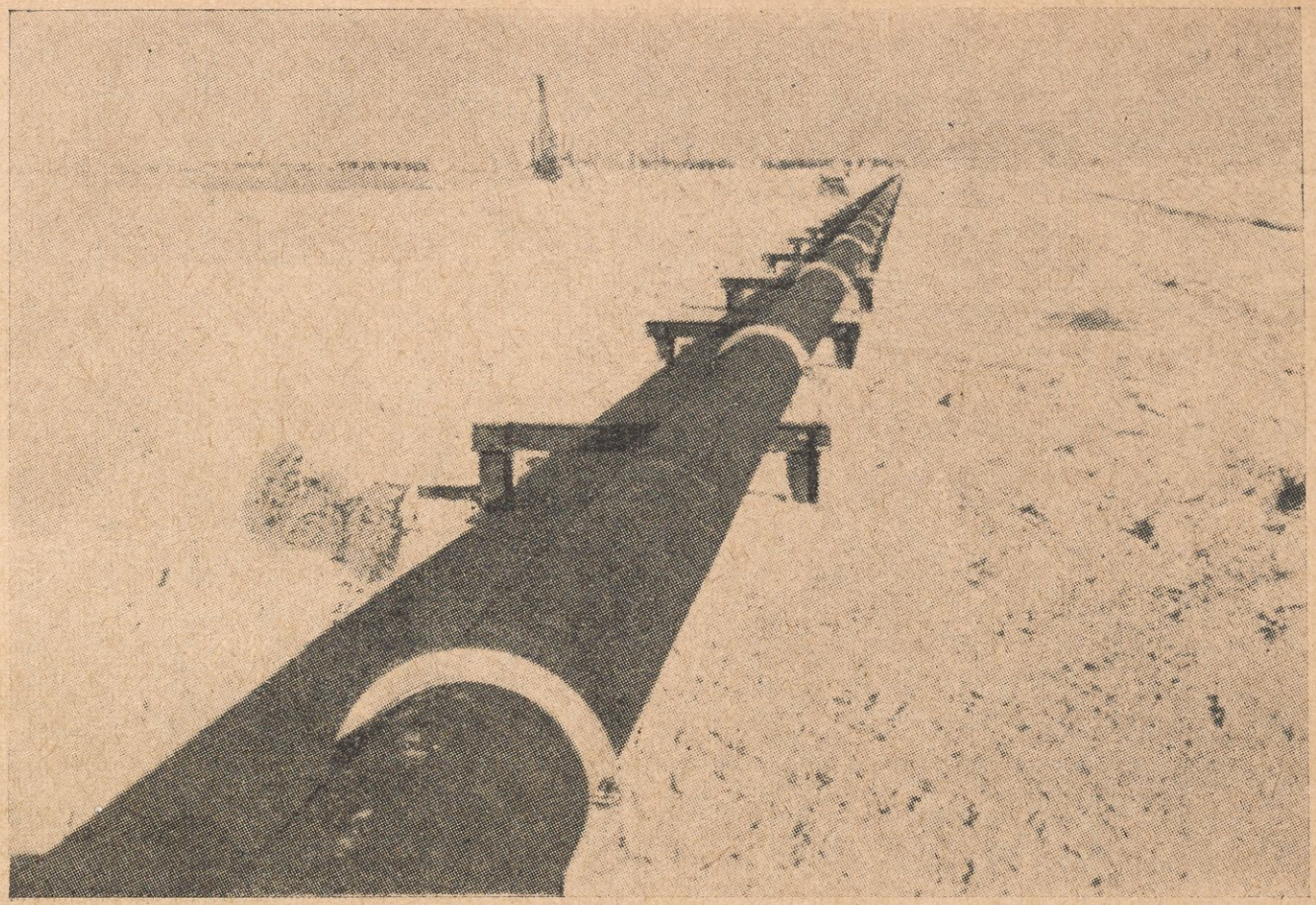

أنابيب البترول تأخذ طريقها عبر الصحراء

فى بُقَّا التى تقع على بعد ١٥ ميلا شمال شرق ابقيق ، فقد اكتشف فى مايو سنة ١٩٤٧ م على عمق ٧٢٠٠ قدم .

أنابيب البترول

ويتجمع محصول الجزيرة العربية من البترول فى مجرى واحد يجرى فيه يوميا ٨٠ ألف برميل من الدمام و٢٠٠ ألف من ابقيق و٥٠٠٠ من القطيف يوزع منها ١٠٠ ألف برميل يوميا إلى مصنع التكرير الأولى حيث يعد للتصدير على شكل بترول خام . ويرسل الباقى إلى مصانع التكرير فى رأس تَنُّوره والبحرين .

ويصل الدمّام برأس تَنُّوره خط من الأنابيب قطرها عشر بوصات وقد أنشئت فى سنة ١٩٣٩ م وطول الخط ٣٩ ميلا ، وهو يتبع الطريق البرى طريق القطيف ويمكن أن يجرى به ٦٠ ألف برميل يوميا .

وفى سنة ١٩٤٥ م أنشىء خط أنابيب قطر ١٢ بوصة من الدمّام إلى معمل التكرير فى البحرين طوله ٣٤ ميلا براً وبحراً وتصرفه ١١٠ ألف برميل يوميا .

وفى سنة ١٩٤٦ م أنشىء خط أنابيب جديد من الدمّام إلى رأس تَنُّوره بقطر ١٢ بوصة وطوله ٢٣ ميلا وتصرفه اليومى ١١٥ ألف برميل .

وفى سنة ١٩٤٦ م أيضا أنشىء خط من ابقيق إلى الدمّام بطول ٤٠ ميلا

وقطر الأنابيب ١٢ – ١٤ بوصة وتصرفه اليومى ٢١٠ ألف برميل .

وفى سنة ١٩٤٧ م أنشىء خط جديد من ابقيق إلى الدمام بقطر ١٤ بوصة . وتم بعد ذلك إنشاء خط جديد بقطر ٢٠ – ٢٢ بوصة وتصرفه ٢٠٠ ألف برميل يوميا من ابقيق إلى رأس تَنُّوره بطول ٦٥ ميلا على الطريق البرى .

وقد بدىء فعلا فى إنشاء خط طوله ١١٠٠ ميل وقطر أنانيبه ٣٠ – ٣١ بوصة من إبقيق إلى البحر الأبيض ، وسيكون تصرفه ٣٠٠ ألف برميل يوميا ، وقد كان المفروض أن يتم إنشاء هذا الخط فى سنة ١٩٥٠ م ، ولكن نظراً لاضطراب الأحوال السياسية فى فلسطين والدول العربية المجاورة ، ونظرا لقلة الأنابيب المعدة للتصدير من الولايات المتحدة ، فقد تأخر إتمام هذا الخط .

معمل التكرير فى رأس تنوره

بدىء فى سبتمبر سنة ١٩٤٤ بإنشاء معمل برأس تَنُّوره لتكرير ٥٠ ألف برميل فى اليوم ، وتم إنشاؤه فى أكتوبر سنة ١٩٤٥ م . وقد زيدت معدات هذا المعمل بحيث أصبح من الممكن أن يكرر ١٢٥ ألف برميل يوميا ، وفى نهاية سنة ١٩٤٧ م بلغ مجموع المقدار المكرر من زيت البترول ٧٠ مليون برميل . وأهم منتجات هذا المعمل هى البنزين ، والكيروسين ، والديزل الأسود والأبيض ، وزيت الوقود للبحرية .

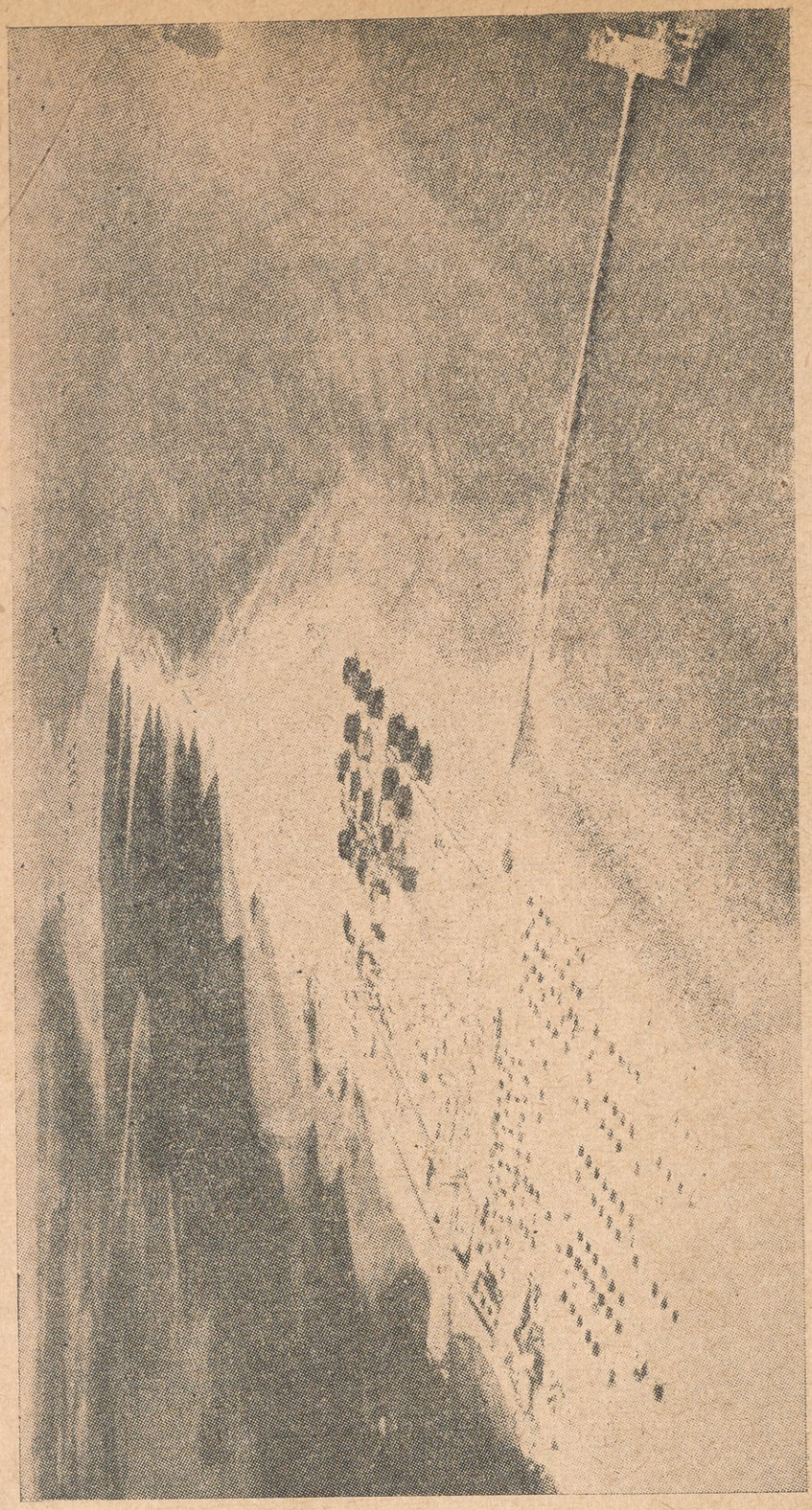

معمل التكرير برأس تنوره

Library

نشاط الشركة الاجتماعى بالبلاد العربية السعودية

إن اهتمام شركة البترول العربية الأمريكية بالتعليم وتحسين الأحوال الاجتماعية فى الجهات التى تقوم فيها بعملية استخراج البترول كان فى المبدأ محدودا لاضطراب أعمالها أولا ثم وقفها بسبب الحرب ، فمن سنة ١٩٣٣ إلى سنة ١٩٣٨ م كانت العمليات التى قامت بها الشركة مجرد عمليات كشفية ، ومن سنة ١٩٣٨ م إلى أن بدأت الحرب كانت الهمة مبذولة لمد الأنابيب وإنشاء المستودعات حتى يمكن تصدير البترول ، ومن بدء الحرب إلى أول سنة ١٩٤٤ م شلت حركة الأعمال وخفض عدد الموظفين والعمال من الأمريكان وغيرهم تخفيضا كبيراً ، وفى المدة من سنة ١٩٤٤ إلى سنة ١٩٤٥ م كان اهتمام الشركة موجها إلى إنشاء خط أنابيب إلى البحرين ومعمل التكرير فى رأس تَنُّوره ، وكان هذان المشروعان قد اعتبرا من ألزم المشروعات التى تساعد على النجاح فى الحرب . ومنذ استئناف عمليات استخراج البترول فى سنة ١٩٤٤ م خصص جزء كبير من الموارد المحلية لاعداد منازل ومستشفيات ووسائل للنقل وأمور أخرى لازمة لموظفى الشركة وعمالها من الأمريكان وعددهم ١٧٠٠ ، ومن العرب وعددهم ١٥٠٠٠ ، [١] ولهذا — كما تقول الشركة — كانت الجهود التى بذلتها الشركة فى سبيل تعليم

---

(١) كان هذا الإحصاء قبل شهر يونيه سنة ١٩٤٨ م موعد صدور العدد الخاص ببترول الشرق الأوسط من مجلة « بتروليوم تيمس » والأنباء الأخيرة تفيد أن العدد زاد إلى ما يقرب من ٥٠٠٠ أمريكى و ٢٠٠٠٠ عربى .

العرب سكان منطقة البترول وتحسين أحوالهم الاجتماعية لا تزال فى مرحلتها الأولى .

والأعمال التى قامت بها الشركة لرفع المستوى وتحسين الحالة الاجتماعية هى :

١ — أوجدت الشركة نوعا من التعليم الفنى الصناعى اللازم لعمالها العرب ، ثم أوجدت نوعاً آخر من التعليم المدرسى العام لتعليم القراءة والكتابة والحساب والنحو والصرف واللغة الإنكليزية ، وأخيراً أمكن الجمع بين النوعين من التعليم بتخصيص نصف اليوم لكل واحد منهما .

٢ — أنشأت مساكن للعمال والموظفين ، بل أنشأت مدنا فى الظهران ورأس تَنُّوره وغيرها بجوار أماكن العمل . ولقد حرصت الشركة على أن تتوفر الشروط الصحية اللازمة فى كل المساكن التى أنشأتها وإن كانت راعت عند إنشائها الفروق الاجتماعية والمالية بين طبقات الموظفين والعمال المختلفة ، فهى قد أنشأت المساكن البسيطة المختصرة كما أنشأت المساكن الفخمة مثل المساكن التى أنشأتها فى الظهران ، وقد أصبحت مدينة أمريكية منازلها مكيفة الهواء وشوارعها ممهدة مرصوفة وبها النوادى ودور السينما وحمامات السباحة ؛ وتربطها مواصلات جوية أسبوعية مع بيروت عبر الصحراء ، كما تربطها مع الولايات المتحدة مواصلات جوية كل أسبوعين .

٣ — بنت المستشفيات وأعدتها إعداداً كاملا لعلاج الموظفين والعمال وغيرهم

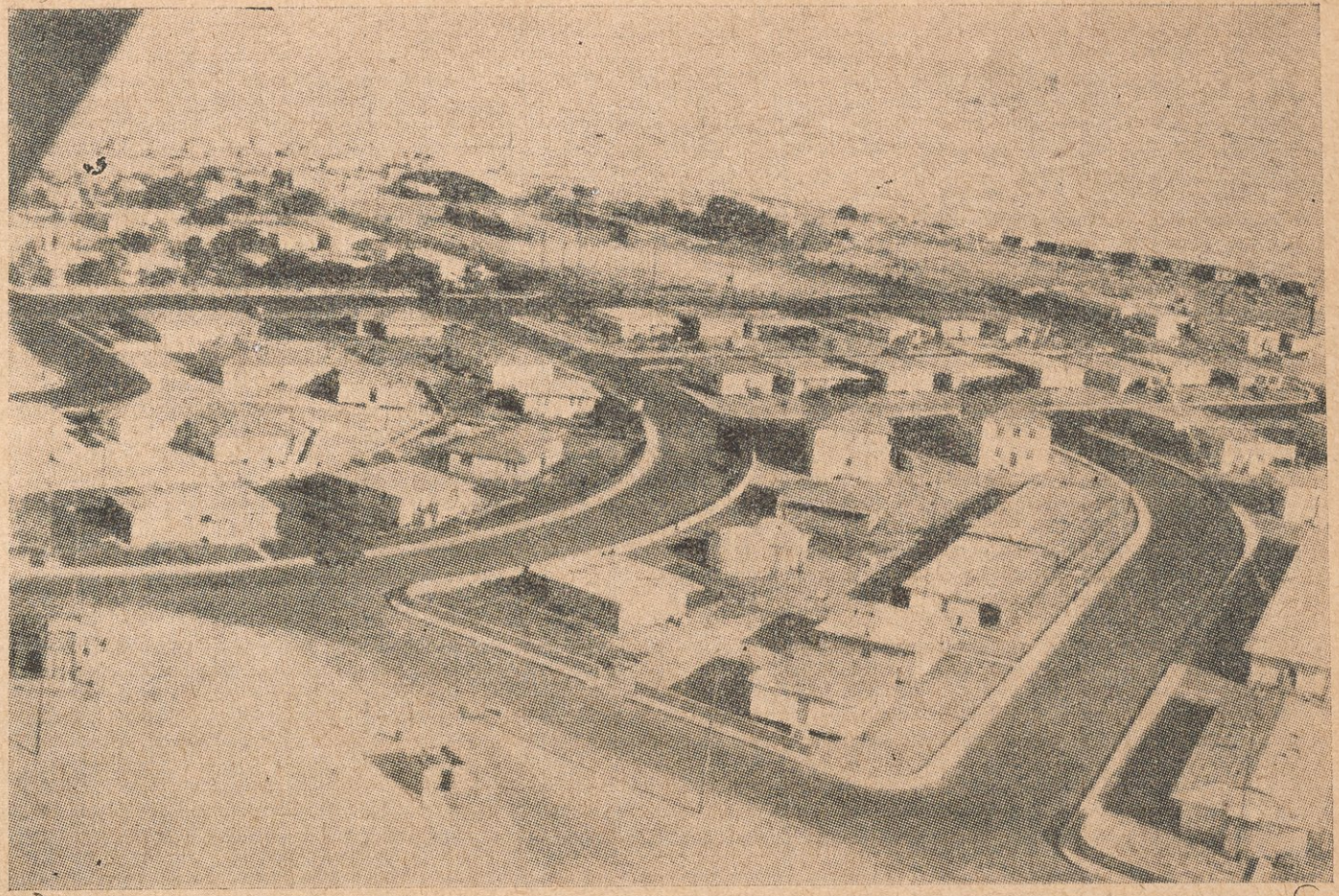

جزء من مساكن مدينة الظهران

بدون أجر ، ولقد تحسنت الصحة فى هذه المناطق إلى حد كبير وخفت وطأة الملاريا التى كانت منتشرة فى الدمّام والخُبَر .

٤ ـ عاونت الشركة الحكومة السعودية فى إنشاء المرافق العامة والزراعة وعمليات المياه ، فحفر الكثير من الآبار وبنيت بالحجر وأقيمت عليها الأغطية وأصبحت فى متناول كل عربى .

وإجابة لطلب الحكومة السعودية أنشأت الشركة ميناءً عميقة فى الدمّام على الشاطىء الجنوبى لخليج رأس تَنُّوره ، كما شرعت فى إنشاء « سكة حديد » تربط الظهران بالرياض ولقد تم منها إلى الآن ما يزيد عن ٥٠ كيلو مترا .

* * *

نصيب الحكومة السعودية فى ريع البترول

إن تحديد المبلغ الذى يخص الحكومة السعودية فى الأرباح التى تجنيها شركة البترول العربية الأمريكية يتوقف على معرفة أمرين ، الأمر الأول مقدار الزيت الناتج من عمليات استخراج البترول من الأراضى السعودية ، والأمر الثانى الاتفاق الذى عقد بين الحكومة السعودية وبين الشركة والذى حدد نصيب الحكومة عن كل طن صاف من الزيت الخام .

أما مقدار الزيت الناتج فهو يزداد بكميات كبيرة ويتضاعف باطراد ، حتى ان التقديرات التى ذكرتها الجهات المختصة فى أوائل سنة ١٩٤٩ م بلغت حدا خياليا ، إذ قدرت دوائر « الانجلو إجبشيان أويل فيلد » بلندن ما يستخرج

من الآبار البترولية بالمملكة العربية السعودية يوميا بنحو ٥٠٠ ألف برميل ، وذكرت أن كميات البترول المخزونة بباطن الأرض فى هذه المملكة تكفى حوالى مائة سنة . والذى يلفت النظر أن الأمريكان لا يكتفون بهذه الزيادة الطبيعية فى البترول السعودى ، وإنما هم يستنزفون آبار البترول هذه ويعالجونها بطريقة غير الطريقة التى يعالجون بها آبار البترول فى بلادهم . فهم فى بلادهم يحسبون حساب المستقبل ويعملون على أن يبقى فى باطن الأرض الاحتياطى الكافى ، أما فى المملكة العربية السعودية فهم يودون لو استطاعوا حمل كل مافى أرضها من زيوت إلى بلادهم ، فإذا ضم هذا إلى الوفرة الطبيعية فى زيت البترول السعودى استطعنا أن نفهم سر هذه الزيادات الهائلة فى مقدار الناتج منه .

وأما تحديد نصيب الحكومة حسب الاتفاق بينها وبين الشركة فقد عالجته المادة الرابعة عشر من الاتفاقية الرئيسية الأولى المبرمة فى ٢٩ مايو سنة ١٩٣٣ م بمدينة جدة ، وقد نصت هذه المادة على أن تدفع الشركة للحكومة عن كل طن صاف من الزيت الخام أربعة شلنات ذهبية أومايعادلها ، أو — إذا اختارت الشركة وقت دفع القسط — تدفع دولارا واحدا من عملة الولايات المتحدة الأمريكية على الطن الصافى الواحد . ولكن لما كانت هذه المادة غير واضحة فى بعض نقطها فقد دعا ذلك إلى الخلاف بين الشركة وبين الحكومة على المقدار المحدد الواجب على الشركة دفعه للحكومة ، الأمر الذى أدى إلى أن تكون هناك قضية بين الحكومة والشركة باسم « قضية الذهب » . ولبيان منشأ الخلاف نورد نص

الجزء المشتمل على الغموض من المادة المذكورة ، وهو كالآتى :

« إن قيمة الريع عن كل طن صاف من الزيت الخام ستكون إما :

ا — أربعة شلنات ذهبية أوما يعادلها .

ب — أو — بحسب اختيار الشركة وقت دفع كل قسط من أقساط الريع — دولاراً واحداً من عملة الولايات المتحدة الأمريكية على الطن الصافى الواحد من الزيت الخام . ويزاد على الدولار أى فرق يمكن أن يكون موجوداً فى سعر القطع بين الكمية التى تعادل الأربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع خلال الثلاثة الأشهر التى تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة . مثال ذلك : إذا كان معدل سعر القطع عبارة عن دولار واحد وأربعة عشر سنتا من عملة الولايات المتحدة الأمريكية لكل أربعة شلنات ذهبية (أى أن قيمة الجنيه الانكليزى الذهب أصبحت مساوية خمسة دولارات وسبعين سنتا أمريكيا) فإن قيمة الريع عن الطن الصافى الواحد من الزيت الخام تصبح دولاراً واحدا وأربعة سنتات من عملة الولايات المتحدة . » (١)

وإننا نجد أن نص المادة ترك غير واضح وغير محدد فى موضعين ، فأولا نجد أن المادة بعد أن حددت المبلغ الذى يدفع للحكومة عن الطن بأربعة شلنات

---

(١) راجع ص ٩ — ١٠ من « اتفاقيات شركات استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن » المطبوعة بمطبعة الحكومة السعودية فى سنة ١٣٥٩ هـ .

ذهبية — مع العلم بأنه ليست هناك شلنات ذهبية مسكوكة يتعامل بها — تركت الأمر على غموضه ولم تبين : هل المراد أن يكون الدفع بالجنيه الذهب الإنكليزى المسكوك — وله سعر خاص — أو المراد أن يكون الدفع بالذهب غير المسكوك فتدفع الشركة للحكومة السعودية عن الطن ما يساوى فى الوزن أربعة شلنات من الذهب الخام ؛ أى ما يساوى ٤/١ من وزن الجنيه من الذهب غير المسكوك ، وهذا بالطبع له سعر آخر غير سعر الجنيه الذهب المسكوك ؟ وثانيا نجد أن عملية الاستبدال بالدولار ، التى نصت عليها المادة ، غير واضحة وذلك أن المادة ابتدأت فنصت صراحة على جواز الدفع بالدولار الأمريكى إذا اختارت الشركة ذلك ، وحددت ما تدفعه الشركة عن الطن بدولار من عملة الولايات المتحدة الأمريكية بدل أربعة شلنات ذهبية عن الطن ، التى اعتبرت أساسا فى الدفع ، ويكون هـذا معناه أن قيمة الأربعـة شلنات من الذهب عند التعاقد كانت تساوى دولاراً أمريكيا ؛ ثم عقبت المادة فذكرت أنه عند اختيار الدفع بالدولار « يزاد على الدولار أى فرق يمكن أن يكون موجوداً فى سعر القطع بين الكمية التى تعادل الأربعة شلنات الذهبية بحسب معدل سعر القطع خلال الثلاثة الأشهر التى تسبق تاريخ دفع القسط مباشرة ، وبين كمية دولار وعشرة سنتات من عملة الولايات المتحدة » وهذا معناه أن قيمة الأربعة شلنات الذهبية عند التعاقد كانت تساوى دولاراً وعشرة سنتات ، لا دولاراً واحداً فقط كما فهم من الجملة الأولى .

والذى يترتب على ذلك أنه إذا اختـارت الشركة الدفع بالدولارات

على أساس التقدير المفهوم من الجملة الأخيرة ، وفى حالة ارتفاع قيمة الذهب ، نقص ما تأخذه الحكومة السعودية عشرة سنتات عن كل طن ، وهذا النقص ولا شك يكوِّن ملايين الدولارات فى الجملة .

هذا هو منشأ الخلاف فى « قضية الذهب » بين الحكومة السعودية وبين شركة البترول العربية الأمريكية ، ولقد ظل هذا الخلاف بين الطرفين قائما مدة طويلة حتى استطاع أخيرا الرجل العبقرى الشيخ عبد الله السليمان وزير المالية فى حكومة المملكة العربية السعودية وممثلها فى التعاقد مع الشركة أن يحل هذا الخلاف بما يحفظ حقوق بلاده ؛ استطاع « معاليه » هذا بمعونة المستشار القضائى للحكومة السعوديه الأستاذ « أحمد بك » توفيق ، وهو من رجال القانون المصرى الأفذاذ . ففى شهرى فبراير ومارس سنة ١٩٤٨ م تفاوضت الحكومة السعودية مع الشركة بشأن قضية الذهب وانتهت معها إلى اتفاقية موفقة فى صالح المملكة العربية السعودية ، حيث اتفق الطرفان على أن يكون الدفع بالجنيه الذهب المسكوك ، كما اتفقا على أن تدفع الشركة للحكومة اثنى عشر دولاراً أمريكيا فى مقابل الجنيه الذهب المسكوك إذا كان الدفع بالدولارات ، وذلك طالما أن السعر الرسمى للذهب فى خزينة الولايات المتحدة هو خمسة وثلاثون دولاراً للأوقية من الذهب (أى باعتبار أن الجنيه يساوى ثمانية دولارات و٢٤ و ٠ من الدولار) . وعلى هذا الأساس السابق تحدد المبلغ الذى تدفعه شركة البترول للحكومة السعودية عن كل طن من زيت البترول الصافى الخام تحديدا واضحا لا لبس فيه ولا غموض .

وفى اكتوبر سنة ١٩٤٨ عقد « معالى » وزير المالية السعودية بمعونة المستشار القضائى اتفاقية أخرى مع الشركة حصل بها على ميزات هامة لحكومته ، وهى تتعلق بما يأتى :

ا — المنطقة المحايدة التى تقع بين المملكة العربية السعودية وبين الكويت .

ب — القطاع الداخل فى البحر على حدود المملكة الشرقية الساحلية الذى يعتبر امتدادا للمياه الإقليمية .

جـ — النظام الذى تتبعه الشركة فى تخليها للحكومة السعودية عن الأراضى التى تستغلها فى استخراج البترول .

أما فيما يتعلق بالمنطقة المحايدة بين المملكة السعودية وبين الكويت فقد كانت هذه المنطقة حسب الاتفاق المبرم بين الحكومة السعودية وبين الشركة فى سنة ١٩٣٩ م من المناطق التى يشملها امتياز الشركة (١) ، ولكن الحكومة السعودية استطاعت بمقتضى اتفاقية اكتوبر سنة ١٩٤٨ م السابقة الذكر أن تستردها وأن تلغى امتياز شركة أرامكو فيها ؛ ثم تعاقدت بشأنها مع شركة أمريكية أخرى ، وبشروط أسخى بكثير من شروط شركة أرامكو . وهذه

---

(١) راجع ص ٢٩٥ ـ ٢٩٦ من الكتاب ؛ و ص ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٦ من « اتفاقيات شركات استثمار البترول ومستخرجاته والمعادن »

الشركة التى تم التعاقد بينهـا وبين الحـكومة السعودية بشأن المنطقة المحايدة أخيراً بمدينة الرياض فى فبراير سنة ١٩٤٩ م هى شركة باسفيك وسترن أويل كوربو ريشن « Pacific western oil corporation » .

وفيما يتعلق بامتداد المياه الإقليمة داخل البحر على الحدود الساحلية الشرقية للمملـكة العربية السعودية ، اتفقت الحـكومة السعودية مع شركة أرامكو على أنه فى حالة وجـود البترول فى امتداد يزيد عن ستة أميال (وهو مقدار المياه الإقليمية فى العرف الدولى)فإن الشركة تدفع عما يستخرج من زيت البترول من هذا الامتدادالزائد عن المياه الإقليمية،التى تدخل فى امتياز الشركة بحسب العقود التى بينها وبين الحـكومة ، تدفع الشركة عن المستخرج من الامتداد الزائد خمسة سنتات عن البرميل زيادة عما يجب عليها دفعه بحسب التعاقد الأصلى ، فتكون جملة الزيادة فى الطن الواحد هى خمسة وثلاثون سنتاً (١) .

وأما نظام التخلى الذى اتفق عليه ، فقد وضع له برنامج خاص بحيث يكون التخلى تدريجياً وفى فترات معينة ، حتى تستطيع الحـكومة السعودية الاستيلاء على الأراضى المتخلى عنها والانتفاع بهـا بالتتابع ، فلا تمضى مـدة التعاقد إلا ويكون قد تم الاستيلاء بطريقة منظمة غير موجبة للخلاف .

كذلك أجبرت الحـكومة السعودية شركة أرامكو أخـيراً على زيادة العناية بالعمال العرب وتحسـين حالهم من نواحى التعليم ، والتأمين الصحى

---

(١)وذلك لأن الطن يساوى سبعة براميل تقريباً .

والتأمين الاجتماعى بما يحفظ للعمال حقوقهم ، وإنا نكتفى بالإشارة إلى ذلك بعد تلك التفصيلات التى أوردناها لما لها من أهمية .

نظام الحكم فى المملكة العربية السعودية

إن صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية يجمع فى يديه مقاليد الحكم كلها فى المملكة ، وإليه ترجع كل السلطات ، ولكن جلالته مقيد بأحكام الشرع الشريف ؛ فهو لا يحد من نفوذه فى رعيته إلا أحكام الدين الحنيف ، إذ هى المرجع الأعلى للحكم وهى الدستور المتبع فى البلاد . فهناك تقطع يد السارق ، ويحد الزانى ، وتنفذ أحكام الإسلام فى مختلف الأحوال .

والمملكة العربية السعودية تشمل قسمين كبيرين :

القسم الأول منهما ما كان يعرف سابقاً باسم « السلطنة النجدية وملحقاتها » وهى البلاد السعودية قبل فتح الحجاز .

والقسم الثانى ما كان يعرف باسم « المملكة الحجازية » حتى شهر سبتمبر سنة ١٩٣٢ م ، وهى بلاد الحجاز التى استولى عليها ابن سعود نهائياً فى ديسمبر سنة ١٩٢٥ [١] ، والتى كانت قبل ذلك تحت حكم جلالة الملك الشريف حسين بن على باسم « المملكة العربية الهاشمية » .

ولقد تغير وضع الأمور بفتح ابن سعود للحجاز ، وأصبح لزاماً

---

(١) راجع ص١٦٣ ـ ١٦٤ من الكتاب .

على صاحب الجلالة ملك الحجاز وسلطان نجد والملحقات [1] أن يحور فى نظام الحكم البدائى الذى كان يسير عليه فى نجد قبل أن يتسع ملكه ، وقبل أن تتعدد مصالحه وتشتبك بمصالح العالم الخارجى . فقد كان جلالته قبل ذلك يحكم فى نجد على طريقة آبائه وأجداده وأندادهم من مشايخ الصحراء وأمراء البادية ، فهو الأمير ، وهو الزعيم الدينى لأتباعه الوهابيين ، يحكم بينهم وينفذ فيهم أحكام الدين الإسلامى ، وهو القائد الأعلى للجيوش ، وهو مرجع السلطات كلها لا يقيده إلا أحكام الشرع الشريف كما قلنا . فلما فتح جلالته الحجاز اقتضت الضرورة أن يعدل فى نظام الحكم ، وأن تنشأ نظم جديدة ، وأن تشرع قوانين لم تكن موجودة على حسب مقتضيات الأحوال والتطورات الطارئة ، كان لابد من هذا بعد اتساع الملك ، وتعدد المصالح ، واشتباكها بمصالح الدول الأخرى على ما أسلفنا .

غير أن الضرورة اقتضت أيضاً أن يراعى جلالة الملك ابن سعود الفروق بين نجد والحجاز ، وأن يجعل جلالته لكل من القسمين نمطا خاصا من الحكم يتلاءم مع السكان ومع سائر الأحوال ، فأبقى طريقة الحكم فى نجد على ما كانت عليه سابقاً بعد تعديل طفيف ، وجعل أكبر أنجاله الأحياء صاحب السمو الأمير سعودا ، الذى أصبح ولياً للعهد فيما بعد ، نائباً لجلالته يقوم مقامه عند اللزوم ، فأصبح الأمير يحكم نجدا بالنيابة عن والده ، ويعاونه فى الحكم القضاة

---

(١) هكذا كان يلقب جلالة الملك عبد العزيز آل سعود عقب فتحه للحجاز وقبل توحيد أجزاء المملكة .

والعلماء الذين يرجع إليهم الفصل فى الخصومات القضائية ، وأمين بيت المال الذى يجمع الزكاة ويصرفها فى مصارفها بأمر الأمير مباشرة . وبهـذه الطريقة البسيطة يحكم نجد ، فليست هناك وزارات ولا دواوين غير ما ذكرنا ، وهى الطريقة التى تناسب النجديين فى بساطتهم ، وعيشتهم البدوية وبعدهم عن مركز اتصال الدولة السعودية العربية بغيرها من الدول ، إذ مركز هذا الاتصال فى الحجاز ، فنجد مستقلة فى إدارتها ، ومختلفة فى نظام حكمها عن الحجاز ، وعاصمتها الرياض .

أما نظام الحكم فى الحجاز ، فقد اقتضت المصلحة أن يعدل حتى يصبح قريباً من نظم الحكم فى ممالك العصر الحديث ، ولعل أصحاب الأمر راعوا فى ذلك الأسباب الآتية :

١) كون الحجاز مركزاً لاتصال الدولة العربية السعودية بالعالم الخارجى فينبغى حينئذ أن يكون نظام الحكم فيه قريباً من النظم الحديثة ، وأن تدون الدواوين وتوزع الأعمال عليها ، وأن تشرع القوانين لضبط العمل ، وضمان الوصول إلى الغرض وحفظ الصالح العام بقدر المستطاع .

٢) أن هذه البلاد قد سبق لها أن عرفت شيئاً من نظم الحكم الحديثة فى عهد الأتراك وعهد الشريف حسين ، فأهلها إذاً على استعداد لأن يحكموا بنظام من الحكم حديث ، أكثر من النجديين أهل البداوة الفطرية .

تلك هى العوامل التى نرجح أن أولى الأمر قد راعوها حينما جعلوا للحكم فى الحجاز نظاماً خاصاً يختلف عن الذى فى نجد .

وهذا النظام وضعته الجمعية العمومية الحجازية التى ألفت بأمر صاحب الجلالة ابن سعود ووضعت « نظام التشكيلات الأساسية » دستوراً للحكم فى الحجاز ، فوافق عليه جلالته وأصدره فى ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ هـ / ٣١ أغسطس سنة ١٩٢٦ م ، ونشر بجريدة أم القرى فى ذلك التاريخ (١) .

وبمقتضى الدستور أصبح الحجاز مملكة إسلامية شورية دستورية مستقلة عاصمتها مكة ولغتها الرسمية اللغة العربية ويحكمها نائب عن الملك ، والنائب هو صاحب السمو الأمير فيصل يعاونه فى الحكم مجلس وزراء (ويسمى مجلس الوكلاء) مكون من وزير الداخلية ووزير الخارجية ووزير الحربية ووزير المالية، غير أن الأمير فيصلا هو رئيس الوزراء ووزير لوزارتين ، وزارتى الداخلية والخارجية ، وبذلك يجمع أغلب السلطات فى يده بالنيابة عن والده صاحب الجلالة الملك . وأنشئت عدة إدارات ومصالح ، وعين لها مديرون ورؤساء وهؤلاء مسئولون أمام نائب الملك . وجعل لكل ناحية وكل قرية وكل قبيلة مجلس يعنى بالشئون المحلية ويتألف من الموظفين ومن أشخاص معينين ، ثم ألف فى العاصمة مجلس كبير (مجلس الشورى) يتكون من النائب العام

---

(١) راجع نص الدستور فى ص ١٩١ — ١٩٣ من كتاب « الإسلام وآسيا أمام المطامع الأوربية » لأوجين يونغ طبعة مطبعة النهضة سنة ١٩٢٨ .

(نائب الملك) رئيساً ومعه أحد مستشاريه ومن ستة [1] ذوات أكفاء يعينهم الملك ، ينظر هذا المجلس فى شئون الدولة العامة وتصبح قراراته نافذة بعد موافقة الملك عليها .

كذلك اقتضت ضرورة الحكم تشريع بعض القوانين التى لم تكن معروفة بالبلادعلى ضوء مايجرى به العمل فى البلاد المتحضرة ، مثل :

ا ـ قانون الجنسية ، وكان لابد من تشريعه بعد أن أصبحت البلاد دولة ذات سيادة ، لها رعايا عليهم حقوق ولهم واجبات يتعاملون مع غيرهم من رعايا الدول الأخرى .

ب ـ قانون مجلس الشورى ؛ وكان لابد منه أيضا لتنظيم عمل المجلس وتحديد اختصاصاته وبيان كيفية تأليفه . . . الخ .

جـ ـ قانون الحجر الصحى ؛ وهو فى غاية الأهمية لحكومة تريد المحافظة على صحة رعاياها وصحة الحجاج الكثيرين الذين يفدون سنويا من جميع أنحاء المعمورة لحج بيت الله الحرام ، منعاً للعدوى وانتشار الأمراض .

---

(١) هذا كان فى السنوات الأولى من تأليف المجلس ، والآن يتألف المجلس من أربعة عشر عضواً من أكبر الشخصيات البارزة فى البلاد ، ولا زال يرأسه حضرة صاحب السمو نائب الملك سمو الأمير فيصل ، وينوب عنه فى غيابه النائب الاول أو النائب الثانى من بين الاعضاء .

د ـ قانون مزاولة مهنة الطب ، وهو لا بد من سنه حتى لا يشتغل بالطب إلا الطبيب المختص الذى يستطيع نفع الشعب ، ولكى تحمى الحكومة شعبها من الدجالين الذين لا يتورعون عن الاشتغال بما لا يحسنون ولا يعرفون ، طلبا للكسب من غير طريقه المشروع .

ولقد كانت بلاد المملكة العربية السعودية عقب فتح الحجاز مؤلفة من مملكتين مستقلتين ، كما ترى ، نجد والحجاز ، لكل منهما أوضاعها وحكومتها وطراز إدارتها ، تجمع بينهما رابطة العرش المشترك وشخص الجالس على العرش كما كانت الحال بين الممالك الأوربية المتحالفة مثل النمسا والمجر . ولكن السياسة الخارجية كانت دائما مشتركة وكذلك شئون الدفاع والبريد . ولما رؤى أنه قد حان الوقت لتوحيد المملكة وأنه لم يبق داع قط لبقاء تلك الفروق فى الأوضاع بين نجد والحجاز ، ما دامت الوحدة العنصرية والدينية قائمة بينهما ، وما دام الملك واحدا ، والمصلحة مشتركة ، والماضى والتاريخ يجمع بينهما ، لما رؤى ذلك صدر الأمر الملكى الكريم تحت رقم ٢٧١٦ فى ٢١ جمادى الأولى سنة ١٣٥١هـ الموافق ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٢ م بدمج المملكتين فى مملكة واحدة تحت اسم « المملكة العربية السعودية » وكانت ديباجة هذا الأمر الملكى والمادة الأولى منه كالآتى :

بعد الاعتماد على الله ، وبناءً على ما رفع إلينا من البرقيات من كافة رعايانا فى مملكة الحجاز ونجد وملحقاتها ، ونزولا على رغبة الرأى العام فى بلادنا ،

وحبا فى توحيد أجزاء المملكة العربية ، أمرنا بما هو آت :

المادة الأولى ـ يحول اسم « المملكة الحجازية النجدية وملحقاتها » إلى اسم « المملكة العربية السعودية » ويصبح لقبنا بعد الآن « ملك المملكة العربية السعودية . »

وكان نص المادة الخامسة : « تظل تشكيلات حكومتنا الحاضرة سواء فى الحجاز أو فى نجد وملحقاتها على حالها الحاضر مؤقتا إلى أن يتم وضع تشكيلات جديدة للمملكة كلها على أساس التوحيد الجديد . »

ولكنه على الرغم من انقضاء سنوات عديدة على صدور الأمر الملكى بتوحيد أجزاء المملكة ، وتسميتها بالمملكة العربية السعودية ، وبوضع نظام أساسى للبلاد بأجمعها على أساس الوحدة الجديدة ، وإحداث تشكيلات إدارية جديدة تكون أكثر انطباقا على الحالة الراهنة واتساقا مع الأوضاع الحكومية العصرية ، على الرغم من ذلك ، فإن النظام المذكور لم يصدر بعد فيما أعلم .

ولا تزال السلطة العليا فى الدولة كما كانت فى التعليمات الأساسية لمملكة الحجاز . فهى لا تزال فى يدى صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود ، وجلالته لايزال يشرف على أعمال نائبيه فى المنطقتين نجد والحجاز ويتدخل فى كل الأمور ، ولا يحدث أمر فى مملكته إلا بعد الموافقة منه ؛ ولهذا نستطيع أن نصف الحكم فى بلاده جميعها بأنه ملكى مطلق ، بيد أنه ينبغى ألا ننسى أنه ينفذ أحكام الشريعة الإسلامية ويراعى تعاليمها ، كما قدمنا ؛ وفى تنفيذ أحكام الشريعة والاصدار فى الحكم عن قانونها ضمان للعدل فى الرعية والتوفيق فى الحكم .

ولاية العهد

وجلالة الملك عبد العزيز ابن سعود هو أول من اتبع نظام المبايعة لشخص معين يخلفه فى الحكم فى الأسرة السعودية ؛ فقد كان المتبع فى العصرين الأول والثانى أنه إذا مات الإمام من آل سعود اجتمع أهل الحل والعقد وذوى الرأى من الأمراء والعلماء ورؤساء القبائل وانتخبوا لهم إماماً تتوفر فيه الشروط ؛ وأحيانا كان يقع الخلاف بين الأمراء بسبب التنافس على الإمامة ، ولهذا رأى جلالة الملك أن يضع حدا للأمور ، فأخذ البيعة لابنه الأكبر الأمير سعود ، نائب الملك فى نجد ، بعد موافقة مجلس الشورى وأصحاب الرأى . وتمت البيعة فى ١٦ المحرم سنة ١٣٥٢ هـ / ١١ مايو سنة ١٩٣٣ م ؛ ولقد ناب الأمير فيصل عن أخيه فى تقبل البيعة بالحجاز ، ثم سافر إلى الرياض على رأس الأمراء السعوديين وبايعوه جميعاً ، وقدموا إليه التهنئة بما ساقه الله إليه من كرامة

إصلاحات ابن سعود

إن قضية الإصلاحات فى المملكة العربية السعودية ، وخصوصا فى الحجاز منها وفى البلاد المقدسة التى يحج إليها آلاف المسلمين كل عام ، قضية كثيراً ما يدور الحديث حولها ويختلف الرأى فيها . والذى لا شك فيه أن بلاد المملكة العربية السعودية لا تزال بحاجة ملحة إلى الكثير من أعمال الإصلاح ، وأنه على حكومة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود أن تضاعف مجهودها فى تحسين حال الشعب الصحية والاجتماعية والاقتصادية ، وفى العمل لتنمية مرافق البلاد وتعبيد الطرق ، ثم فى القيام والسهر على راحة الحجاج وحفظهم من جشع الروح الاستغلالية التى لا حظها الكثيرون على بعض موظفى الدولة فى الحجاز ، وعلى التجار ، وخصوصاً على كبار التجار المحتكرين .

ولكنا مع هذا نرى أنه من الخطأ وعدم الإنصاف ألا ننوه بما قام به جلالة الملك ابن سعود من الإصلاحات الهامة المتعددة أثناء حكمه ، وألا نذكر بإعجاب أبواب الإصلاح التى طرقها ووصل فيها إلى غاية محمودة سيتحدث عنها التاريخ بلسان الحمد والثناء . وقبل أن نفصل القول ، ونتحدث عن أعمال ابن سعود الإصلاحية نود أن ننبه إلى ما كانت عليه البلاد قبل الحكم السعودى من تأخر وفوضى ، فإنه لا يستطيع أن يقدر أعمال الملك ابن سعود قدرها إلا من يعرف أحوال الفوضى والتأخر التى كان عليها الشعب العربى فى العهد السابق لعهده .

وأهم الإصلاحات التى قام بها جلالته هى :

ا — إصلاح حال الشعب البدوى بتأليف جماعة الإخوان التى تكلمنا عنها ، فلقد ترتب على ذلك استقرار البدو فى الهِجَر ، وتعودهم العمل بعد أن كانوا يعتمدون فى معيشتهم على النهب والسلب ، كما كان للتعاليم الدينية التى نشرها بينهم علماء نجد أثر كبير فى تهذيب أخلاقهم وتصحيح عقائدهم ؛ ولقد سبق أن بينا ما ترتب على هذا العمل المجيد من آثار .

ب — توطيد دعائم الأمن الشامل فى البلاد على وجه لم تعرفه الجزيرة العربية فى العصر الحديث قبل حكم عبد العزيز آل سعود ، ولقد اعتمد جلالته فى الوصول إلى هذه النتيجة السارة على التدابير الآتية :

١) تنفيذ حكم الإسلام بقطع يد السارق .

٢) تضمين رؤساء القبائل لما يقع فى مناطقهم من حوادث فهم المسئولون عنها أمام جلالة الملك .

٣) الإصلاح بين القبائل والقضاء على ما بينهم من خلاف

٤) توحيد الإمارات وضمها إلى مملكته كما فعل مع حائل وعسير ، وفى ذلك توحيد للمسئولية وضبط للأمور .

حـ — إدخال النظم الصحية والانتفاع بالطب الحديث بعد أن كان ذلك مجهولا ومعادى فى المملكة العربية السعودية ؛ ففى سنة ١٣٤٢ هـ / سنة ١٩٢٣م كانت الخطوة الأولى فى هذا المضمار ، وحصلت المعجزة فعين عبدالعزيز آل سعود طبيباً خاصاً له ولحاشيته ؛ وبعد أن تم له فتح الحجاز نظم الإدارة الطبية التى كانت موجودة هناك وجعل لها شعباً فى سائر أنحاء المملكة فى نجد والأحساء

وعسير ، وأسس مستوصفاً فى الرياض لمعالجة المرضى وإعطاء الأدوية مجانا ، ثم أدخل التطعيم ضد الأمراض ؛ وقد وقف النجديون فى سبيل تنفيذ هذه الفكرة فى المبدأ لأنهم كانوا يرونها خروجا على الدين . وأخذ ابن سعود بنظام المستشفيات المتنقلة تيسيرا لمداواة الشعب بأقل ما يمكن من النفقات .

د ـ تشجيع التعليم فى البلاد وبين أفراد شعبه الذين كانوا قد توغلوا فى الأمية وعدم المعرفة ، فأنشأ كثيرا من المدارس التى لا تعدو فى نظامها وطرق التعليم فيها أن تكون على منوال المدارس الابتدائية ، وبعضها أنشىء على نظام المدارس الثانوية حديثاً ، واستقدمت الحكومة السعودية المعلمين لهذه المدارس من مصر والبلاد العربية .

ولا ننسى فى هذا المقام البعثات التعليمية التى يرسلها جلالته إلى مصر وغيرها وينفق عليها النفقات الكثيرة فى سبيل العلم والمعرفة .

ومن الوسائل التى سلكها ابن سعود تشجيعا للمعرفة أن أخذ يطبع الكثير من الكتب العلمية ، وخاصة كتب التفسير والحديث والفقه ويوزعها على الناس بغير ثمن .

هـ ـ الانتفاع بالمخترعات الحديثة فى بلاده . فاستخدم الأوتومبيل وأدخل التليفون والتلغراف والراديو ، وانتفع بكل هذه الوسائل كما تنتفع بها سائر الأمم المتحضرة ؛ ولكنه لاقى الكثير من العناء فى المبدأ من علماء نجد والمتطرفين من الاخوان الذين كانوا يرون أن هذه المخترعات العلمية من عمل الشيطان وأنها بدعة تجب محاربتها ، فكل بدعة ضلالة وكل ضلالة فى النار .

اتبع ابن سعود مع هؤلاء جانب الحكمة ، فكان تارة يأخذهم بالحيلة وطوراً بالشدة ، فمرة يسمعهم القرآن بواسطة الراديو ، فيثبت لديهم أنه ليس من الشيطان لأن الشيطان لا يقرأ القرآن ، وأخرى يقف معهم موقف الحزم وينذرهم بأنه سينزل أشد العقاب بمن يمانع فى استعمال التلغراف والسيارات ، كما فعل مع وفد العلماء الذى أتى إليه سنة ١٩٣١ م بالرياض محتجاً ومعترضا (١) .

ومع هذا فإنا نعود ونكرر أن البلاد العربية السعودية لا تزال فى حاجة ملحة إلى الكثير من أعمال الإصلاح . وإنا نرى أن بعض هذه الأعمال الإصلاحية المطلوبة ينبغى المبادرة به ، مثل إنشاء المرافق الصحية العامة التى تكفى لقضاء حاجة جميع الحجاج أثناء موسم الحج ، وتنظيم الانتفاع بها على وجه يحفظ على الحجاج كرامتهم وراحتهم ويقيهم شرور الأمراض والأوبئة . ومثل إعداد المذبح الصحى الذى يتسع لذبح الأضاحى الكثيرة التى يذبحها الحجاج ، مع إنشاء المصانع لتجفيف لحوم هذه الذبائح ، وإعدادها إعداداً يجعلها صالحة للانتفاع بها طول أيام السنة لتوزع على الفقراء والمحتاجين . كذلك إعداد المساكن الكافية الصحية للحجاج والعمل على راحتهم فى السفر والإقامة من أمثلة الأعمال الإصلاحية التى ينبغى المبادرة بها . وإن أعمال الإصلاح فى البلاد المقدسة مهمة يجب على سائر المسلمين أن يقوموا بها بالطريقة التى لا تجرح كرامة جلالة

---

(١) راجع « جزيرة العرب » لوهبة ص ٣٠٨ — ٣٠٩ .

الملك ابن سعود ولا تخدش استقلاله ، وهذه ولا شك طريقة محمودة ناجحة ، كما حدث فى رصف الطريق بين جدة ومكة برعاية جلالة الملك عبدالعزيز ، وهمة مصر والمصريين .

وهناك بعض الأعمال الإصلاحية الأخرى التى لا تزال تحتاج إلى اهتمام خاص من حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، مثل الضرب على أيدى المحتكرين فى المرافق العامة ، والتسوية بين كبار الرجال وبقية أفراد الشعب فى إقامة الحدود على الجميع ، ومثل مضاعفة الجهود فى ناحية التعليم ونشر العلم خصوصا بين الطبقات التى تسند إليها أمور الدولة و الحكم بين الناس ، فهؤلاء هم القادة الذين بحسن إعدادهم وبصلاحيتهم تصلح الأحوال ؛ كذلك الإشراف على الأحوال الصحية فى البلاد ، يحتاج إلى وضعه فى أيد أمينة ، وتحت إشراف أطباء أكفاء لهم من التجارب ما يساعدهم على النهوض بهذه الناحية الهامة من نواحى الإصلاح . والحمد لله فلقد بلغنى من ثقة أن جلالة عاهل الجزيرة أخذ يعطى هذه الناحية ما تستحقه من العناية ؛ ولقد بدت الآثار العملية لهذه العناية ، فرأينا الحكومة العربية السعودية توفد مندوبها فى الشهور الأخيرة إلى مصر ليدرس النظم المصرية الطبية والصحية ، وليستعين ببعض الأطباء المصريين الذين سافروا فعلا إلى المملكة العربية السعودية وأسندت إليهم الأعمال هناك .

وبعد فهذه صفحة من صفحات البطولة فى التاريخ قد عرضناها ، ولسنا بحاجة بعد ذلك إلى أن ندل على منزلة صاحب الجلالة عبد العزيز آل سعود بين أبطال الرجال وعظماء العصر الحديث .

ملحق
الوثائق والمعاهدات

Universitätsbibliothek

القسم الأوّل

Library

معاهدة جدة

بين جلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

وبين

الإمبراطورية البريطانية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده .

نحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

بما أنه قد عقدت بيننا وبين حضرة صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار وإمبراطور الهند ، معاهدة صداقة وحسن تفاهم لأجل تثبيت وتقوية العلاقات الودية وحسن التفاهم بين بلادينا ، ووقعها مندوبنا المفوض ومندوب جلالته ، الحائزان الصلاحية التامة المتقابلة . وذلك فى مدينة جدة فى اليوم الثامن عشر من شهر ذى القعدة سنة ألف وثلاثمائة وخمس وأربعين هجرية (الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧) وهى مدرجة فيما يلى :

جلالة ملك بريطانيا وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وإمبراطور الهند من جهة ، وجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها من جهة أخرى ، رغبة فى توطيد العلاقات الودية السائدة بينهما وتوثيقها وتأمين مصالحهما وتقويتها قد عزما على عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم .

لذلك أوفد صاحب الجلالة البريطانية حضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن مندوباً مفوضاً عنه ، وانتدب صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز نجله ونائبه فى الحجاز مندوباً مفوضاً عنه .

بناء على ماتقدم ، وبعد الاطلاع على مستندات اعتمادهما والتثبت من صحتها ، قد اتفقا : سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز وحضرة السير جلبرت فلكنجهام كلايتن ، وتعاقدا على المواد الآتية :

المادة الأولى ـ يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالاستقلال التام المطلق لممالك صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها .

المادة الثانية ـ يسود السلم والصداقة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، ويتعهد كل من الفريقين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الفريق الآخر ، وبأن يسعى بكل مالديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة فى بلاد الفريق الآخر .

المادة الثالثة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسهيل

أداء فريضة الحج لجميع الرعايا البريطانيين والأشخاص المتمتعين بالحماية البريطانية من المسلمين أسوة بسائر الحجاج ، ويعلن جلالة الملك بأنهم يكونون آمنين على أموالهم وأنفسهم أثناء إقامتهم فى الحجاز .

المادة الرابعة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بتسليم مخلفات من يتوفى فى البلاد التابعة لجلالته من الحجاج المذكورين آنفاً ، والذين ليس لهم فى بلاد جلالته أوصياء شرعيون ، إلى المعتمد البريطانى فى جدة أو من ينتدبه لذلك الغرض لإيصالها لورثة الحاج المتوفى المستحقين ، بشرط أن لا يكون تسليم تلك المخلفات إلى الممثل البريطانى إلا بعد أن تتم المعاملات بشأنها أمام المحاكم المختصة ، وتستوفى عليها الرسوم المقررة فى القوانين الحجازية أو النجدية .

المادة الخامسة ـ يعترف صاحب الجلالة البريطانية بالجنسية الحجازية أو النجدية لجميع رعايا صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة البريطانية والبلاد المشمولة بحماية جلالته ، وكذلك يعترف صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالجنسية البريطانية لجميع رعايا صاحب الجلالة البريطانية ، ولجميع الأشخاص المتمتعين بحماية جلالته عندما يوجدون فى بلاد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، على أن تراعى قواعد القانون الدولى المرعى بين الحكومات المستقلة .

المادة السادسة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بالمحافظة على علاقات الود والسلم مع الكويت ، والبحرين ، ومشايخ قطر ، والساحل العمانى ، الذين لهم معاهدات خاصة مع حكومة صاحب الجلالة البريطانية .

المادة السابعة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها بأن يتعاون بكل ما لديه من الوسائل مع صاحب الجلالة البريطانية فى القضاء على الاتجار بالرقيق .

المادة الثامنة ـ على الفريقين المتعاقدين إبرام هذه المعاهدة ، وتبادل قرارات الإبرام بأقرب وقت ، وتصير المعاهدة نافذة اعتباراً من تاريخ تبادل قرارات الإبرام ، ويعمل بها مدة سبع سنوات ابتداء من ذلك التاريخ . وإن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر أنه يريد إبطال المعاهدة تبقى نافذة ولاتعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر .

المادة التاسعة ـ تعتبر المعاهدة المعقودة بين صاحب الجلالة البريطانية وصاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها فى ٢٦ ديسمبر سنة ١٩١٥ ، يوم كان جلالته حاكما لنجد وما كان ملحقاً بها إذ ذاك ، ملغاة ابتداء من تاريخ إبرام هذه المعاهدة .

المادة العاشرة ـ دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنكليزية ، وللنصين قيمة واحدة ، أما إذا وقع اختلاف فى تفسير أى قسم منها ، فيرجع إلى النص الإنكليزى .

المادة الحادية عشر ـ تعرف هذه المعاهدة بمعاهدة جدة .

وقعت هـذه المعاهدة فى جـدة يوم الجمعة الثامن عشر من ذى القعدة سنة ١٣٤٥ هجرية الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ م .

(التوقيع) (التوقيع)

جلبرت فلكنجهام كلايتن فيصل بن عبد العزيز آل سعود

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر ،وأمعنا النظر فيها ، صدقناها وقبلناها وأقررناها ، جملة فى مجموعها ، ومفردة فى كل مادة وفقرة منها ، كما أننا نصدقها ، ونقبلها،ونثبتهاونبرمها،ونتعهد ، ونعد وعداً ملوكياً صادقاً ، بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص ، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأى وجه كان،طالما نحن قادرون على ذلك.وزيادة فى تثبيت صحة كل ما ذكر فيها ، أمرنابوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ، ووقعناها بيدنا ، والله خير الشاهدين .

حرر فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ألف وثلاثمائة وست وأربعين هجرية ، الموافق للسابع عشر من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين ميلادية .

(الختم الملكى) عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود

تبادل قرارات الإبرام

وبعد أن أبرم جلالة الملك المعاهدة على الشكل المتقدم ، تبادل مدير شؤون خارجيتنا ، ومعتمد وقنصل الحكومة البريطانية فى جدة ،قرارات الإبرام ونسخ المعاهدة ، بعد أن وقعا شهادة التبادل الآتى ذكرها :

إن الموقعين أدناه قد اجتمعا لأجل تبادل قرارات إبرام معاهدة الصداقة وحسن التفاهم المعقودة بين صاحب الجلالة ملك بريطانيا العظمى وإيرلندة والممتلكات البريطانية من وراء البحار وامبراطور الهند ، وبين حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها ، والتى وقع عليها فى مدينة جدة فى اليوم العشرين من شهر مايو سنة ١٩٢٧ (الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥) وبعد أن قابلا نسخ قرارات إبرام المعاهدة السالفة الذكر بدقة،ووجدا كل واحدة مطابقة تمام المطابقة للأخرى ، قد جرى التبادل المذكور هذا اليوم على الصورة المعتادة ، وإقراراً بذلك قد وقعا على هذه الشهادة .

حرر فى جدة فى اليوم الحادى والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٦ .

معتمد وقنصل	مدير الشؤون الخارجية
صاحب الجلالة البريطانية	للمملكة الحجازية النجدية وملحقاتها
ف ، هـ ، استوبه ، هيوز ، بيرد	عبد الله الدملوجى

الكتب التى تبودلت

تبودلت مع المعاهدة كتب يتعلق بعضها ببيان بعض مواد المعاهدة وبعضها مستقل بذاته ، هذا نصها :

— ١ —

إلى حضرة صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يا صاحب الجلالة !

إشارة إلى الاقتراح الذى تفضلتم به لوضع مادة فى المعاهدة تشترط على حكومة صاحب الجلالة البريطانية عدم الممانعة فى شراء وتوريد جميع الأسلحة والأدوات الحربية والذخيرة والآلات ، وغير ذلك من اللوازم الحربية التى قد تحتاج إليها حكومة الحجاز ونجد لاستعمالها لنفسها ؛ لى الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أن هذه مسألة لا تحتاج إلى ذكر فى نص المعاهدة ، وقد فوضتنى حكومة صاحب الجلالة البريطانية بأن أخبر جلالتكم أن تحريم تصدير الأدوات الحربية إلى جزيرة العرب قد رفع ، وأنه إذا استحسنتم طلب أسلحة أو ذخيرة أو أدوات حربية من أصحاب المعامل البريطانية لاستعمال حكومة جلالتكم ، وبمقتضى شروط اتفاقية الاتجار بالأسلحة (١٩٢٥) فحكومة صاحب الجلالة البريطانية

لا تعارض فى تصديرها ، ولا تضع أى عرقلة فى سبيل توريدها إلى بلاد جلالتكم ؛ وسأجتهد ، إجابة لرغبة جلالتكم ، أن أقدم نسخة من الاتفاقية المشار إليها بأقرب وقت .

وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام .

عن جدة فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

جلبرت كلايتن

الجواب

من عبدالعزيز بن عبدالرحمن الفيصل آل سعود ، إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية .

جوابا على كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ تحت رقم ٣ بشأن الأسلحة ، فإنى أشكركم على ذلك البيان الذى يفيد أن جزيرة العرب غير ممنوعة من استيراد الأسلحة .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى .

الختم الملكى

— ٢ —

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يا صاحب الجلالة !

لى الشرف أن أذكر جلالتكم أنه فى أثناء المفاوضات التى دارت بيننا والتى أدت ، ولله الحمد ، إلى عقد معاهدة صداقة وحسن تفاهم بين صاحب الجلالة البريطانية وجلالتكم ، كنا بحثنا فى مسألة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن ، وكنت شرحت لجلالتكم موقف حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى هذه المسألة ، كما هو مبين فى مسودة الملحق (١) التى قدمتها إلى جلالتكم ، وأخبرت جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على التمسك بذلك الموقف . أما الحدود المشار إليها فتعتبر حكومة صاحب الجلالة البريطانية أنها تعرف كما يأتى :

تبتدىء الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن من نقطة تقاطع دائرة الطول ٣٨ (شرقى) بدائرة العرض ٢٩،٣٥ (شمالى) حيث تنتهى الحدود بين نجد وشرقى الأردن ، فتمتد على خط مستقيم إلى نقطة على السكة الحديدية الحجازية بعدها ميلان إلى الجنوب من محطة المدورة ، ثم تمتد من تلك النقطة على خط

---

(١) قدم هذا الملحق ولم يقبل من الحجاز ونجد ، فرفع من المعاهدة ولم يعمل به .

مستقيم إلى نقطة على خليج العقبة ، بعدها ميلان إلى الجنوب من مدينة العقبة .

وفى الختام ، أرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ .

جلبرت كلايتن

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

الجواب

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض لصاحب الجلالة البريطانية .

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ فى ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ المختص بمسألة الحدود بين الحجاز وشرقى الأردن ، قد أخذنا علماً بأن حكومة صاحب الجلالة البريطانية مصرة على موقفها ؛ ولكن نرى أن تسوية هذه المسألة بصورة نهائية أمر متعذر فى الظروف الحاضرة ، ومع ذلك ، نظراً لرغبتنا الصادقة فى المحافظة على العلاقات الودية المؤسسة على صلات الصداقة المتينة ، رأينا أن نعرب لفخامتكم عن استعدادنا لإبقاء الحالة الحاضرة على ماهى عليه فى منطقة « معان والعقبة » مع الوعد بأن لا نتداخل فى إدارتها ، إلى أن تحين الظروف المناسبة لتسوية هذه المسألة تسوية نهائية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ؟

١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الختم الملكى

— ٣ —

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

يا صاحب الجلالة !

إلحاقا بالمحادثات التى دارت بيننا بخصوص مسألة المتاجرة بالرقيق ، لى الشرف أن أخبر جلالتكم أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ترى أنه من واجبها أن لا تتنازل ، فى الوقت الحاضر عن حق إعتاق الأرقاء ، ذلك الحق الذى طالما عمل بموجبه حضرات قناصل جلالته ، والذى يمكنهم من إطلاق سبيل أى رقيق يتقدم إليهم من تلقاء نفسه ، ويطلب تحريره وإعادته إلى مسقط رأسه . ثم أريد أن أؤكد لجلالتكم أن التمسك بهذا الحق من قبل حكومة صاحب الجلالة البريطانية ليس المراد منه أى تداخل فى شؤون مملكتكم ، أو أى تجاوز على سلطان جلالتكم ؛ وأن السبب فى هذا التمسك إنما هو إصرار حكومة صاحب الجلالة البريطانية على القيام بواجب تعتبره مفروضا عليها نحو الإنسانية . وأضيف إلى قولى هذا أن حكومة صاحب الجلالة البريطانية ستكون على استعداد للنظر فى إلغاء حق الاعتاق حينما يتبين للفريقين أن التعاون المنصوص عليه فى المادة السابعة من معاهدة جدة قد أدى إلى تدابير عملية كافية لإبطال حق الإعتاق . وآمل أن جلالتكم ستقدرون موقف حكومة صاحب الجلالة

البريطانية فى هذه المسألة ، وأنكم ستستحسنون الموافقة على الخطة التى شرحتها أعلاه .

وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام ؟

جلبرت كلايتن

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

عن جدة ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ /١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

الجواب

من عبدالعزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى حضرة صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية .

جواباً على كتاب فخامتكم المؤرخ ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ (الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧) رقم ٣ بخصوص عتق الرقيق ، فإنى واثق بأن المعتمد البريطانى فى جدة سيكون محافظا على الروح التى توخيناها فى مداواة الموقف الحاضر ، فلا يدع مجالا للتشويق فى هذا الموضوع ، الذى قد يؤثر على الحالة الإدارية والاقتصادية .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

الختم الملكى

— ٤ —

إلى صاحب الجلالة ملك الحجاز ونجد وملحقاتها

ياصاحب الجلالة !

إشارة إلى المادة الرابعة من معاهدة جدة ، لى الشرف أن أثبت فى كتابى هذا التصريحات التى ألقيتها أمام جلالتكم أثناء محادثاتنا ، عند ما صرحت بأن الغرض الوحيد من إدخال تلك المادة فى المعاهدة هو :

أولا وضع المعاملة المتبعة الآن على أساس رسمى .

وثانيا أن يقدم لحكومة صاحب الجلالة البريطانية تأكيدات تمكنها من إعلان المعاملة المتبعة الآن لجميع المسلمين فى البلاد البريطانية . وعلاوة على ذلك أريد أن أؤكد لجلالتكم أن وجود تلك المادة فى المعاهدة لا يؤثر ، ولا يفسر بأنه قد يؤثر على المعاملة المختصة بمخلفات الأشخاص غير الحجاج التى لا تزال خاضعة لقواعد المقابلة بالمثل ، التى هى أساس التعامل المعتاد بين البلاد المستقلة .

وأرجو من جلالتكم أن تتفضلوا بقبول أجل الاحترام .

عن جدة فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ / ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ .

جلبرت كلايتون

المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية

الجواب

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود إلى صاحب الفخامة المندوب المفوض عن صاحب الجلالة البريطانية .

جوابا على كتاب سعادتكم المؤرخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ / ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ رقم ٤ ، بشأن مخلفات رعايانا فى داركم ، ومخلفات رعاياكم فى دارنا . فأحب أن أؤكد لفخامتكم أن المعاملة ستكون — كما ذكرتم — حسب التعامل الدولى ، إذ تقوم محاكمنا باستلام المخلفات ، وبعد إجراء المعاملات القانونية واستيفاء الرسوم عليها ، تسلم إلى المعتمد البريطانى . وذلك مقابلة بالمثل لتسليم المعتمد البريطانى فى جدة مخلفات المتوفى من رعايانا فى الممالك البريطانية .

وتفضلوا بقبول فائق احتراماتى .

فى ٢٠ ذى القعدة سنة ١٣٤٥

الختم الملكى

تمديد معاهدة جدة

وتعديل بعض أحكام فيها ، وفى الكتب الملحقة بها

بلاغ رسمى رقم (١٣)

عصر يوم السبت ، الواقع فى ١٧ رجب سنة ١٣٥٥ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ عقد اجتماع فى مكتب الخارجية بجدة ، بحضور سعادة الشيخ يوسف ياسين وبعض موظفى وزارة الخارجية العربية السعودية ، وسعادة السير بولارد الوزير البريطانى المفوض فى جدة وبعض موظفى المفوضية ، وجرى تبادل مذكرتين ، وقعت إحداهما من صاحب السمو الملكى وزير الخارجية ، ووقعت الثانية جوابا عليها من سعادة الوزير البريطانى فى جدة نيابة عن الحكومة البريطانية لتمديد مفعول معاهدة جدة ، بعد تعديل بعض أحكام واردة فيها . وقد احتوت المذكرتان المشار إليهما على ما يأتى :

١ — تمديد مدة معاهدة جدة سبع سنوات شمسية ، من تاريخ يوم تبادل المذكرات .

٢ — عدلت المادة الرابعة المتعلقة بمخلفات الحجاج التابعين للحكومة البريطانية ؛ إذ اتفق على أن تبيع الحكومة العربية السعودية مخلفات أولئك الحجاج أو بعضها ، بناء على طلب من الحكومة البريطانية ، وتسلم قيمتها للموفوضية البريطانية فى جدة .

٣ — عدلت المادة العاشرة ، فجعلت اللغة العربية مساوية للغة الانجليزية فى النص والتفسير .

٤ — احتفظت الحكومة العربية السعودية بحقها فى منطقة العقبة ومعان وأحاطت الحكومة البريطانية علما بذلك التحفظ ، وتمسكت الحكومة البريطانية بموقفها فيهما .

٥ — تنازلت الحكومة البريطانية عن حق عتق الأرقاء الذين كانوا يلجأون للقنصل البريطانى بجدة ، وكفت عن استعمال ذلك من تاريخ يوم تبادل المذكرتين .

٦ — إذا أرادت الحكومة العربية السعودية شراء أسلحة من البلاد البريطانية ، فإنها تشترى ذلك طبق الأنظمة المحلية لتصدير الأسلحة ، المعمول بها فى بريطانيا يوم التصدير . وسينشر نص المذكرتين فى أقرب فرصة .

وننشر فيما يلى نص المذكرتين المتبادلتين بين حكومة جلالة الملك والحكومة البريطانية ، بشأن تمديد معاهدة جدة ، المنعقدة بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ .

المذكرة الأولى

رقم ٦ / ١ / ٤٧ ، التاريخ ١٧ رجب ١٣٥٥ (الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦)

حضرة صاحب السعادة المندوب فوق العادة والوزير المفوض للحكومة البريطانية المحترم . . . . . جدة .

يا صاحب السعادة !

بالنظر إلى أن مدة السبع السنوات المقررة فى المادة الثامنة من معاهدة جدة المؤرخة فى ١٨ ذى القعدة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ قد انتهت فى ٨ جمادى الثانية ١٣٥٣ الموافق ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٤ ، وأنه بموجب المادة المذكورة يمكن إنهاء حكم المعاهدة المذكورة بإخطار لمدة ستة أشهر يعطى من قبل أحد الفريقين إلى الفريق الآخر ؛ فإن حكومتينا شرعتا منذ مدة فى المفاوضات لأجل وضع صلاتهما المتقابلة على أساس أثبت .

وبما أنهما يشعران برغبة مشتركة لزيادة تثبيت صلات الصداقة القائمة — لحسن الحظ — بينهما ، فإنهما بنتيجة تلك المفاوضات اتفقتا على تعديل الشرط الذى بموجبه يصبح إنهاء المعاهدة المذكورة . كما اتفقتا على تعديل بعض أحكام معينة فيها ، وفى الكتب المتبادلة بين جلالة الملك عبد العزيز والسير جلبرت كلايتن الملحقة بها وقت عقدها .

وإنى أثبت فيما يلى ما تم الاتفاق عليه من الأحكام :

١ — مع مراعاة ما هو موضح فيما يلى من الفقرات فقد اتفقت الحكومتان

اتفاقا متقابلا على أن تلغيا لمدة سبع سنوات شمسية ـ من تاريخ هذا اليوم ـ حقهما فى إعطاء إنذار لمدة ستة أشهر عن رغبتهما فى إنهاء المعاهدة المذكورة كما هو منصوص عليه فى المادة الثامنة منها .

٢ ـ يزاد فى آخر المادة الرابعة من المعاهدة المذكورة الخاصة بتصريف مخلفات الحجاج المتوفين ما يأتى :

(كما أنه قد اتفق على أنه يجوز للسلطات المختصة فى حكومة المملكة العربية السعودية ـ بناء على طلب يقدم بالطرق السياسية من حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة ـ أن تقوم ببيع تلك المخلفات أو أى جزء منها ، وتسليم قيمتها للمفوضية البريطانية فى جدة ، مع مراعاة المعاملات واستيفاء الرسوم المشار إليها فى هذه المادة) .

٣ ـ إن النص الوارد فى المادة العاشرة من معاهدة جدة القائل (أما إذا وقع اختلاف فى تفسير أى قسم منها فيرجع إلى النص الإنجليزى) قد اتفقت الحكومتان على رفعه وإزالته من المعاهدة . وبناء على ذلك تصبح المادة العاشرة منها كما يأتى :

(دونت هذه المعاهدة باللغتين العربية والإنجليزية ، وللنصين قيمة واحدة) .

٤ ـ تحتفظ حكومة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية بحقها فى منطقة العقبة ومعان ، كما جاء فى كتاب حضرة صاحب الجلالة عبدالعزيز ملك المملكة العربية السعودية إلى السير جلبرت كلايتن بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ جواباً على كتاب السير جلبرت كلايتن بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذى القعدة ١٣٤٥ .

٥ ـ لقد تم الاتفاق على أن تتنازل حكومة صاحب الجلالة البريطانية في المملكة المتحدة عن حق عتق الأرقاء المشار إليه في كتاب السير جلبرت كلايتن إلى جلالة الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية المؤرخ في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ ، وجواب جلالته عليه بتاريخ ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ ، وتكف عن استعمال الحق المشار إليه من تاريخ هذا اليوم .

٦ ـ بصرف النظر عما جاء في كتاب السير جلبرت كلايتن إلى جلالة الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ وجواب جلالته عليه بتاريخ ١٩ ذي القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ مايوسنة ١٩٢٧ ، فإن حكومة المملكة العربية السعودية توافق على أنها إذا رغبت في شراء أسلحة أو ذخائر أو أدوات حربية من أصحاب المصانع في المملكة المتحدة فإن تصديرها يكون بمقتضى الأنظمة المعمول بها في المملكة المتحدة وقت التصدير .

٧ ـ من المتفق عليه أن المذكرة الحالية ، وجواب سعادتكم عليها يثبتان قبول حكومتينا للأحكام الواردة فيهما ، ويشكلان معا اتفاقا ملزما متقابلا بين حكومتينا يكون ساري المفعول من تاريخ هذا اليوم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)

فيصل

وزير الخارجية

المذكرة الثانية

المفوضية البريطانية بجدة

نمرة ١٤٥ (١٧٢٨ / ٣٤٠ / ١٤٤)

فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦

حضرة صاحب السمو الملكى وزير الخارجية

ياصاحب السمو الملكى !

أتشرف بأن أحيط علم سموكم الملكى بأنى استلمت مذكرة سموكم الملكى بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٣٥٥ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ، التى تذكرون فيها أن مدة السبع السنوات المقدرة فى المادة الثامنة من معاهدة جدة المؤرخة فى ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ قد انتهت فى ١٧ سبتمبر سنة ١٩٣٤ الموافق ٨ جمادى الثانية سنة ١٣٥٣ ، وأنه بموجب المادة المذكورة يمكن إنهاء حكم المعاهدة المذكورة بإخطار لمدة ستة أشهر يعطى من قبل أحد الفريقين إلى الفريق الآخر . وتشيرون سموكم الملكى إلى المفاوضات التى كانت حكومتانا تشتغل فيها منذ زمن مضى لأجل وضع صلاتهما المتقابلة على أساس أثبت ، وإلى ما يشعران به من الرغبة المشتركة لزيادة تثبيت صلات الصداقة القائمة لحسن الحظ بينهما ؛ فإنهما نتيجة تلك المفاوضات قد اتفقتا على تعديل الشروط التى بموجبها يصبح إنهاء المعاهدة المذكورة ، وعلى تعديل بعض أحكام المعاهدة المذكورة والكتب المتبادلة بين

صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ، والسير جلبرت كلايتون وقت عقد المعاهدة مع مراعاة أحكام معينة تم الاتفاق عليها ، وسردتموها فى مذكرة سموكم الملكى المشار إليها . فأتشرف بأن أثبت فيما يلى نيابة عن حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة ما تم الاتفاق عليه والأحكام المشروطة فيه كما يأتى :

١ — مع مراعاة ماهو موضح فيما يلى من الفقرات فقد اتفقت الحكومتان اتفاقا متقابلا على أن تلغى لمدة سبع سنوات شمسية من تاريخ هذا اليوم حقهما فى إعطاء إنذار لمدة ستة أشهر عن رغبتهما فى إنهاء المعاهدة المذكورة كما هو منصوص عليه فى المادة الثامنة منها .

٢ — يزاد فى آخر المادة الرابعة من المعاهدة المذكورة الخاصة بتصريف مخلفات الحجاج المتوفين مايأتى :

(كما أنه قد اتفق على أنه يجوز للسلطات المختصة فى حكومة المملكة العربية السعودية — بناء على طلب يقدم بالطرق السياسية من حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة — أن تقوم ببيع تلك المخلفات أو أى جزء منها وتسليم قيمتها إلى المفوضية البريطانية فى جدة مع مراعاة المعاملات واستيفاء الرسوم المشار إليها فى هذه المادة) .

٣ — إن النص الوارد فى المادة العاشرة من معاهدة جدة القائل (أما إذا وقع اختلاف فى تفسير أى قسم منها فيرجع إلى النص الإنجليزى) قد اتفقت الحكومتان على رفعه وإزالته من المعاهدة . وبناء على ذلك تصبح المادة

العاشرة منها كما يأتى : (دونت هـذه المعاهـــدة باللغتين العربية والإنجليزية وللنصين قيمة واحدة) .

٤ ــ أحاطت حكومة صاحب الجلالة فى المملكة المتحدة علماً بالتحفظ الوارد بالفقرة الرابعة من مذكرة سموكم الملكى المشار إليها فيما يختص بمنطقة العقبة ومعان ، كما جاء فى كتاب حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية إلى السير جلبرت كلايتن بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ جواباً على كتاب السير جلبرت كلايتن بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ . وإن حكومتى من جهتها تتمسك بالموقف المعين فى الكتاب المذكور من السير جلبرت كلايتن .

٥ ــ لقد تم الاتفاق على أن تتنازل حكومة صاحب الجلالة البريطانية فى المملكة المتحدة عن حق عتق الأرقاء المشار إليه فى كتاب السير جلبرت كلايتن إلى جلالة الملك عبـــد العزيز ملك المملكة العربية السعودية المؤرخ فى ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ ، وجواب جلالته عليه بتاريخ ١٩ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢١ مايو سنة ١٩٢٧ . ونكف عن استعمال الحق المشار إليه اعتباراً من تاريخ هذا اليوم .

٦ ــ بصرف النظر عما جاء فى كتاب السير جلبرت كلايتن إلى جلالة الملك عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية بتاريخ ١٩ مايو سنة ١٩٢٧ الموافق ١٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ وجواب جلالته عليه ، فإن حكومة المملكة

العربية السعودية توافق على أنها إذا رغبت فى شراء أسلحة أو ذخائر أو أدوات حربية من أصحاب المصانع فى المملكة المتحدة فإن تصديرها يكون بمقتضى الأنظمة المعمول بها فى المملكة المتحدة وقت التصدير .

٧ — من المتفق عليه أن مذكرة سموكم الملكى المشار إليها ، وهذا الجواب يثبتان قبول حكومتينا للأحكام الواردة فيهما ، ويشكلان معاً اتفاقاً ملزماً متقابلا بين حكومتينا يكون سارى المفعول من تاريخ هذا اليوم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)

ريدروليم بولارد

التجديد الأخير لمعاهدة جدة، الذى يتكرر من تلقاء نفسه

بلاغ رسمى رقم (٧٩)

بالنظر لأن معاهدة جدة المنعقدة بين المملكة العربية السعودية والمملكة المتحدة البريطانية بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ تنتهى مدتها فى ٤ شوال سنة ١٣٦٢ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣ فقد جرى تبادل كتابين بين يوسف ياسين السكرتير الخاص لجلالة الملك المعظم، ورئيس الشعبة السياسية، ونائب وزير الخارجية العربية السعودية، وبين المستر استانلى روبرت جوردن الوزير المفوض والمندوب فوق العادة لصاحب الجلالة البريطانية بجدة، لكى يجرى مفعول معاهدة جدة المذكورة أبديا، تتجدد بطبيعتها سبع سنوات بعد سبع سنوات شمسية، وهكذا: وسينشر نص الكتابين فى فرصة قريبة.

الرقم ٢٥ / ٤ / ٤
التاريخ ٤ شوال ١٣٦٢
الموافق ١٣ اكتوبر ١٩٤٣

ياصاحب السعادة!

بالنظر لأن المادة الثامنة من معاهدة جدة الموقع عليها بجدة فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ تنص على أن يسرى مفعول تلك المعاهدة سبع سنوات من يوم تبادل وثائق الإبرام (الذى كان

فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٦ الموافق ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٧) وأنه إن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر ، أنه يريد إبطال المعاهدة ، تبقى نافذة ؛ ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر .

وبالنظر لأنه جرى تبادل مذكرات بين الفريقين المتعاقدين بتاريخ ١٧ رجب ١٣٥٥ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ألغى فيها كل فريق حقه لمدة سبع سنوات شمسية فى إعطاء إنذار للفريق الآخر لمدة ستة أشهر عن رغبته فى إنهاء المعاهدة المذكورة ، كما نص على ذلك فى المادة الثامنة منها ؛ وبالنظر لأن مدة السبع السنوات المذكورة تنتهى فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣ الموافق ٤ شوال سنة ١٣٦٢ ؛ وبالنظر لرغبة حكومتينا فى وضع علاقاتهما على قواعد أشد ثبوتا ، فإن الحكومة العربية السعودية تقترح — من تاريخ ٤ شوال سنة ١٣٦٢ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣ — اعتبار مدة سريان مفعول معاهدة جدة كما يأتى :

تعتبر معاهدة جدة المعقودة بين ملك المملكة العربية السعودية (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) وبين ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وإمبراطور الهند بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ نافذة المفعول من تاريخ ٤ شوال سنة ١٣٦٢ الموافق ٣

اكتوبر سنة ١٩٤٣ سبع سنوات شمسية على التوالى . وإذا لم يعلن أحد الفريقين الساميين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء أى سابع من السنوات الشمسية المقبلة بستة أشهر رغبته فى تعديلها أو إلغائها ، فإنها تتجدد بطبيعتها سبع سنوات شمسية أخرى ، وهكذا .

إن هذه المذكرة وجواب سعادتكم عليها بموافقة حكومة المملكة المتحدة البريطانية على ذلك يشكلان معا اتفاقا ملزما متقابلا بين حكومتينا يكون سارى المفعول من تاريخ هذا اليوم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . (التوقيع)

وزير الخارجية بالنيابة

يوسف ياسين

هذا الكتاب السابق هو نص الكتاب المرسل لحضرة صاحب السعادة المندوب فوق العادة ، والوزير المفوض لحضرة صاحب الجلالة البريطانية المحترم — بجدة

الرقم ١١٠ (١١/٤٨٢/١٨٧٥)
التاريخ ٤ شوال سنة ١٣٦٢
الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣

حضرة صاحب السعادة الشيخ يوسف ياسين نائب وزير الخارجية المحترم
جدة .

ياصاحب السعادة !

أتشرف بإعلامكم باستلام مذكرتكم بتاريخ ٤ شوال سنة ١٣٦٢ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣ التى نصت على مايأتى :

« بالنظر لأن المادة الثامنة من معاهدة جدة الموقع عليها بجدة فى ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ تنص على أن يسرى مفعول تلك المعاهدة سبع سنوات من يوم تبادل وثائق الإبرام (الذى كان فى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الأول سنة ١٣٤٦ الموافق ١٧ سبتمبر سنة ١٩٢٧) وأنه إن لم يعلن أحد الفريقين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء السنوات السبع بستة أشهر ، أنه يريد إبطال المعاهدة ، تبقى نافذة ؛ ولا تعتبر باطلة إلا بعد مضى ستة أشهر من اليوم الذى يعلن فيه أحد الفريقين إبطالها للفريق الآخر .

وبالنظر لأنه جرى تبادل مذكرات بين الفريقين المتعاقدين بتاريخ ١٧ رجب سنة ١٣٥٥ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٣٦ ألغى فيها كل فريق حقه لمدة سبع سنوات شمسية فى إعطاء إنذار للفريق الآخر لمدة ستة أشهر عن رغبته فى إنهاء المعاهدة المذكورة ، كما نص على ذلك فى المادة الثامنة منها ؛ وبالنظر لأن مدة السبع السنوات المذكورة تنتهى فى ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣ الموافق ٤ شوال سنة ١٣٦٢ ؛ وبالنظر لرغبة حكومتينا فى وضع علاقاتهما على قواعد أشد ثبوتا ، فإن الحكومة العربية السعودية تقترح — من تاريخ ٤ شوال سنة ١٣٦٢ الموافق ٣ اكتوبر سنة ١٩٤٣ — اعتبار مدة سريان مفعول معاهدة جدة كما يأتى :

تعتبر معاهدة جدة المعقودة بين ملك المملكة العربية السعودية (ملك الحجاز ونجد وملحقاتها) وبين ملك بريطانيا العظمى وإيرلندا والممتلكات البريطانية من وراء البحار وإمبراطور الهند بتاريخ ١٨ ذى القعدة سنة ١٣٤٥ الموافق ٢٠ مايو سنة ١٩٢٧ نافذة المفعول من تاريخ ٤ شوال سنة ١٣٦٢ الموافق ٣

اكتوبر سنة ١٩٤٣ سبع سنوات شمسية على التوالى . وإذا لم يعلن أحد الفريقين الساميين المتعاقدين الفريق الآخر قبل انتهاء أى سابع من السنوات الشمسية المقبلة بستة أشهر رغبته فى تعديلها أو إلغائها ، فإنها تتجدد بطبيعتها سبع سنوات أخرى وهكذا »

وإنى أتشرف بأن أؤيد أن حكومة المملكة المتحدة تقبل هذا الاقتراح ، وأن هذه المذكرة مع مذكرة سعادتكم تشكلان معا اتفاقا ملزما متقابلا بين حكومتينا يكون سارى المفعول من تاريخ هذا اليوم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . (التوقيع)

استانلى روبرت جوردن

الاتفاقية الايطالية الانكليزية

وعلاقتها بالمملكة العربية السعودية

يذكر الناس الاتفاق الإيطالى الإنكليزى المعقود بين إيطاليا وإنكلترا بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ ، وبالنظر لوجود بعض النقاط فى ذلك الاتفاق تتعلق بهذه المملكة العربية السعودية ومملكة اليمن ، وبعد دراسة حكومتنا لذلك الاتفاق رأت أن مصلحتها تقضى عليها بأن تبعث لكل من الحكومتين الإنكليزية والإيطالية مذكرة تبين فيها وجهة نظرها فى تلك الاتفاقية . وإنا نسرد فيما يلى نص المذكرة التى بعثتها وزارة الخارجية إلى الحكومتين ، وجواب الحكومتين على ذلك فيما يلى :

— ١ —

الرقم ١٠ / ١٣ / ٨٤
التاريخ ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٥٧
الموافق ٥ يناير سنة ١٩٣٩

حضرة صاحب السعادة المندوب فوق العادة والوزير المفوض للحكومة البريطانية المحترم . . . . . جدة .

حضرة صاحب السعادة المندوب فوق العادة والوزير المفوض للحكومة الايطالية المحترم . . . . . جدة .

أتشرف باخبار سعادتكم أن حكومة جلالة الملك ما برحت منذ أن عرفت

بالشروط التى احتوى عليها الاتفاق الإنكليزى الإيطالى الموقع عليه فى تاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ تدرس نصوصه بدقة وعناية تامة ، لأنه شمل على نقاط تتعلق بها وبجارتها العربية اليمن ، وقد تأنت كثيراً فى دراستها وتدبرت ما يمكن أن ينطوى عليه الاتفاق المذكور ، فوصلت بالدرس العميق المتواصل إلى أنه لابد لها من تقديم المذكرة الحالية لصديقتيها الحكومتين البريطانية والايطالية لبيان رأيها وموقفها القطعى من ذلك الاتفاق .

إن حكومة جلالة الملك لا تعتبر نفسها مقيدة بأى اتفاق لا تكون فريقا فيه ؛ ولذلك فإنها لا تعترف ولا تستطيع أن تعترف بأى قيد أو شرط يحدد من حريتها ، أو بأى وجه كان يمسها فى الاتفاق الإنكليزى الإيطالى الموقع عليه فى ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ أو أى اتفاق آخر ، وتحتفظ لنفسها بكل أنواع التحفظات بما يتعلق بذلك .

وحكومة جلالة الملك لا تستطيع أيضا أن تتقيد إلا بالمعاهدة المعقودة بينها وبين كل من الدولتين البريطانية والايطالية ، ولا تقبل أن يكون حاكما على علاقاتها بهما إلا ما هو معترف به بين الدول المستقلة بموجب أحكام القوانين الدولية ، أو بموجب المعاهدات المعقودة بينها وبينهما .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام .

(التوقيع)

فيصل

وزير الخارجية

— ٢ —

وقد ورد جواب حكومة إيطاليا على لسان وزيرها المفوض فى جدة كما يأتى :

— رقم ٨ / ١ / ١٨ ، تاريخ ١١ مارس سنة ١٩٣٩ .

تتشرف مفوضية صاحب الجلالة ملك إيطاليا وامبراطور الحبشة بتقديم فائق احترامها إلى حكومة المملكة العربية السعودية ، وتعلمها باستلامها لمذكرة الخارجية رقم ١٠ / ١٣ / ٨٤ المؤرخة فى ١٥ ذى القعدة سنة ١٣٥٧ الموافق ٥ يناير سنة ١٩٣٩ . وإن هذه المفوضية بناء على التعليمات التى تلقتها من وزارة الخارجية الملكية توضح للحكومة العربية السعودية : —

بأن حكومة إيطاليا توافق على ما ذكرته وزارة الخارجية العربيه السعودية فى مذكرتها المشار إليها أعلاه بأن العلاقات التى ترتبط بها إيطاليا مع المملكة العربية السعودية هى طبقا لقواعد القوانين والمعاملة الدولية ، وطبقا للمعاهدة والاتفاق المعقودين والمعمول بهما بين إيطاليا والحكومة العربية السعودية .

كما أن الحكومة الإيطالية تقرر أنه بالنظر لأن الاتفاق الايطالى الانجليزى هو موقع بين الدولتين الايطالية والانكليزية فقط بتاريخ ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ ، فإنه لا يضع أى إلزام على الحكومة العربية السعودية ؛ وإنما هو مقيد للدولتين الموقعتين فقط .

(ختم المفوضية الملكية الايطالية بجدة)

— ٣ —

وفيما يلى نص الجواب الذى ورد من الحكومة البريطانية بواسطة وزيرها المفوض ومندوبها فوق العادة بجدة .

الرقم ٥٨ (٦٤٥ / ٧٢١ / ١٤)

التاريخ ٢٢ مارس سنة ١٩٣٩

حضرة صاحب السعادة نائب وزير الخارجية بمكة . . . . . المحترم .

بناء على تعليمات من وزير خارجية صاحب الجلالة البريطانية أتشرف بأن أفيد باستلام المذكرة التى تفضل صاحب السمو الملكى وزير الخارجية بإرسالها لى فى ٥ يناير سنة ١٩٣٩ فى موضوع الاتفاقية الإنكليزية الإيطالية المؤرخة ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ بخصوص بعض المناطق فى الشرق الأوسط ، وبأن أجيب بما يأتى :

إن الاتفاقية الموقعة فى ١٦ أبريل سنة ١٩٣٨ هى اتفاقية بين المملكة المتحدة وإيطاليا فقط . وعلى ذلك فإنها تفرض التزامات على المملكة المتحدة وإيطاليا فقط ، ولا تفرض بأى حال التزامات على دولة ثالثة كالبلاد العربية السعودية مثلا ، علاوة على ذلك ، فإن حكومة صاحب الجلالة بالمملكة المتحدة توافق بأن صلاتها مع الحكومة العربية السعودية ليست مقيدة إلا فقط بموجب أحكام القانون الدولى ، والعرف والمعاهدات ، والاتفاقية السارية فيما بين المملكة المتحدة والبلاد العربية السعودية .

هذا وتفضلوا ياصاحب السعادة بقبول فائق التحية وعظيم الاحترام .

(التوقيع)

ريدر وليم بولارد

اتفاقية موقتة

بين

المملكة العربية السعودية والولايات المتحدة الأمريكية

بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى ، والصيانة القضائية ،

والتجارة والملاحة

الموقعان أدناه : الشيخ حافظ وهبة وزير المملكة العربية السعودية بلندن ، والأونارابل روبرت وورث بنجهام السفير المفوض فوق العادة للولايات المتحدة الأمريكية بلندن ، رغبة منهما فى تأكيد وتسجيل التفاهم الذى وصلا إليه فى أثناء المحادثات التى جرت بينهما حديثاً — كل بالنيابة عن حكومته — بخصوص التمثيل السياسى والقنصلى ، والصيانة القضائيـة ، والتجارة والملاحة ، قد وقعا هذه الاتفاقية المؤقتة :

المادة الأولى — يتمتع الممثلون السياسيون لكل من الدولتين حينما يكونون فى ممتلكات الدولة الأخرى بالامتيازات والحصانات المستمدة من القانون الدولى المعترف به بصورة عامة ؛ ويسمح للممثلين القنصليين لكل من الدولتين ، بعد اعتماد براءتهم القنصلية ، بالإقامة فى ممتلكات الدولة الأخرى فى الأماكن المسموح بالإقامة فيها للممثلين القنصليين بموجب القوانين المحليـة ، ويتمتعون بامتيازات الشرف والحصانات التى تمنح لأمثال هؤلاء الموظفين بحسب العرف

الدولى العام ، ولا يعاملون بصورة أقل رعاية مما يعامل به أمثالهم من موظفى أى دولة أجنبية أخرى .

المادة الثانية — يقبل رعايا صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية ويعاملون فى الولايات المتحدة الأمريكية وممتلكاتها ومستعمراتها ، ويقبل رعايا الولايات المتحدة الأميركية وممتلكاتها ومستعمراتها فى المملكة العربية السعودية ويعاملون حسب مقتضيات وعادات القانون الدولى المعترف به بصورة عامة ، ويتمتعون فيما يتعلق بأشخاصهم وممتلكاتهم وحقوقهم بأكبر قسط من حماية قوانين وسلطات الدولة ، ولا يعاملون فيما يتعلق بأشخاصهم وممتلكاتهم وحقوقهم ومصالحهم بصورة أقل رعاية مما يعامل به رعايا أى دولة أجنبية أخرى .

المادة الثالثة — فيما يخص الضرائب على الواردات والصادرات وغير ذلك من الضرائب والرسوم التى لها مساس بالتجارة والملاحة ، وكذلك فيما يخص المرور والتخزين والتسهيلات الأخرى تولى المملكة العربية السعودية للولايات المتحدة الأمريكية وممتلكاتها ومستعمراتها ، وتولى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية وممتلكاتها ومستعمراتها للمملكة العربية السعودية ، بلا قيد ولا شرط ، معاملة الدولة الأولى بالرعاية .

وكل إعفاء — فيما يختص بأى ضريبة أو رسوم أو نظام له مساس بالتجارة أو الملاحة — تسمح به الآن أو ستسمح به فى المستقبل المملكة العربية السعودية ،

أو الولايات المتحدة الأميريكية وممتلكاتها ومستعمراتها لأى دولة أجنبية ، يكون فى الوقت نفسه ساريا من غير طلب ومن غير تعويض على تجارة وملاحة المملكة العربية السعودية فى الحالة الأولى ، وعلى تجارة وملاحة الولايات المتحدة الأميريكية وممتلكاتها ومستعمراتها فى الحالة الثانية .

المادة الرابعة — لا تتناول شروط هذه الاتفاقية المعاملة ، التى توليها الولايات المتحدة الأميريكية لتجارة كوبا حسب نص الاتفاق التجارى المعقود بينهما فى ١١ ديسمبر سنة ١٩٠٢ ، أو المعاملة التى توليها إياها حسب نص أى اتفاق تجارى يوضع فى المستقبل بين الولايات المتحدة الأميريكية وكوبا . وكذلك لا تتناول شروط هذه الاتفاقية المعاملة التى يسمح بها للتجارة بين الولايات المتحدة الأميريكية ومنطقة قنال بناما ، أو بينها وبين أى ملحق من ملحقاتها ، كما أنها لا تتناول المعاملة التى يسمح بها للتجارة بين ملحقات الولايات المتحدة الأميريكية فيما بينها حسب القوانين الحالية أو المستقبلة .

وكذلك لا يؤول أى شىء فى هذه الاتفاقية بحيث تحدد سلطة إحدى الحكومتين فى أن ترفض بأى شكل تراه صالحا أى حظر أو تحديد من الوجهة الصحية لوقاية الحياة الآدمية أو الحيوانية أو النباتية أو أن تصدر الأوامر والتعليمات لتنفيذ قوانين البوليس وقوانين الضرائب ، ولا يؤول أى شىء فى هذه الاتفاقية بحيث يمس القوانين الموجودة فى إحدى الدولتين بخصوص مهاجرة الأجانب ، أو بحيث يمس حق الدولتين فى إصدار مثل هذه القوانين .

المادة الخامسة — تصبح شروط هـذه الاتفاقية نافذة اعتباراً من يوم توقيعها، وتظل نافذة إلى أن توضع معاهدة نهائية للتجارة والملاحة موضع التنفيذ، أو إلى أن تمضى ثلاثون يوما على إنذار إحدى الحكومتين بانتهاء مدة هذه الاتفاقية. ولكن إذا منعت حكومة الولايات المتحدة الأميركية فى المستقبل من تنفيذ شروط هـذه الاتفاقية بواسطة مجلسها، فإنها تسقط عنها تبعاتها من ذلك الحين.

المادة السادسة — للنصين الانجليزى والعربى من هذه الاتفاقية قيمة رسمية متساوية.

أمضيت بلنـدن فى اليوم التاسع عشر من شهر رجب سنة ألف وثلاثمائة واثنين وخمسين هجرية الموافق السابع من شهر نوفمبر سـنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين ميلادية.

(محل الختم)	(التوقيع)	(التوقيع)
(محل الختم)	حافظ وهبه	روبرت ورث بنجرهام

معاهدة صداقة

بين

المملكة العربية السعودية والمملكة المصرية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى ألف بين قلوب المسلمين وجعلهم بنعمته إخوانا ، والصلاة والسلام على نبينا محمد — صلى الله عليه وسلم — رسول الهدى والحق ، وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد فنحن عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود ملك المملكة العربية السعودية.

نظراً لأنه قد عقدت معاهدة صداقة بيننا وبين مجلس وزراء المملكة المصرية ، متولياً حقوق جلالة ملك مصر الدستورية ، لتثبيت العلاقات الودية بين البلادين وتقويتها ، ووقعها مندوبا الطرفين المفوضين على الأصول ، والحائزان للصلاحية التامة المتقابلة ؛ وذلك فى مدينة القاهرة فى اليوم السادس عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٥ الموافق لليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٣٦ . وهى مدرجة فيما يلى :

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية ، ومجلس وزراء المملكة المصرية ، متولياً حقوق جلالة ملك مصر الدستورية .

نظراً لما لدى المملكتين العربية السعودية والمصرية من خالص الرغبة فى توثيق عرى الصداقة بينهما ، قد اتفقا على عقد معاهدة تثبت فيها قواعد علاقاتهما الودية ، وعينا لهذا الغرض مندوبيهما المفوضين .

من لدن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية :

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك وكيل وزارة الخارجية .

ومن لدن مجلس وزراء المملكة المصرية :

حضرة صاحب الدولة على ماهر باشا رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية .

اللذين بعد أن تبادلا وثائق تفويضهما وتبينا صحتها ومطابقتها للأصول المرعية اتفقا على الأحكام الآتية :

المادة الأولى — تعترف الحكومة المصرية بأن المملكة العربية السعودية دولة حرة ذات سيادة مستقلة استقلالا تاماً مطلقا .

المادة الثانية — يكون بين المملكة المصرية والمملكة العربية السعودية وبين رعاياهما سلام دائم وصداقة خالصة .

ويتعهد كل من الطرفين المتعاقدين بأن يحافظ على حسن العلاقات مع الطرف الآخر ، وأن يسعى بكل ماليديه من الوسائل لمنع استعمال بلاده قاعدة للأعمال غير المشروعة الموجهة ضد السلم والسكينة فى بلاد الطرف الآخر .

المادة الثالثة ـ تنشأ بين المملكتين المصرية والسعودية علاقات التمثيل السياسى والقنصلى ، ويعامل الممثلون السياسيون والقنصليون الذين يعتمدهم أحد الطرفين المتعاقدين أو يعينهم لدى الطرف الآخر وفقاً للأصول المرعية فى القانون الدولى العام ، على أن يكون ذلك على أساس التبادل

المادة الرابعة ـ يتعهد صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية بتسهيل أداء فريضة الحج وإقامة الشعائر الدينية الإسلامية للمسلمين من الرعايا المصريين ، ويعلن أنهم يتمتعون أثناء إقامتهم فى الحجاز بالأمن على أموالهم وأنفسهم، وبالحرية الشخصية فى الحدود الشرعية ؛ وعلى العموم بالمعاملة والحقوق الممنوحة أو المعترف بها لرعايا أولى الأمم بالتفضيل .

المادة الخامسة ـ عملا بالتضامن والتعاون الإسلامى يوافق صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية على تمكين الحكومة المصرية ـ إذا رأت من مصلحة الحجاج وزوار المدينة التطوع لعمارة الحرمين الشريفين ، أو إصلاح المرافق المتصلة بهما ـ من تلك العمارة وذلك الإصلاح ؛ كما يوافق على عمل كل التسهيلات اللازمة لقيام الحكومة المصرية بهما .

وتشمل المرافق المشار إليها تعبيد الطرق التى يسلكها الحجاج أو الزوار ،

وإضاءة الحرمين وما حولهما ، وتوفير مياه الشرب ، وغير ذلك من الأعمال والمنشئات التى ترمى إلى توفير راحة الحجاج والزوار ، أو المحافظة على صحتهم .

وتتفق الحكومتان مقدماً على التصميات الخاصة بالأعمال المشار إليها .

المادة السادسة — يتعهد الطرفان المتعاقدان بأن يقوما فى أقرب فرصة ممكنة ، بعد توقيع هذه المعاهدة ، بمفاوضات ودية لحل المسائل المعلقة بينهما ، ولعقد اتفاقات جمركية ، وبريدية ، وملاحية ، وغير ذلك من الشؤون التى تهم بلاديهما .

المادة السابعة — حررت هذه المعاهدة من أصلين باللغة العربية . ويجرى ابرامها والتصديق عليها من الطرفين المتعاقدين فى أقرب وقت ممكن ، ولا تصبح نافذة إلا من تاريخ تبادل وثائق التصديق الذى يكون فى القاهرة .

عمل بالقاهرة فى ١٦ صفر سنة ١٣٥٥ (٧ مايو سنة ١٩٣٦) .

(التوقيع) على ماهر

(التوقيع) فؤاد حمزة

فبعد أن اطلعنا على هذه المعاهدة السالفة الذكر ، وأمعنا النظر فيها صدقناها ، وقبلناها ، وأقررناها جملة فى مجموعها ، ومفردة فى كل مادة وفقرة منها ، كما أننا نصدقها ، ونقبلها ، ونثبتها ، ونبرمها ، ونتعهد ونعد وعداً

ملوكيا صادقا بأننا سنقوم بحول الله بما ورد فيها ونلاحظه بكمال الأمانة والإخلاص ، وبأننا لن نسمح بمشيئة الله بالإخلال بها بأى وجه كان ، طالما نحن قادرون على ذلك .

وزيادة فى تثبيت صحة ما ذكر أمرنا بوضع خاتمنا على هذه الوثيقة ووقعناها بيدنا ، والله خير الشاهدين .

حرر فى الخامس والعشرين من شهر صفر سنة خمس وخمسين بعد الثلاثمائة والألف هجرية الموافق لليوم السابع عشر من شهر مايو سنة ست وثلاثين بعد التسعمائة والألف ميلادية .

ملاحظة :

وقد ألحقت بهذه المعاهدة بعض المذكرات المتبادلة بين المندوبين تتعلق بتسوية بعض المسائل المعلقة بين حكومتيهم ، ندرجها فيما يلى :

الكتب المتبادلة

— ١ —

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية

بمناسبة ما أعربتم عنه دولتكم من رغبة الحكومة المصرية فى الوقوف قبل دخول موسم الحج على مقدار الرسوم والعوائد والتكاليف التى تقرر على الحجاج فى كل عام أتشرف بأن أحيط دولتكم علماً بأن السلطات المختصة فى حكومة المملكة العربية السعودية تضع تعريفة مفصلة للعوائد والرسوم والتكاليف المقررة ، وتعلنها قبل موسم الحج من كل عام . ويسر حكومة جلالة الملك أن تبلغها إلى الحكومة المصرية عقب صدورها ، لكى تعلنها فى الوقت المناسب على الراغبين فى الحج من رعاياها .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦) .

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

فؤاد حمزة

— ٢ —

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

من أكبر دواعى السرور لدى أن أبلغ سعادتكم أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر تعتزم استئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة منذ الموسم القادم . وسيقوم المحمل المرافق لهذه الكسوة من القاهرة فى الوقت الذى كان معتاداً أن يقوم فيه . وعند وصولها إلى جدة يستقر المحمل فيها ، وتوجه الكسوة إلى مكة ، حيث توضع على الكعبة بالاحتفال اللائق بكرامة المكان ، ومقام الجالس على عرش الحجاز . وسيطرز على الكسوة إشارة إلى أنها « أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية » .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام ؟

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦) .

رئيس مجلس الوزراء

مصطفى النحاس

— ٣ —

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا

رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية

أتشرف بأن أبلغ دولتكم أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية أحاطت علماً بعزم حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر استئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة منذ الموسم القادم ، وأن الكسوة سيطرز عليها إشارة إلى أنها « أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية » .

ويسرنى أن أعرب لدولتكم عن شكر حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية لحكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر على جميل نياتها نحو الأراضى المقدسة ، وعلى موافقتها على نزول المحمل بجدة واستقراره فيها . وستقابل الهيئة المكلفة بنقل الكسوة بأكبر الحفاوة فى جدة ، كما أن الكسوة ستستقبل فى مكة أكرم استقبال وتوضع فى مقرها بالاحتفال اللائق بمقام صاحب الهدية .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام ؟

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦) .

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

فؤاد حمزة

— ٤ —

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك

وكيل خارجية المملكة العربية السعودية

يسرنى أن أبلغ سعادتكم أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر تعتزم اتخاذ التدابير اللازمة لإعادة صرف الصدقات لفقراء الحجاز ، ولاستئناف صرف فاضل غلة أوقاف الحرمين الشريفين فى الأراضى المقدسة ، وذلك ابتداء من موسم الحج القادم .

وستعين الحكومة المصرية من يتولى الإشراف على صرف الصدقات التى ترسلها . وهى تعتزم أن تنفق من الأموال التى كانت تخصصها للصدقات ، ومن فاضل غلة الأوقاف المذكورة فى حدود القواعد الشرعية لعمارة الحرمين الشريفين ، ولإصلاح المرافق المتصلة بهما .

وستبلغ الحكومة المصرية إلى الحكومة السعودية ما تضعه من البرامج لأعمال العمارة والإصلاح فى حينه ، تمهيداً لاتفاق الحكومتين على التصميمات الخاصة بتلك الأعمال .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام ؟

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦) .

رئيس مجلس الوزراء

مصطفى النحاس

— ٥ —

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا .

رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية

تلقت الحكومة السعودية مع السرور تبليغ دولتكم ، الذى تذكرون فيه أن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك مصر تعتزم اتخاذ التدابير اللازمة لإعادة صرف الصدقات لفقراء الحجاز ، ولاستئناف صرف فاضل غلة أوقاف الحرمين الشريفين فى الأراضى المقدسة ، وذلك ابتداء من موسم الحج القادم ؛ وأنها تعتزم أن تنفق من الأموال التى كانت تخصصها للصدقات ، ومن فاضل غلة الأوقاف المذكورة فى حدود القواعد الشرعية لعمارة الحرمين الشريفين وإصلاح المرافق المتصلة بهما .

وإن حكومة حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية لترحب خالص الترحيب بتنفيذ مشروعات العمارة والإصلاح التى تنوى الحكومة المصرية القيام بها ، ويسرها أن تبلغ دولتكم أن صرف الصدقات سيجرى بإشراف من تعينه الحكومة المصرية لهذا الغرض .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦)

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

فؤاد حمزة

— ٦ —

حضرة صاحب السعادة فؤاد حمزة بك

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

أتشرف بأن أثبت فيما يلى القواعد التى اتفق عليها فى شأن جنسية المصريين الذين كانوا مقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية فى وقت صدور نظام التابعية الحجازية ، وجنسية العرب السعوديين الذين كانوا مقيمين بأراضى المملكة المصرية فى وقت صدور قانون الجنسية المصرية .

يمنح لكل من الفريقين المتقدم ذكرهما مهلة قدرها ستة أشهر لاختيار الجنسية المصرية أو العربية السعودية . ويجرى الاتفاق على الكشوف النهائية المتضمنة أسماء المصريين فى المملكة العربية السعودية ، والعرب السعوديين فى المملكة المصرية فى خلال الثلاثة الأشهر التالية للمهلة المشار إليها .

ولن يترتب على اختيار أحد المقيمين فى بلد لجنسية البلد الآخر أى مساس بحقه فى البقاء أو الاستقرار فى أراضى البلد الذى يقيم فيه .

وغنى عن البيان أن المصريين أو العرب السعوديين الذين هبطوا أراضى البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة به باقون على جنسيتهم الأصلية .

وتفضلوا سعادتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦)

رئيس مجلس الوزراء

مصطفى النحاس

حضرة صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا .

رئيس مجلس الوزراء بالمملكة المصرية

تلقيت كتاب دولتكم الخاص بالقواعد التى اتفق عليها فى شأن جنسية المصريين الذين كانوا مقيمين بأراضى المملكة العربية السعودية فى وقت صدور نظام التابعية الحجازية ، وجنسية العرب السعوديين الذين كانوا مقيمين بأراضى المملكة المصرية فى وقت صدور قانون الجنسية المصرية .

وأتشرف بالإعراب عن الموافقة عليها وهى كما يأتى :

يمنح لكل من الفريقين المتقدم ذكرهما مهلة قدرها ستة أشهر لاختيار الجنسية المصرية أو العربية السعودية ، ويجرى الاتفاق على الكشوف النهائية المتضمنة أسماء المصريين فى المملكة العربية السعوديه ، والعرب السعوديين فى المملكة المصرية فى خلال الثلاثه الأشهر التالية للمهلة المشار إليها .

ولن يترتب على اختيار أحد المقيمين فى بلد لجنسية البلد الآخر أى مساس بحقه فى البقاء أو الاستقرار فى أراضى البلد الذى يقيم فيه .

وغنى عن البيان أن المصريين أو العرب السعوديين الذين هبطوا أراضى البلد الآخر منذ صدور قانون الجنسية الخاصة به باقون على جنسيتهم الأصلية .

وتفضلوا دولتكم بقبول فائق الاحترام .

القاهرة فى ٤ رمضان سنة ١٣٥٥ (١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦) .

وكيل وزارة خارجية المملكة العربية السعودية

فؤاد حمزة

ملاحظة :

وقد عدلت المذكرة الثانية والثالثة بالمذكرتين الآتيتين .

— ١ —

الرقم : ٤٣٧ ملف ٣ / ٢ / ١
التاريخ : ١٩ رجب ١٣٦٠
الموافق ١٢ أغسطس ١٩٤١

حضرة صاحب السمو الملكى وزير خارجية المملكة العربية السعودية .

أتشرف بإحاطة سموكم الملكى علما أنه قد أشير فى الكتاب المؤرخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ ، الموجه من رياسة مجلس وزراء حكومتى إلى وزارة خارجية المملكة العربية السعودية ، إلى أن الحكومة الملكية المصرية تعتزم استئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة ، وأنه سيطرز عليها إشارة إلى أنها « أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية » .

وقد جرت العادة منذ ذلك الحين على وضع العبارة الآتية على الكسوة « صنعت هذه الكسوة بأمر حضرة صاحب الجلالة ملك مصر ، وأهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية » .

ولقد رأى حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم تواضعاً لله وتعظيماً للبيت المطهر أن يكتب اسمه الكريم على ستر الكعبة المشرفة مجرداً عن ألقاب التعظيم ، فتحل محل العبارة المتقدمة الذكر الصيغة الآتية « صنعت هذه الكسوة بأمر المتوكل على الله فاروق الأول ملك مصر ، وأهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد خادم الحرمين الشريفين عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية » .

فبالإشارة إلى المكاتبات المتبادلة بيننا فى هذا الشأن ، والتى جاء بها أن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية قد وافق على هذا التعديل بكل سرور وارتياح ، أتشرف بأن أرجو من سموكم الملكى التفضل بتأييد ما تقدم .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لسموكم الملكى أسمى عبارات الاجلال والاحترام .

القائم بالأعمال بالنيابة

(التوقيع)

محمد سامى

— ٢ —

الرقم : ٩ / ٥ / ٢١
تاريخ : ٢٤ رجب ١٣٦٠
الموافق ١٧ أغسطس ١٩٤١

حضرة القائم بالأعمال بالنيابة .

أتشرف بإحاطة حضرتكم علما بأنى قد تلقيت كتابكم رقم ٤٣٧ (٣ / ٢ / ١) تاريخ ١٩ رجب ١٣٦٠ (١٢ أغسطس ١٩٤١) الآتى نصه :

(حضرة صاحب السمو الملكى وزير خارجية المملكة العربية السعودية .

أتشرف بإحاطة سموكم الملكى علماً أنه قد أشير فى الكتاب المؤرخ ١٨ نوفمبر سنة ١٩٣٦ الموجه من رئاسة مجلس وزراء حكومتى إلى وزارة خارجية المملكة العربية السعودية ، إلى أن الحكومة الملكية المصرية تعتزم استئناف إرسال الكسوة الخاصة بالكعبة المشرفة ، وأنه سيطرز عليها إشارة إلى أنها « أهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية »

وقد جرت العادة منذ ذلك الحين على وضع العبارة الآتية على الكسوة « صنعت هذه الكسوة بأمر حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول ملك مصر ، وأهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية .

ولقد رأى حضرة صاحب الجلالة مولاى الملك المعظم تواضعاً لله وتعظيما للبيت المطهر أن يكتب اسمه الكريم على ستر الكعبة المشرفة مجرداً عن ألقاب التعظيم ، فتحل محل العبارة المتقدمة الذكر الصيغة الآتية :

« صنعت هذه الكسوة بأمر المتوكل على الله فاروق الأول ملك مصر وأهديت إلى الكعبة المشرفة فى عهد خادم الحرمين الشريفين عبد العزيز آل سعود ملك المملكة العربية السعودية »

فبالإشارة إلى المكاتبات المتبادلة بيننا فى هذا الشأن ، والتى جاء بها أن حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية قد وافق على هذا التعديل بكل سرور وارتياح ، أتشرف بأن أرجو من سموكم الملكى التفضل بتأييد ماتقدم .

وأنتهز هذه الفرصة لأجدد لسموكم الملكى أسمى عبارات الإجلال والاحترام) .

وجوابا على ذلك أبادر بأن أؤيد لحضرتكم ماتضمنه الكتاب المذكور أعلاه .

وتقبلوا فائق التحية (التوقيع)

فيصل

وزير الخارجية

حضرة القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية بالنيابة المحترم . . . . جدة .

الاتفاقية المعقودة

بين

الحكومة العربية السعودية ، وبين الحكومة المصرية

بشأن المشاريع العمرانية فى البلاد المقدسة

المرسوم الملكى الكريم

الصادر بشأن إصلاح الطريق بين جدة ، ومكة ، وعرفات ، وبعض طريق المدينة .

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل إلى جناب المكرم نائبنا فى الحجاز الابن فيصل ، سلمه الله تعالى !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

بعد الاتكال على الله ، وبناء على الاتفاق الذى تم بين حكومتنا والحكومة المصرية ، والموقع من قبلكم ومن قبل حضرة القائم بأعمال المفوضية المصرية بالنيابة بجدة بتاريخ ٢١ شعبان سنة ١٣٥٨ الموافق ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩ من أجل بعض المشاريع الخيرية فى الحجاز ؛ وبالنظر لأن حكومتنا قررت المساهمة فى إصلاح طريق جدة وعرفات وبعض الأماكن بطريق المدينة

ومكة ، وأن المقرر لإصلاح هذه الطرق هو مائة وخمسة وأربعون ألف جنيه مصرى ، ستدفعها حكومتنا مقسطة إلى الحكومة المصرية ، لأنها هى التى ستباشر عقد المقاولات والإشراف على إصلاح الطريق ، نأمر بما هو آت .

أولا — يعتمد صرف ستين ألف جنيه مصرى للحكومة المصرية حين طلبها للمباشرة فى إصلاح الطرق ، وذلك مقابل الأقساط المقررة عن سنة ١٣٥٥ وسنة ١٣٥٦ وسنة ١٣٥٧ باعتبار كل قسط عشرين ألف جنيه مصرى .

ثانياً — يدفع للحكومة المصرية فى آخر كل سنة هجرية بعد سنة ١٣٥٧ عشرون ألف جنيه مصرى ، إلى أن يتم تسديد مبلغ المائة والخمسة والأربعين ألف جنيه مصرى المقررة لتعبيد وإصلاح الطرق المذكورة .

ثالثاً — يبلغ أمرنا هذا إلى وزارة المالية لاعتماد إنفاذه . ونسأل الله لكم التوفيق .

حرر فى قصرنا بالرياض فى اليوم الرابع والعشرين من شهر شعبان المعظم لسنة ثمانية وخمسين بعد الألف والثلاثمائة هجرية ، الموافق لليوم الثامن من شهر اكتوبر لسنة تسعة وثلاثين بعد الألف والتسعمائة ميلادية .

عبد العزيز

بلاغ رسمى رقم (٤٧)

بالنظر لما تم عليه الاتفاق بين حكومة حضرة صاحب الجلالة الملك المعظم وبين الحكومة المصرية بشأن التعاون بينهما على القيام ببعض المشاريع العمرانية فى هذه البلاد المقدسة ، فإننا ننشر فيما يلى المذكرات المتبادلة بهذا الخصوص ، التى تمت الموافقة عليها بين الطرفين ، وتبودلت بالفعل بين حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل المعظم وزير الخارجية ، وبين حضرة أحمد بهجت بك نائب القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية بجدة .

المذكرة الأولى

الرقم ٤٣ : ٣/٣

٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩ (٢١ شعبان سنة ١٣٥٨)

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية .

بالنظر لما جاء فى المادة الخامسة من معاهدة الصداقة المعقودة بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة العربية السعودية فى اليوم السادس عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٥ الموافق لليوم السابع من شهر مايو سنة ١٩٣٦ ؛ وبالنظر لرغبة الحكومة المصرية فى التعاون مع حكومة المملكة العربية السعودية على القيام ببعض المشاريع الإصلاحية فى البلاد المقدسة الحجازية ؛ وبالنظر للمراسلات التى تبودلت بين الحكومتين ، والمحادثات التى جرت بين حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك وزير مصر المفوض السابق ، وبين مندوبى الحكومة العربية السعودية ، أتشرف بأن أثبت فيما يلى المواد التى تم الاتفاق عليها نتيجة لتلك المراسلات والأبحاث وهى :

١ — تقوم الحكومة المصرية بمشروع تعبيد الطرق بين جدة وعرفات وبتعبيد المحلات الخطرة فى طريق المدينة — مكة ، حسبما هو مذكور فى التصميمات المرسلة لوزارة الخارجية العربية السعودية ، ملحقاً بمذكرة المفوضية

المصرية برقم ٤٥ تاريخ ٢٥ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧ الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٨ وكذلك تقوم الحكومة المصرية بمشروع الماء والكهرباء فى مكة المكرمة ، حسبما شرح فى التصميمات الملحقة بالمذكرة المشار إليها .

٢ — إن المبلغ المقرر لتعبيد طريق جدة ـ عرفات ، وإصلاح الأماكن الخطرة فى طريق المدينة ـ مكة ، هو مائة وخمسة وأربعون ألف جنيه مصرى وذلك هو التقدير الابتدائى ، وستبلغ حكومة جلالة الملك الحكومة العربية السعودية بقيمة هذه التكاليف الفعلية بمجرد إتمام تنفيذ الأعمال .

٣ — إن المبلغ المقدر لعملية الماء والكهرباء هو مائة ألف جنيه مصرى فى الوقت الحاضر .

٤ — توافق الحكومة العربية السعودية على دفع النفقات اللازمة لتعبيد الطرق والمقدرة بمبلغ مائة وخمسة وأربعين ألف جنيه مصرى ، وذلك على الطريقة الآتية :

(ا) يدفع المبلغ المتجمع عن ثلاث سنين اعتباراً من سنة ١٣٥٥ هجرية ، وهو المقرر دفعه لهذا المشروع باعتبار عشرين ألف جنيه مصرى لكل سنة .

(ب) تتعهد حكومة المملكة العربية السعودية بأن تدفع فى كل سنة مقبلة عشرين ألف جنيه مصرى ، إلى أن يتم تسديد مبلغ المائة والخمسة والأربعين ألف جنيه مصرى المقررة لمشروع الطرق .

٥ — توافق الحكومة المصرية على أن تدفع النفقات اللازمة لعملية الماء والكهرباء فى مكة، والمقدرة بمبلغ مائة ألف جنيه مصرى، وذلك على الطريقة الآتية:

(ا) يدفع من الأموال المخصصة فى ميزانية الحكومة المصرية للحج، ومن فاضل غلة أوقاف الحرمين الشريفين وذلك على أقساط سنوية اعتباراً من عام ١٣٥٥ . على أن يكون المبلغ الذى يجرى تسديده عن ذلك العام هو ستة عشر ألف جنيه ومائة واثنان وثلاثون جنيها مصريا وستمائة مليم .

(ب) تكون الأقساط السنوية الأخرى عن عام ١٣٥٦ والسنوات التى تليها باعتبار عشرين ألف جنيه مصرى ، إلى أن يتم استهلاك المطلوب لمشروع الماء والكهرباء .

٦ — تقرض الحكومة المصرية قرضاً حسناً المبالغ اللازمة للمشروعات المذكورة بعد استقطاع المبالغ المتجمعة حتى الآن من احتياطيها العام .

٧ — بالنظر لأن الحكومة المصرية هى التى ستتولى القيام بالعقود والمقاولات اللازمة من أجل هذه المشاريع ، وهى التى ستباشر إنفاذ تلك المشاريع بواسطة مهندسيها الفنيين ، وبالنظر لأن المقاولين سيكونون مسؤولين عن إنفاذ تعهداتهم إزاءها ، وذلك بناء على موافقة حكومة المملكة العربية السعودية، فإن الحكومة المصرية تتعهد للمملكة العربية السعودية بأنها ستكون مسئولة عن إنجاز مشروع الطرق والمياه والكهرباء على أحسن وجه وأكمله بحيث تتحمل إزاء المملكة العربية المسئولية التى يتعهد بها المقاولون إزاء الحكومة المصرية .

٨ — تنتدب الحكومة العربية السعودية من تراه من قبلها سواء

من أعضاء لجنة الصدقات العليا أو غيرها ليكون الواسطة بين الموظفين المصريين والجهات المختصة فى المملكة العربية السعودية ، لتسهيل مهمة الذين سيقومون بإنفاذ هذا المشروع حسبما نص عليه فى مواد هذا الكتاب .

٩ — لاتستخدم الحكومة المصرية فى هذه المشاريع عمالا أو موظفين من الخارج إذا كان فى بلاد المملكة العربية السعودية من يقوم مقامهم فى ذلك العمل ، كما أنها لاتستخدم فى المشروع من الخارج أشخاصاً غير مرغوب فى دخولهم للمملكة العربية السعودية لأسباب دينية ، أو سياسية ، ولذلك فهى تحيط الحكومة العربية السعودية علما بأسماء الأشخاص الفنيين الذين لايوجد فى المملكة العربية السعودية من يقوم مقامهم فى العمل .

١٠ — إن حكومة المملكة العربية السعودية هى التى تملك الحق الكامل للفصل فى سائر القضايا التى تقع فى بلادها بين الموظفين والعمال ، ويطبق فى ذلك نظام العمال وسائر النظم الأخرى الجارية فى البلاد فى جميع الحوادث التى قد تقع .

١١ — تسلم الحكومة المصرية للحكومة العربية السعودية الطرق بمجرد انتهائها ، كما تسلمها عملية المياه والنور بمجرد استلامها بصفة نهائية من المقاولين . وتكون المملكة العربية السعودية بعد ذلك هى وحدها المسئولة عن إدارة هذه المنشآت وصيانتها بالشكل الذى تراه . وما يتحصل من وارداتها تنفقه فى إصلاح المشاريع نفسها ، وما زاد تنفقه فى وجه البر وأعمال الخير والعمران فى الأراضى المقدسة .

١٢ — تسهيلا لقيام الحكومة العربية السعودية بصيانة الأعمال المذكورة وإدارتها ، فان البعثة الفنية المصرية المنتدبة للقيام بإنفاذ تلك المشاريع تقوم — بالاشتراك مع مندوب الحكومة العربية السعودية — باختيار عدد من المهندسين والعمال الحجازيين ، لإيفادهم إلى مصر وإلحاقهم بمحطة المياه والنور والورش الصناعية بها وتمرينهم فيها المدة الكافية التى يستطيعون بعدها تولى صيانة المشروعات وإدارتها .

١٣ — تقدم الحكومة المصرية للحجاز طبياً بكتريولوجيا لمراقبة فحص المياه وتحليلها للتأكد من صلاحيتها من الوجهة الصحية ، ويظل هذا الدكتور قائماً بعمله ، إلى أن ترى حكومة المملكة العربية السعودية الاستغناء عن خدماته .

١٤ — تعفى الحكومة العربية السعودية جميع الآلات والأدوات والمواد ، التى تورد للقيام بهذه الأعمال من دفع الرسوم الجمركية ، أو أية رسوم أخرى ، مع العلم بأنه لا يمكن بيع شىء من هذه الآلات والأدوات والمواد بدون دفع الرسوم المقررة عليها . وكذلك تعفى الموظفين والمندوبين والمقاولين ومندوبيهم وعمالهم ومندوبيهم من جميع الرسوم الحكومية مدة عملهم فى المشروع .

إن جوابى هذا وجواب سموكم بالموافقة على ماتقدم يشكل اتفاقاً بين حكومتينا يلزم الطرفين بإنفاذ مقتضاه من تاريخ وصول جواب سموكم .

وتفضلوا ياصاحب السمو الملكى بقبول أسنى الاحترام .

(التوقيع)

القائم بالأعمال بالنيابة

أحمد بهجت

جواب المذكرة الأولى

الرقم : ١٥٥ / ٣ / ١٢
التاريخ : ٢١ شعبان ١٣٥٨
الموافق : ١٥ اكتوبر ١٩٣٩

حضرة نائب القائم بالأعمال

أتشرف بأن أؤيد فيما يلى قبول الحكومة العربية السعودية ماجاء بكتاب حضرتكم رقم ٤٣ بتاريخ ٢١ شعبان سنة ١٣٥٨ / ١٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩ الآتى نصه :

بالنظر لما جاء فى المادة الخاصة من معاهدة الصداقة المعقودة بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة العربية السعودية فى اليوم السادس عشر من شهر صفر سنة ١٣٥٥ الموافق السابع من شهر مايو سنة ١٩٣٦ .

وبالنظر لرغبة الحكومة المصرية فى التعاون مع حكومة المملكة العربية على القيام ببعض المشاريع الإصلاحية فى البلاد المقدسة الحجازية ؛ وبالنظر للمراسلات التى تبودلت بين الحكومتين ، والمحادثات التى جرت بين حضرة صاحب العزة عبدالرحمن عزام بك وزير مصر المفوض السابق وبين مندوبى الحكومة العربية السعودية ، أتشرف بأن أثبت فيما يلى المواد التى تم الاتفاق عليها نتيجة لتلك المراسلات والأبحاث وهى :

١ — تقوم الحكومة المصرية بمشروع تعبيد الطرق بين جدة ـ وعرفات ، وبتعبيد المحلات الخطرة فى طريق المدينة ـ مكة ، حسبما هو مذكور فى التصميمات المرسلة لوزارة الخارجية العربية السعودية ، ملحقاً بمذكرة المفوضية المصرية برقم ٤٥ تاريخ ٢٥ جمادى الثانية ١٣٥٧ الموافق ٢١ أغسطس سنة ١٩٣٨ . وكذلك تقوم الحكومة المصرية بمشروع المياه والكهرباء فى مكة المكرمة ، حسبما شرح فى التصميمات الملحقة بالمذكرة المشار إليها .

٢ ـ إن المبلغ المقرر لتعبيد طريق جدة ـ عرفات ، وإصلاح الأماكن الخطرة فى طريق المدينة ـ مكة ، هو مائة وخمسة وأربعون ألف جنيه مصرى ؛ وذلك هو التقدير الابتدائى . وستبلغ حكومة جلالة الملك الحكومة العربية السعودية بقيمة هذه التكاليف الفعلية بمجرد إتمام تنفيذ الأعمال .

٣ ـ إن المبلغ المقدر لعملية الماء والكهرباء هو مائة ألف جنيه مصرى فى الوقت الحاضر .

٤ ـ توافق الحكومة العربية السعودية على دفع النفقات اللازمة لتعبيد الطرق المقدرة بمبلغ مائة وخمسة وأربعين ألف جنيه مصرى ، وذلك على الطريقة الآتية :

(ا) يدفع المبلغ المتجمد عن ثلاث سنين من سنة ١٣٥٥ هجرية ، وهو المقرر دفعه لهذا المشروع باعتبار عشرين ألف جنيه مصرى لكل سنة .

(ب) تتعهد حكومة المملكة العربية السعودية بأن تدفع فى كل سنة مقبلة عشرين ألف جنيه مصرى إلى أن يتم تسديد مبلغ المائة والخمسة والأربعين ألف جنيه مصرى المقررة لمشروع الطرق .

٥ — توافق الحكومة المصرية على أن تدفع النفقات اللازمة لعملية الماء والكهرباء فى مكة ، المقدرة بمبلغ مائة ألف جنيه مصرى ، وذلك على الطريقة الآتية :

(ا) يدفع من الأموال المخصصة فى ميزانية الحكومة المصرية للحج ، ومن فاضل غلة أوقاف الحرمين الشريفين ، وذلك على أقساط سنوية اعتباراً من عام ١٣٥٥ . على أن يكون المبلغ الذى يجرى تسديده عن ذلك العام هو ستة عشر ألف جنيه ومائة واثنان وثلاثون جنيها مصريا وستمائة مليم .

(ب) تكون الأقساط السنوية الأخرى من عام ١٣٥٦ والسنوات التى تليها باعتبار عشرين ألف جنيه مصرى إلى أن يتم استهلاك المطلوب لمشروع الماء والكهرباء .

٦ — تقرض الحكومة المصرية قرضا حسنا المبالغ اللازمة للمشروعات المذكورة بعد استقطاع المبالغ المتجمعة حتى الآن من احتياطيها العام .

٧ — بالنظر لأن الحكومة المصرية هى التى ستتولى القيام بالعقود والمقاولات اللازمة من أجل هذه المشاريع ، وهى التى ستباشر إنفاذ تلك المشاريع بواسطة مهندسيها الفنيين ، وبالنظر لأن المقاولين سيكونون مسئولين

عن إنفاذ تعهداتهم إزاءها ، وذلك بناء على موافقة حكومة المملكة العربية السعودية ، فإن الحكومة المصرية تتعهد للمملكة العربية السعودية بأنها ستكون مسئولة عن إنجاز مشروع الطرق والمياه والكهرباء على أحسن وجه وأكمله ، بحيث تتحمل إزاء المملكة العربية السعودية المسئولية التى يتعهد بها المقاولون إزاء الحكومة المصرية .

٨ — تنتدب الحكومة العربية السعودية من تراه من قبلها سواء من أعضاء لجنة الصدقات العليا ، أو غيرها ، ليكون الواسطة بين الموظفين المصريين والجهات المختصة فى المملكة العربية السعودية ، لتسهيل مهمة الذين سيقومون بانفاذ هذا المشروع ، حسبما نص عليه فى مواد هذا الكتاب .

٩ — لا تستخدم الحكومة المصرية فى هذه المشاريع عمالا أو موظفين من الخارج ، إذا كان فى المملكة العربية السعودية من يقوم مقامهم فى ذلك العمل . كما أنها لا تستخدم فى المشروع من الخارج أشخاصا غير مرغوب فى دخولهم للمملكة العربية السعودية لأسباب دينية ، أو سياسية . ولذلك فهى تحيط الحكومة العربية السعودية علماً بأسماء الأشخاص الفنيين الذين لا يوجد فى المملكة العربية السعودية من يقوم مقامهم فى العمل .

١٠ — إن حكومة المملكة العربية السعودية هى التى تملك الحق الكامل للفصل فى سائر القضايا التى تقع فى بلادها بين الموظفين والعمال ؛ ويطبق فى ذلك نظام العمال وسائر النظم الأخرى الجارية فى البلاد فى جميع الحوادث التى قد تقع .

١١ — تسلم الحكومة المصرية للحكومة العربية السعودية الطرق بمجرد انتهائها ، كما تسلمها عملية المياه والنور بمجرد استلامها بصفة نهائية من المقاولين وتكون المملكة العربية السعودية بعد ذلك هى وحدها المسئولة عن إدارة هذه المنشآت وصيانتها بالشكل الذى تراه وما يتحصل من وارداتها تنفقه فى إصلاح المشاريع نفسها ، وما زاد تنفقه فى وجوه البر وأعمال الخير والعمران فى الأراضى المقدسة .

١٢ تسهيلا لقيام الحكومة العربية السعودية بصيانة الأعمال المذكورة وإدارتها فإن البعثة الفنية المصرية المنتدبة للقيام بإنفاذ تلك المشاريع تقوم بالاشتراك مع مندوب الحكومة العربية السعودية باختيار عدد من المهندسين والعمال الحجازيين لإيفادهم إلى مصر وإلحاقهم بمحطة المياه والنور والورش الصناعية بها وتمرينهم فيها المدة الكافية التى يستطيعون بعدها تولى صيانة المشروعات وإدارتها .

١٣ — تقدم الحكومة المصرية للحجاز طبياً بكتريولوجيا لمراقبة فحص المياه وتحليلها للتأكد من صلاحيتها من الوجهة الصحية ، ويظل هذا الدكتور قائماً بعمله إلى أن ترى حكومة المملكة العربية السعودية الاستغناء عن خدماته .

١٤ — تعفى الحكومة العربية السعودية جميع الآلات والأدوات والمواد التى تورد للقيام بهذه الأعمال من دفع الرسوم الجمركية ، أو أية رسوم أخرى . مع العلم بأنه لا يمكن بيع شىء من هذه الآلات والأدوات والمواد بدون دفع الرسوم

المقررة عليها . وكذلك تعفى الموظفين والمندوبين والمقاولين وعمالهم من جميع الرسوم الحكومية مدة عملهم فى المشروع .

إن كتابى هذا وكتاب حضرتكم على الموافقة على ما تقدم يشكل اتفاقا بين حكومتينا يلزم الطرفين بإنفاذ مقتضاه من تاريخ وصول هذا الجواب إليكم ؛ فإنى أخبركم بأن حكومتنا موافقة على جميع ماذكر أعلاه ، وهى ستراعى من جانبها إنفاذ ذلك .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

(التوقيع)

فيصل

وزير الخارجية

المذكرة الثانية

رقم ٤٤ / ٣ / ٣

٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩ (٢١ شعبان سنة ١٣٥٨)

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل

وزير خارجية المملكة العربية السعودية

أتشرف بأن أعرض على سموكم مايأتى :

إنه لما أرادت وزارة الأشغال المصرية تنفيذ الاتفاق الذى تم وضعه فى الرياض بين حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك وزير مصر السابق المفوض لدى المملكة العربية السعودية وبين مندوبى الحكومة العربية السعودية ، الخاص بمشروع الطرق والمياه والنور وإعداده وإسناده إلى المقاولين ، رأت الوزارة المذكورة التثبت من فهم بعض العبارات الواردة فى الاتفاق حتى لا يكون هناك لبس فى المستقبل وليمكن تنفيذه حالا .

أولا — إن العبارة التى جاءت فى وصف الطريق هى (جدة — عرفات) وقد التبس الأمر بخصوص الوصلة التى تمر داخل مكة إلى منتهاها ، فوزارة الأشغال ترى أن هذه الوصلة لم تدخل فى الحساب ، ولم يعمل التصميم على اعتبار أنها داخلة فى المشروع . ولذلك ترى أن يكون الأمر واضحا حيث إن المقصود هو جدة — مكة — عرفات . وهذا فى الحقيقة هو قصدنا ، أنا وحضرة صاحب السعادة الشيخ يوسف ياسين ، حين كتابة مشروع الاتفاق .

ثانياً ـ لأجل تأمين المقاولين واطمئنانهم يكون مفهوماً بأن الحكومة العربية السعودية ستراعى العقود التى بين المقاولين والعمال فى حال وقوع نزاع بينهم .

ثالثاً — أن يكون مفهوماً من المادة التاسعة أن تجعل الحكومة المصرية الأفضلية للعمال من رعايا المملكة العربية السعودية ، فيما إذا رأت منهم الصلاحية للقيام بالأعمال المطلوبة منهم ؛ مع العلم بأن الحكومة المصرية لا تطلب إدخال أحد لا ترغب الحكومة السعودية فى دخوله لأسباب سياسية ، أو دينية .

فالمرجو من سموكم أن تتفضلوا بإجابتى بقبول ذلك .

وتفضلوا ياصاحب السمو الملكى بقبول أسنى احترامى .

(التوقيع)
القائم بالأعمال بالنيابة

أحمد بهجت

جواب المذكرة الثانية

الرقم : ٥٥ / ٣ / ١١

التاريخ : ٢١ شعبان ١٣٥٨

الموافق ٥ اكتوبر ١٩٣٩

حضرة نائب القائم بالأعمال

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

بالإشارة إلى كتاب حضرتكم المؤرخ ٢١ شعبان سنة ١٣٥٨ الموافق ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩ بشأن استيضاح بعض العبارات الواردة فى الاتفاق الخاص بمشروع الطرق والمياه والنور بالحجاز أفيد حضرتكم بما يأتى :

أولا — بخصوص الوصلة التى تمر داخل مكة إلى منتهاها — أن سوق مكة غير داخل بالطريق ، وأن المقصود هو طريق جدة — مكة — ومكة — عرفات . ومسألة مراعاة الحكومة العربية السعودية للعقود التى يعقدها المقاولون ، فإن كان المقصود منها العقود التى تعقدها الحكومة الملكية المصرية الجليلة مع المقاولين فإن المادة السابعة من الاتفاقية واضحة فى هـذا الصدد ؛ أما إذا كان المقصود من تلك العقود هى التى تعقد بين المتعهدين والعمال ، فإن المادة العاشرة من الاتفاقية المعقودة بين ممثلى الحكومتين قد نصت على ذلك . والحكومة العربية السعودية ستراعى هذه العقود ما دامت لا تتعارض مع أنظمتها .

ثانياً — بخصوص المادة التاسعة ، فهى واضحة وضوحا تاما من أن

المقصود منها الأفضلية للموظفين والعمال من رعايا المملكة العربية السعودية ، فيما إذا رؤى فيهم الصلاحية للقيام بالأعمال المطلوبة منهم إلى آخر المادة .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام . (التوقيع)

فيصل

وزير الخارجية

حضرة نائب القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية المحترم — جدة

الرقم : ٧/٥/٣٥
التاريخ: ٢١ جمادى الآخرة ١٣٥٩
الموافق : ٢٧ يوليـــو ١٩٤٠

حضرة نائب القائم بالأعمال

بما أن الاتفاق المعقـود بين الحكومة العربية السعودية وبين الحكومة الملكية المصرية بتاريخ ٢١ شعبان ١٣٥٨ الموافق ١٥ اكتوبر ١٩٣٩ بشأن عملية تعبيد الطرق قد نظم الطريقة التى تسدد بموجبها المبالغ المستحقة للحكومة الملكية المصرية ، ونص فى مادته الرابعة على ما يأتى :

أولا — اعتماد صرف مبلغ ستين ألف جنيه مصرى للحكومة الملكية المصرية

حين طلبها لتقوم بمباشرة أعمال تعبيد الطرق ، وذلك مقابل الأقساط المستحقة فى عام ١٣٥٥ ، و١٣٥٦ ، و١٣٥٧ هجرية ، باعتبار كل قسط عشرين ألف جنيه مصرى .

ثانياً — أن يدفع للحكومة المصرية فى آخر كل سنة هجرية — بعد سنة ١٣٥٧ — مبلغ عشرين ألف جنيه مصرى ، إلى أن يتم تسديد مبلغ المائة والخمسة والأربعين ألف جنيه مصرى المقدرة لتنفيذ مشروعات الطرق .

ولقد كانت الحكومة العربية السعودية شديدة الرغبة فى الوفاء بتعهداتها ، وتسديد المبالغ المذكورة فى مواعيدها . لكن الظروف الحالية حالت بينها وبين تنفيذ ذلك . وقد جرى لمعالى الشيخ عبد الله السليمان — وزير المالية السعودية ونائب وزير الخارجية — حديث مع حضرة صاحب العزة عوض البحراوى بك الوزير المفوض للمملكة المصرية فى جدة بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٠ ، بشأن تعديل طريقة تسديد الحكومة العربية السعودية لمبلغ الثمانين ألف جنيه مصرى المستحق عليها للأعوام ١٣٥٥ ، و١٣٥٦ ، و١٣٥٧ ، و١٣٥٨ هجرية بالكيفية الآتية :

أولا — يبدأ استحقاق الأقساط المشار إليها من عام ١٣٥٨ بدلا من عام ١٣٥٥ ، على أن تسدد الحكومة العربية السعودية فوراً قسط عام ١٣٥٨ بواقع ثلاثين ألف جنيه مصرى بدلا من عشرين ألف .

ثانياً — تدفع الحكومة العربية السعودية للحكومة الملكية المصرية مبلغ عشرين ألف جنيه مصرى فى نهاية كل سنة هجرية ابتداء من عام ١٣٥٩ ، وذلك إلى أن يتم تسديد المبلغ اللازم لمشروع تعبيد الطرق ، والمقدر بصفة تقريبية بمبلغ مائة وخمسة وأربعين ألف جنيه .

ثالثاً — بمجرد انتهاء الحرب القائمة الآن يرفع كل قسط من قيمة الأقساط التى تستحق بعد انتهائها إلى ثلاثين ألف جنيه مصرى بدلا من عشرين ألف ، وكذلك يرفع لهذه القيمة كل قسط استحق ولا يكون قد سدد عند انتهاء الحرب .

وإن الحكومة العربية السعودية — التى لم يخالجها أى شك فى موافقة الحكومة المصرية على هذا التعديل ، نظراً لما يربط البلدين من علاقات المودة والإخاء — قد علمت ببالغ السرور من حضرة صاحب العزة عوض البحراوى بك الوزير المفوض للمملكة المصرية بجدة ، بموافقة الحكومة الملكية المصرية على التعديل المذكور ؛ وبادرت بتسليم عزته تحويلا بمبلغ ثلاثين ألف جنيه ، قيمة المستحق عن عام ١٣٥٨ هجرية ، كالمبين فى البند « أولا » من بنود تعديل تسديد الأقساط أعلاه .

ويعتبر الخطاب الحالى ، والرد الذى سأتلقاه عليه من حضرتكم جزءاً متمماً لاتفاق ٢١ شعبان ١٣٥٨ (٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩) .

واقبلوا فائق التحية والاحترام (التوقيع)

فيصل

وزير الخارجية

حضرة نائب القائم بأعمال المفوضية الملكية المصرية المحترم — جدة

المفوضية الملكية المصرية بمدينة جدة
الرقم : ٢٤ / ٣ / ٣ / سرى
التاريخ: ٢٣ جمادى الآخرة ١٣٥٩
الموافق : ٢٩ يوليـــو ١٩٤٠

حضرة صاحب السمو الملكى

وزير خارجية المملكة العربية السعودية

أتشرف بإحاطة سموكم علما أننى تلقيت كتابكم رقم ٧ / ٥ / ٣٥ ، المؤرخ ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٩ الموافق ٢٧ يوليوسنة ١٩٤٠ بشأن تعديل طريقة تسديد المبالغ المستحقة للحكومة الملكية المصرية قبل حكومة المملكة العربية السعودية بسبب تنفيذ مشروعات تعبيد الطرق ، وفيما يلى نصه :

حضرة نائب القائم بالأعمال

بما أن الاتفاق المعقود بين الحكومة العربية السعودية ، وبين الحكومة الملكية المصرية بتاريخ ٢١ شعبان سنة ١٣٥٨ الموافق ٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩ بشأن عملية تعبيد الطرق قد نظم الطريقة التى تسدد بموجبها المبالغ المستحقة للحكومة الملكية المصرية ونص فى مادته الرابعة على مايأتى : ـ

أولا ـ اعتماد صرف مبلغ ستين ألف (٦٠٠٠٠) جنيه مصرى للحكومة

الملكية المصرية حين طلبها لتقوم بمباشرة أعمال تعبيد الطرق ، وذلك مقابل الأقساط المستحقة فى عام ١٣٥٥ ، و١٣٥٦ ، و١٣٥٧ هجرية ، باعتبار كل قسط عشرين ألف (٢٠٠٠٠) جنيه مصرى .

ثانياً — أن يدفع للحكومة المصرية فى آخر كل سنة هجرية — بعد سنة ١٣٥٧ — مبلغ عشرين ألف جنيه (٢٠٠٠٠) إلى أن يتم تسديد مبلغ المائة والخمسة والأربعين ألف جنيه مصرى المقدرة لتنفيذ مشروعات الطرق .

ولقد كانت الحكومة العربية السعودية شديدة الرغبة فى الوفاء بتعهداتها وتسديد المبالغ المذكورة فى مواعيدها ، لكن الظروف الحالية حالت بينها وبين تنفيذ ذلك ؛ وقد جرى لمعالى الشيخ عبد الله السليمان — وزير المالية السعودية ونائب وزير الخارجية — حديث مع حضرة صاحب العزة عوض البحراوى بك الوزير المفوض للمملكة المصرية فى جدة بتاريخ ٢٣ مارس سنة ١٩٤٠ بشأن تعديل طريقة تسديد الحكومة العربية السعودية لمبلغ الثمانين ألف جنيه مصرى المستحق عليها للأعوام ١٣٥٥ ، و ١٣٥٦ ، و ١٣٥٧ ، و ١٣٥٨ هجرية بالكيفية الآتية :

أولا — يبدأ استحقاق الأقساط المشار إليها من عام ١٣٥٨ بدلا من عام ١٣٥٥ ، على أن تسدد الحكومة العربية السعودية فورا قسط عام ١٣٥٨ بواقع ثلاثين ألف جنيه مصرى بدلا من عشرين ألف .

ثانياً — تدفع الحكومة العربية السعودية للحكومة الملكية المصرية مبلغ

عشرين ألف جنيه مصرى فى نهاية كل سنة هجرية ابتداء من عام ١٣٥٩ ؛ وذلك إلى أن يتم تسديد المبلغ اللازم لمشروع تعبيد الطرق ، والمقدر بصفة تقريبية بمبلغ مائة وخمسة وأربعين ألف جنيه مصرى .

ثالثا ـ بمجرد انتهاء الحرب القائمة الآن يرفع كل قسط من قيمة الأقساط التى تستحق بعد انتهائها إلى ثلاثين ألف جنيه مصرى بدلا من عشرين ألف ، وكذلك يرفع لهذه القيمة كل قسط استحق ولا يكون قد سدد عند انتهاء الحرب .

وإن الحكومة العربية السعودية ـ التى لم يخالجها أى شك فى موافقة الحكومة المصرية على هذا التعديل ، نظرا لما يربط البلدين من علاقات المودة والإخاء ـ قد علمت ببالغ السرور من حضرة صاحب العزة عوض البحراوى بك ، الوزير المفوض للمملكة المصرية بجدة ، بموافقة الحكومة الملكية المصرية على التعديل المذكور ؛ وبادرت بتسليم عزته تحويلا بمبلغ ثلاثين ألف جنيه قيمة القسط المستحق عن عام ١٣٥٨ هجرية ، كالمبين فى البند « أولا » من بنود تعديل تسديد الأقساط أعلاه .

ويعتبر الخطاب الحالى ، والرد الذى سأتلقاه عليه من حضرتكم جزءاً متمما لا تفاق ٢١ شعبان سنة ١٣٥٨ (٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩) .

واقبلوا فائق التحية والاحترام .

(التوقيع)
وزير الخارجية

وجوابا على ذلك أبادر بأن أؤيد لسموكم موافقة حكومتى على تعديل طريقة تسديد المبالغ المذكورة على النحو المبين فى كتابكم .

ويعتبر كتاب سموكم المذكور أعلاه ، وكتابى الحالى جزءاً متمما لاتفاق ٢١ شعبان ١٣٥٨ (٥ اكتوبر سنة ١٩٣٩) .

وتفضلوا سموكم بقبول أسنى عبارات الاحترام .

(التوقيع)
القائم بالأعمال بالنيابة

محمد سامى

اتفاقية التسليم

التى تنازل بمقتضاها الملك على بن الحسين عن حقوق الأشراف فى ملك الحجاز ، وسلم بها جدة « للسلطان » عبد العزيز آل سعود بعد حصارها

---

١ – بالنظر لتنازل الملك على ، ومبارحته للحجاز ، وتسليم بلدة جدة يضمن السلطان عبد العزيز لكل الموظفين الملكيين والحربيين ، والأشراف ، وأهالى جدة عموما ، والعرب ، والسكان والقبائل وعوائلهم سلامتهم الشخصية وسلامة أموالهم .

٢ – يتعهد الملك على أن يسلم فى الحال جميع أسرى الحرب الموجودين بجدة إن وجد .

٣ – يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يمنح العفو العام لكل المذكورين أعلاه .

٤ – يجب على جميع الضباط والعساكر أن يسلموا فى الحال إلى السلطان عبد العزيز بجميع أسلحتهم من بنادق ، ورشاشات ، ومدافع ، وطيارات ، وخلافه ، وجميع المهمات الحربية .

٥ – يتعهد الملك على وجميع الضباط والعساكر بأن لا يخربوا أو يتصرفوا فى أى شىء من الأسلحة والمهمات الحربية جميعها .

٦ – يتعهد السلطان عبد العزيز بأن يرحل كافة الضباط والعساكر الذين يرغبون فى العودة إلى أوطانهم ، ويتعهد بإعطائهم المصاريف اللازمة لسفرهم .

٧ ـ يتعهد السلطان عبد العزيز أن يوزع بنسبة معتدلة على كافة الضباط والعساكر الموجودين بجدة مبلغ خمسة آلاف جنيه .

٨ ـ يتعهد السلطان عبد العزيز أن يبقى جميع موظفى الحكومة الملكيين فى مراكزهم ، الذين يجد فيهم الكفاءة فى تأدية واجباتهم بأمانة .

٩ ـ يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح الملك عليا الحق فى أن يأخذ معه الأمتعة الشخصية التى فى حوزته ، بما فى ذلك أوتوموبيله وسجاجيده وخيوله .

١٠ ـ يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح عائلة آل الحسين جميع ممتلكاتهم الشخصية فى الحجاز ، بشرط أن هذه الممتلكات تكون فعلا من الموروثة ، ولا تشتمل على الأملاك الثابتة المحولة من الأوقاف بمعرفة الحسين إلى شخصه ، ولا على المبانى التى يكون الحسين قد بناها فى أثناء ملكه لما كان ملكا على الحجاز .

١١ ـ يتعهد الملك على أن يبارح الحجاز قبل يوم الثلاثاء المقبل مساء .

١٢ ـ جميع البواخر التى فى ملك الحجاز ، وهى (الطويل ، ورشدى ، والرقمتين ، ورضوى) تصير ملكا للسلطان عبدالعزيز ، ولكن السلطان يصرح ـ إن لزم الأمر ـ للباخرة الرقمتين أن تستعمل لنقل الأمتعة الشخصية التابعة للملك على المتنازل ، ثم ترجع .

١٣ ـ يتعهد الملك على ، ورجاله ، وسكان جدة بأن لا يبيعوا ، أو يخربوا ، أو يتصرفوا فى أى شىء من أملاك الحكومة ، مثل اللنشات ، والسنابيك وخلافه .

١٤ ـ يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح جميع السكان ، والضباط والعساكر الموجودين بينبع الحقوق والامتيازات المذكورة بعاليه ، إلا فيما يختص بتوزيع النقود .

١٥ – يتعهد السلطان عبد العزيز أن يمنح العفو للاشخاص المذكورة أسماؤهم أدناه أيضاً ضمن العفو العام ، وهم : عبدالوهاب ، ومحسن ، وبكرى أبناء يحيى قزاز ، وعبد الحى بن عابد قزاز ، واحمد ، وصالح أبناء عبد الرحمن قزاز ، واسماعيل بن يحيى قزاز ، والشيخ محمد على صالح بتاوى واخوانه ابراهيم ، وعبد الرحمن بتاوى ، وأبناء محمد صالح بتاوى ، وأبناؤهم ، وأبناء عمهم حسن وزين بتاوى أبناء محمد نور ، والشيخ يوسف خشيرم ، والشيخ عباس ولد يوسف خشيرم ، والشيخ يس بسيونى ، والسيد احمد السقاف ، وعوائل وأموال جميع المذكورين آنفاً .

١٦ – إن كان الملك على أو رجاله فى حال من الأحوال يخالف أو يقصر فى تنفيذ أى مادة من المواد المذكورة بعاليه فإن السلطان عبد العزيز لا يعتبر نفسه فى تلك الحالة مسئولا عن تأدية ما عليه من هذه الاتفاقية .

١٧ – يتعهد الطرفان ، السلطان عبد العزيز والملك على ، أن يكفا عن أى حركة عدائية أثناء سير هذه المفاوضة . ؟

الرغامة فى يوم الخميس غرة جمادى الآخرة سنة ١٣٤٤هـ (١٧ ديسمبر سنة ١٩٢٥م)

القسم الثانى

Biblioteca Nacional de Maestros
Donación del Gobierno de la Provincia de Buenos Aires

القسم الثانى

فيما يتصل بجامعة الدول العربيـة

قرارات

اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام

بتاريخ ٨ شوال سـنة ١٣٦٣ هـ الموافق ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤ م اجتمع أعضاء وفود البلاد العربية التى اشتركت فى المحادثات التمهيدية للوحدة العربية فى الاسكندرية ، وألفوا « اللجنة التحضيرية للمؤتمر العام » . ودامت اجتماعات هذه اللجنة من ذلك التاريخ إلى ٢٠ شوال سـنة ١٣٦٣ هـ الموافق ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ م . وقد خرجت اللجنة من تلك الاجتماعات بقرارات عملية ، أطلق عليها اسم « بروتوكول » ؛ ولأهمية هـذه القرارات فى تاريخ الأمة العربية ، وتاريخ العلاقات فيما بين أعضاء جامعة الدول العربيـة ، رأينا أن نثبتها فى ملحق الوثائق وهى كالآتى :

— ١ —

بيان اللجنة

انتهت اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام من أعمالها كما بدأتها فى جو رائع من الثقة المتبادلة ، والأخوة الصادقة ، والود الصميم ، والشعور بالمسئولية المشتركة ، فى هذه الظروف الخطيرة ، التى يتحول فيها مجرى التاريخ ، تحدوها الرغبة الملحة فى جمع شملها وتوحيد جهودها وتوجيهها إلى ما فيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها ، وتحقيق أمانيها وآمالها .

وقد كان من أعظم دواعى الغبطة والسرور أن ينضم إلى اللجنة حضرة الأستاذ موسى العلمى العضو الممثل لعرب فلسطين ،لما لقضية فلسطين ، هذا القطر العربى الشقيق من الخطورة البالغة ، والأهمية الكبرى عند العرب أجمعين .

وقد اتخذت اللجنة ، بإجماع الوفود : السورية والأردنية والعراقية واللبنانية والمصرية ، الكثير من القرارات الحيوية ، سواء من الناحية السياسية أو من النواحى الاقتصادية والثقافية والاجتماعية وغيرها . وإثباتاً لاتفاق هذه الوفود على القرارات المذكورة وقع رؤساؤها وأعضاؤها البروتوكول المرافق لهذا البيان .

أما وفدا المملكة العربية السعودية واليمن ، فقد أرجآ إبداء الرأى إلى ما بعد عرض القرارات المذكورة على حضرتى صاحبى الجلالة الملكين المعظمين عبد العزيز آل سعود والإمام يحيى حميد الدين .

ويسر اللجنة أن تنتهز هذه الفرصة السعيدة ، التى هى بحق من أعظم الصفحات وأمجدها فى تاريخ العرب ، فتزف إلى البلاد العربية ، قاصيها ودانيها ، أطيب تهانيها وأصدق أمانيها ، وترفع إلى حضرات أصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك الدول العربية ورؤسائها وأمرائها العظام أسمى آيات ولائها وأبلغ عبارات ثنائها ، موقنة أن أعمالها وآمالها والنتائج التى وصلت ، بإذن الله ، إليها تحظى منهم بأوفر اللطف وأبلغ التشجيع والتأييد .

— ٢ —

بروتوكول

الموقعون على هذا رؤساء الوفود العربية فى اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام وأعضاؤها وهم: « فى هذا المكان جاء ذكر أسماء أعضاء الوفود الذين وقعوا على هذه المقررات وهم : رئيس اللجنة التحضيرية ، وهو رئيس الحكومة المصرية آنذاك ، وأعضاء الوفد السورى ، وأعضاء الوفد الأردنى ، وأعضاء الوفد العراقى ، وأعضاء الوفد اللبنانى ، وأعضاء الوفد المصرى » .

إثباتا للصلات الوثيقة والروابط العديدة ، التى تربط بين البلاد العربية جمعاء ، وحرصا على توطيد هذه الروابط وتدعيمها وتوجيهها إلى مافيه خير البلاد العربية قاطبة ، وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها .

واستجابة للرأى العربى العام فى جميع الأقطار العربية .

قد اجتمعوا فى الإسكندرية بين يوم الاثنين ٨ شوال سنة ١٣٦٤ هـ الموافق

٢٥ سبتمبر سنة ١٩٤٤م ويوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ هـ الموافق ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ م فى هيئة لجنة تحضيرية للمؤتمر العربى العام ، وتم الاتفاق بينهم على مايأتى :

أولا — جامعة الدول العربية

تؤلف جامعة للدول العربية المستقلة التى تقبل الانضمام إليها ، ويكون لهذه الجامعة مجلس يسمى « مجلس جامعة الدول العربية » تمثل فيه الدول المشتركة فى الجامعة على قدم المساواة .

وتكون مهمتهم مراعاة تنفيذ ماتبرمه هذه الدول فيما بينها من الاتفاقات ، وعقد اجتماعات دورية لتوثيق الصلات بينها وتنسيق خططها السياسية ، تحقيقا للتعاون فيها وصيانة لاستقلالها وسيادتها من كل اعتداء بالوسائل الممكنة ، وللنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها .

وتكون قرارات هذا المجلس ملزمة لمن يقبلها ، فيما عدا الأحوال التى يقع فيها خلاف بين دولتين من أعضاء الجامعة ويلجأ فيها الطرفان إلى المجلس لفحص هذا الخلاف . ففى هذه الأحوال تكون قرارات مجلس الجامعة نافذة ملزمة .

ولا يجوز ، على كل حال ، الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين من دول الجامعة .

ولكل دولة أن تعقد مع دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها اتفاقات خاصة ، لاتتعارض مع نصوص هذه الأحكام أو روحها .

ولا يجوز بأية حال ، اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة الدول العربية أو أية دولة منها .

ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعة وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما .

وتؤلف منذ الآن لجنة فرعية من أعضاء اللجنة التحضيرية لإعداد مشروع لنظام « مجلس الجامعة » ، ولبحث المسائل السياسية التى يمكن إبرام اتفاقات فيها بين الدول العربية .

ثانيا — التعاون فى الشئون الاقتصادية

والثقافية والاجتماعية وغيرها

(ا) تتعاون الدول العربية الممثلة فى اللجنة تعاونا وثيقاً فى الشئون الآتية

١ — الشئون الاقتصادية والمالية ، بما فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

٢ — شئون المواصلات ، بما فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

٣ — شئون الثقافة .

٤ — شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين ، وما إلى ذلك .

٥ — الشئون الاجتماعية .

٦ — الشئون الصحية .

(ب) تؤلف لجنة فرعية من الخبراء لكل طائفة من هذه الشئون ، تمثل فيها الحكومات المشتركة فى اللجنة التحضيرية ، وتكون مهمتها إعداد مشروع بقواعد التعاون فى الشئون المذكورة ومداه وأداته .

(حـ) تؤلف لجنة للتنسيق والتحرير ، وتكون مهمتها مراقبة عمل اللجان الفرعية الأخرى وتنسيق ما يتم من أعمالها أولا فأولا ، وصياغة مشروعات اتفاقات ، وعرضها على الحكومات المختلفة .

(د) عند ما تنتهى جميع اللجان الفرعية من أعمالها ، تجتمع اللجنة التحضيرية ، وتعرض عليها نتائج بحث هذه اللجان ، تمهيداً لعقد المؤتمر العربى العام .

ثالثا — تدعيم هذه الروابط فى المستقبل

مع الاغتباط بهذه الخطوة المباركة ، ترجو اللجنة أن توفق البلاد العربية فى المستقبل لتدعيمها بخطوات أخرى ، وبخاصة إذا أسفرت الأوضاع العالمية بعد الحرب القائمة عن نظم تربط بين الدول بروابط أمتن وأوثق .

رابعاً — قرار خاص بلبنان

تؤيد الدول العربيـة الممثلة فى اللجنة التحضيرية مجتمعة احترامها لاستقلال لبنان وسيادته بحدوده الحاضرة ، وهو ما سبق لحكومات هذه الدول أن اعترفت به ، بعد أن انتهج سياسة استقلالية أعلنتها حكومته فى بيانها الوزارى الذى نالت عليه موافقة المجلس النيابى بالإجماع فى ٧ ا كتوبر سنة ١٩٤٣ .

خامسا — قرار خاص بفلسطين

(ا) ترى اللجنة أن فلسطين ركن مهم من أركان البلاد العربية ، وأن حقوق العرب لا يمكن المساس بهـا من غير إضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى .

كما ترى اللجنة أن التعهدات التى ارتبطت بها الدولة البريطانية والتى تقضى بوقف الهجرة اليهودية والمحافظة على الأراضى العربيـة والوصول إلى استقلال فلسطين ، هى من حقوق العرب الثابتة ، التى تكون المبادرة إلى تنفيذها خطوة نحو الهدف المطلوب ، ونحو استتباب السلم وتحقيق الاستقرار .

وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسـطين ، بالعمل على تحقيق أمانيهم المشروعة وصون حقوقهم العادلة .

وتصرح اللجنة بأنهـا ليست أقل تألماً من أحد لما أصاب اليهود فى أوربا من الويلات والآلام على يد بعض الدول الدكتاتورية ، ولـكن يجب ألا يخلط

بين مسألة هؤلاء اليهود وبين الصهيونية ، إذ ليس أشد ظلماً وعدواناً من أن تحل مسألة يهود أوربا بظلم آخر يقع على عرب فلسطين ، على اختلاف أديانهم ومذاهبهم .

(ب) يحال الاقتراح الخاص بمساهمة الحكومات والشعوب العربية فى « صندوق الأمة العربية » لإنقاذ أراضى العرب بفلسطين إلى لجنة الشئون الاقتصادية والمالية ، لبحثه من جميع وجوهه ، وعرض نتيجة البحث على اللجنة التحضيرية فى اجتماعها المقبل .

وإثباتاً لما تقدم وقع هذا البروتوكول بإدارة جامعة فاروق الأول بالإسكندرية فى يوم السبت ٢٠ شوال سنة ١٣٦٣ هـ الموافق ٧ اكتوبر سنة ١٩٤٤ م .

— ٣ —

كلمة الختام

يا أبناء العروبة الأعزاء !

هذا بيان اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام ، وتلك نتائج أعمالها ، وهى كما ترون فى وضوح عباراتها وصراحة مدلولاتها وجلال مراميها ، لا تحتاج إلى أى تعقيب أو تعليق . والله المسئول أن يوفق القصد ويلهم المسعى وينيل المأمول .

ميثاق جامعة الدول العربية

كان توقيع الميثاق لجامعة الدول العربية من أعضاء الوفود الممثلة لحكومات هذه الدول بقصر الزعفران فى مدينة القاهرة ، وفى يوم الخميس ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ هـ الموافق ٢٢ مارس سنة ١٩٤٥ م . فكان هذا اليوم يوماً مشهوداً مباركا فى تاريخ الأمة العربية ، وكان ذلك العمل تتويجاً لمباحثات عربية سبقت ولجهود مضنية بذلت ، وتحقيقا لآمال الشعوب العربية التى تنشد الوحدة وتسعى لتنظيم التعاون المنتج فى سبيل الاستقلال والنهوض :

وهذا هو نص الميثاق :

إن حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

وحضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن .

وحضرة صاحب الجلالة ملك العراق .

وحضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية .

وحضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

وحضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

وحضرة صاحب الجلالة ملك اليمن .

تثبيتاً للعلاقات الوثيقة والروابط العديدة التى تربط بين الدول العربية ، وحرصا

على دعم هذه الروابط وتوطيدها على أساس احترام استقلال تلك الدول وسيادتها ، وتوجيها لجهودها إلى مافيه خير البلاد العربية قاطبة وصلاح أحوالها وتأمين مستقبلها وتحقيق أمانيها وآمالها ، واستجابة للرأي العربي العام فى جميع الأقطار العربية .

قد اتفقوا على عقد ميثاق لهذه الغاية ، وأنابوا عنهم المفوضين الآتية أسماؤهم :

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

قد أناب عن سوريا :

حضرة صاحب الدولة السيد فارس الخورى ، رئيس مجلس الوزراء .

حضرة صاحب الدولة السيد جميل مردم بك ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب السمو الملكى أمير شرق الأردن .

قد أناب عن شرق الأردن :

حضرة صاحب الفخامة سمير الرفاعى باشا ، رئيس الوزراء .

حضرة صاحب المعالى سعيد المفتى باشا ، وزير الداخلية .

صاحب العزة سليمان النابلسى بك ، نائب سر الحكومة .

حضرة صاحب الجلالة ملك العراق .

قد أناب عن العراق :

حضرة صاحب المعالى السيد أرشد العمرى ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب الفخامة السيد على جودة الأيوبى ، وزير العراق المفوض بوشنطن .

حضرة صاحب المعالى السيد تحسين العسكرى ، وزير العراق المفوض بالقاهرة .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية

قد أناب عن المملكة العربية السعودية :

سعادة الشيخ يوسف ياسين ، نائب وزير خارجية المملكة العربية السعودية.

سعادة السيد خير الدين الزركلى ، مستشار مفوضية المملكة العربية السعودية بالقاهرة .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية

قد أناب عن لبنان :

حضرة صاحب الدولة السيد عبد الحميد كرامى ، رئيس الوزراء .

سعادة السيد يوسف سالم ، وزير لبنان المفوض بالقاهرة .

حضرة صاحب الجلالة ملك مصر .

قد أناب عن مصر :

حضرة صاحب الدولة محمود فهمى النقراشى باشا ، رئيس مجلس الوزراء .

حضرة صاحب السعادة محمد حسين هيكل باشا ، رئيس مجلس الشيوخ .

حضرة صاحب المعالى عبد الحميد بدوى باشا ، وزير الخارجية .

حضرة صاحب المعالى مكرم عبيد باشا ، وزير المالية .

حضرة صاحب المعالى محمد حافظ رمضان باشا ، وزير العدل .

حضرة صاحب المعالى عبد الرازق أحمد السنهورى باشا ، وزير المعارف العمومية .

حضرة صاحب العزة عبد الرحمن عزام بك ، الوزير المفوض بوزارة الخارجية .

حضرة صاحب الجلالة ملك اليمن .

قد أناب عن اليمن :

. . . . . .

. . . . . .

الذين بعد تبادل وثائق التفويض التى تخولهم سلطة كاملة ، والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل ، قد اتفقوا على ما يأتى :

مادة — ١

تتألف جامعة الدول العربيـة من الدل العربية المستقلة الموقعة على هـذا الميثاق .

ولـكل دولة عربية مستقلة الحق فى أن تنضم إلى الجامعة ، فإذا رغبت الانضمام قدمت طلباً بذلك يودع لدى الأمانة العامة الدائمة ، ويعرض على المجلس فى أول اجتماع يعقد بعد تقديم الطلب .

مادة — ٢

الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها ، وتنسيق خططها السياسـية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة لاستقلالها وسيادتها ، والنظر بصفة عامة فى شئون البلاد العربية ومصالحها .

كذلك من أغراضها تعاون الدول المشتركة فيها تعاونا وثيقا بحسب نظم كل دولة منها وأحوالها فى الشئون الآتية :

(ا) الشئون الاقتصادية والمالية ، ويدخل فى ذلك التبادل التجارى والجمارك والعملة وأمور الزراعة والصناعة .

(ب) شئون المواصلات ويدخل فى ذلك السكك الحديدية والطرق والطيران والملاحة والبرق والبريد .

(جـ) شئون الثقافة .

(د) شئون الجنسية والجوازات والتأشيرات وتنفيذ الأحكام وتسليم المجرمين .

(هـ) الشئون الاجتماعية .

(و) الشئون الصحية .

مادة — ٣

يكون للجامعة مجلس يتألف من ممثلى الدول المشتركة فى الجامعة ، ويكون لكل منها صوت واحد مهما يكن عدد ممثليها .

وتكون مهمته القيام على تحقيق أغراض الجامعة ومراعاة تنفيذ ما تبرمه الدول المشتركة فيها من اتفاقات فى الشئون المشار إليها فى المادة السابقة وفى غيرها .

ويدخل فى مهمة المجلس كذلك تقرير وسائل التعاون مع الهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام ، ولتنظيم العلاقات الاقتصادية والاجتماعية .

مادة — ٤

تؤلف لكل من الشئون المبينة فى المادة الثانية لجنة خاصة ، تمثل فيها الدول المشتركة فى الجامعة . وتتولى هذه اللجان وضع قواعد التعاون ومداه ، وصياغتها فى شكل مشروعات اتفاقات تعرض على المجلس للنظر فيها تمهيدا لعرضها على الدول المذكورة .

ويجوز أن يشترك فى اللجان المتقدم ذكرها أعضاء يمثلون البلاد العربية الأخرى . ويحدد المجلس الأحوال التى يجوز فيها اشتراك أولئك الممثلين وقواعد التمثيل .

مادة — ٥

لا يجوز الالتجاء إلى القوة لفض المنازعات بين دولتين أو أكثر من دول الجامعة ، فإذا نشب بينها خلاف لا يتعلق باستقلال الدولة أو سيادتها أو سلامة أراضيها ولجأ المتنازعون إلى المجلس لفض هذا الخلاف كان قراره عندئذ نافذاً وملزماً .

وفى هذه الحالة لا يكون للدول التى وقع بينها الخلاف الاشتراك فى مداولات المجلس وقراراته .

ويتوسط المجلس فى الخلاف الذى يخشى منه وقوع حرب بين دولة من دول الجامعه وبين أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها للتوفيق بينهما .

وتصدر قرارات التحكيم والقرارات الخاصة بالتوسط بأغلبية الآراء .

مادة — ٦

إذا وقع اعتداء من دولة على دولة من أعضاء الجامعة أو خشى وقوعه ، فالدولة المعتدى عليها أو المهددة بالاعتداء أن تطلب دعوة المجلس للانعقاد فوراً .

ويقرر المجلس التدابير اللازمة لدفع هذا الاعتداء ، ويصدر القرار بالإجماع ، فإذا كان الاعتداء من إحدى دول الجامعة لا يدخل فى حساب الإجماع رأى الدولة المعتدية .

وإذا وقع الاعتداء بحيث يجعل حكومة الدولة المعتدى عليها عاجزة عن الاتصال بالمجلس ، فممثل تلك الدولة فيه أن يطلب انعقاده للغاية المبينة فى الفقرة السابقة ، وإذا تعذر على الممثل الاتصال بمجلس الجامعة حق لأية دولة من أعضائها أن تطلب انعقاده .

مادة — ٧

ما يقرره المجلس بالإجماع يكون ملزماً لجميع الدول المشتركة فى الجامعة ، وما يقرره المجلس بالأكثرية يكون ملزماً لمن يقبله ، وفى الحالتين تنفذ قرارات المجلس فى كل دولة وفقاً لنظمها الأساسية .

مادة — ٨

تحترم كل دولة من الدول المشتركة فى الجامعة نظام الحكم القائم فى دول الجامعة الأخرى ، وتعتبره حقاً من حقوق تلك الدول ، وتتعهد بألا تقوم بعمل يرمى إلى تغيير ذلك النظام فيها .

ماده — ٩

لدول الجامعة العربية الراغبة فيما بينها فى تعاون أوثق وروابط أقوى مما

نص عليه هـذا الميثاق ، أن تعقد بينها من الاتفاقات ماتشاء لتحقيق هذه الأغراض .

والمعاهدات والاتفاقات التى سبق أن عقدتها أو التى تعقدها فيما بعد دولة من دول الجامعة مع أية دولة أخرى لاتلزم ولا تقيد الأعضاء الآخرين .

مادة — ١٠

تـكون القاهرة المقر الدائم لجامعة الدول العربية ، ولمجلس الجامعـة أن يجتمع فى أى مكان آخر يعينه .

مادة ١١ —

ينعقد مجلس الجامعة انعقاداً عادياً مرتين فى العام فى كل من شهرى مارس وا كتوبر ، وينعقد بصفة غير عادية كلما دعت الحاجة إلى ذلك ، بناء على طلب دولتين من دول الجامعة .

مادة — ١٢

يكون للجامعة أمانة عامة دائمة تتألف من أمين عام وأمناء مساعـدين وعدد كاف من الموظفين .

ويعين مجلس الجامعة بأ كثرية ثلثى دول الجامعة الأمين العام . ويعين الأمين العام بموافقة المجلس الأمناء المساعدين والموظفين الرئيسيين فى الجامعة .

ويضع مجلس الجامعة نظاماً داخليا لأعمال الأمانة العامة وشئون الموظفين ،

ويكون الأمين العام فى درجة سفير ، والأمناء المساعدون فى درجة وزراء مفوضين.

ويعين فى ملحق لهذا الميثاق أول أمين عام للجامعة .

مادة — ١٣

يعد الأمين العام مشروع ميزانية الجامعة ويعرضه على المجلس للموافقة عليه قبل بدء كل سنة مالية ، ويحدد المجلس نصيب كل دولة من دول الجامعة فى النفقات ، ويجوز أن يعيد النظر فيه عند الاقتضاء .

مادة — ١٤

يتمتع أعضاء مجلس الجامعة وأعضاء لجانها وموظفوها ، الذين ينص عليهم فى النظام الداخلى ، بالامتيازات وبالحصانة الدبلوماسية أثناء قيامهم بعملهم ، وتكون مصونة حرمة المبانى التى تشغلها هيئات الجامعة .

مادة — ١٥

ينعقد المجلس للمرة الأولى بدعوة من رئيس الحكومة المصرية ، وبعد ذلك بدعوة من الأمين العام ، ويتناوب ممثلو دول الجامعة رياسة المجلس فى كل انعقاد عادى .

مادة — ١٦

فيما عدا الأحوال المنصوص عليها فى هذا الميثاق يكتفى بأغلبية الآراء لاتخاذ المجلس قرارات نافذة فى الشئون الآتية :

(ا) شئون الموظفين .

(ب) إقرار ميزانية الجامعة .

(ج) وضع نظام داخلى لكل من المجلس واللجان والأمانة العامة .

(د) تقرير فض أدوار الاجتماع .

مادة — ١٧

تودع الدول المشتركة فى الجامعة الأمانة العامة نسخا من جميع المعاهدات والاتفاقات التى عقدتها ، أو تعقدها مع أية دولة أخرى من دول الجامعة أو غيرها .

مادة — ١٨

إذا رأت إحدى دول الجامعة أن تنسحب منها أبلغت المجلس عزمها على الانسحاب قبل تنفيذه بسنة .

ولمجلس الجامعة أن يعتبر أية دولة لا تقوم بواجبات هذا الميثاق منفصلة عن الجامعة، وذلك بقرار يصدره بإجماع الدول عدا الدولة المشار إليها .

مادة — ١٩

يجوز بموافقة ثلثى دول الجامعة تعديل هذا الميثاق ، وعلى الخصوص لجعل الروابط بينها أمتن وأوثق ، ولإنشاء محكمة عدل عربية ، ولتنظيم صلات الجامعة بالهيئات الدولية التى قد تنشأ فى المستقبل لكفالة الأمن والسلام .

ولا يبت فى التعديل إلا فى دور الانعقاد التالى للدور الذى يقدم فيه الطلب وللدولة التى لا تقبل التعديل أن تنسحب عند تنفيذه دون التقيد بأحكام المادة السابقة .

مادة — ٢٠

يصدق على هذا الميثاق وملاحقه وفقاً للنظم الأساسية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة ، وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة ، ويصبح الميثاق نافذاً قبل من صدق عليه بعد انقضاء خمسة عشر يوما من تاريخ استلام الأمين العام وثائق التصديق من أربع دول .

حرر هذا الميثاق باللغة العربية فى القاهرة بتاريخ ٨ ربيع الثانى سنة ١٣٦٤ (٢٢ مارس سنة ١٩٤٥) من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العامة .

وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من دول الجامعة .

(ويلى ذلك التوقيعات) .

ملحق خاص بفلسطين

منذ نهاية الحرب العظمى الماضية سقطت عن البلاد العربية المنسلخة من الدولة العثمانية ، ومنها فلسطين ، ولاية تلك الدولة ، وأصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لأية دولة أخرى ، وأعلنت معاهدة لوزان أن أمرها لأصحاب الشأن فيها ، وإذا لم تكن قد مكنت من تولى أمورها ، فإن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩

لم يقرر النظام الذى وضعه لها إلا على أساس الاعتراف باستقلالها ؛ فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمر لا شك فيه ، كما أنه لاشك فى استقلال البلاد العربيـة الأخرى . وإذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لأسباب قاهرة ، فلا يسوغ أن يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى أعمال مجلس الجامعة .

ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية أنه نظراً لظروف فلسطين الخاصة ، وإلى أن يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة أمر اختيار مندوب عربى من فلسطين للاشتراك فى أعماله .

ملحق خاص بالتعاون مع البلاد العربية

غير المشتركة فى مجلس الجامعة

نظراً لأن الدول المشتركة فى الجامعة ستباشر فى مجلسها وفى لجانها شئوناً يعود خيرها وأثرها على العالم العربى كله ، ولأن أمانى البلاد العربية غير المشتركة فى المجلس ينبغى له أن يرعاها وأن يعمل على تحقيقها .

فإن الدول الموقعة على ميثاق الجامعـة العربية يعنيها بوجه خاص أن توصى مجلس الجامعة ، عند النظر فى إشراك تلك البلاد فى اللجان المشار إليها فى الميثاق ، بأن يذهب فى التعاون معها إلى أبعد مدى مستطاع ؛ وفيما عدا ذلك ، بألا يدخر جهداً لتعرف حاجاتهـا وتفهم أمانيها وآمالها ، وبأن يعمل بعد ذلك على صلاح أحوالها وتأمين مستقبلها بكل ما تهيئه الوسائل السياسية من أسباب .

ملحق خاص

بتعيين الأمين العام للجامعة

اتفقت الدول الموقعة على هذا الميثاق على تعيين سعادة عبد الرحمن عزام «بك» أمينا عاما لجامعة الدل العربية .

ويكون تعيينه لمدة سنتين ، ويحدد مجلس الجامعة فيما بعد ، النظام المستقبل للأمانة العامة .

معاهدة

للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى

بين دول الجامعة العربيـة

« معاهدة الضمان الجماعى »

إن حكومات :

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة الأردنية الهاشمية .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية السورية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العراقية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة العربية السعودية .

حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة المصرية .

حضرة صاحب الجلالة ملك المملكة المتوكلية اليمنية .

رغبة منها فى تقوية الروابط وتوثيق التعاون بين دول الجامعة العربيـة وحرصاً على استقلالها ، ومحافظة على تراثها المشترك .

واستجابة لرغبة شعوبها فى ضم الصفوف لتحقيق الدفاع المشترك عن كيانها وصيانة الأمن والسلام وفقا لمبادىء ميثاق جامعة الدول العربية وميثاق الأمم المتحدة ولأهدافهما ، وتعزيزاً للاستقرار والطمأنينة وتوفير أسباب الرفاهية والعمران فى بلادها .

قد اتفقت على عقد معاهدة لهذه الغاية وأنابت عنها المفوضين الآتية أسماؤهم :

عن المملكة الأردنية الهاشمية .

عن الجمهورية السورية .

صاحب الدولة ناظم القدسى بك رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة العراقية .

عن المملكة العربية السعودية .

صاحب المعالى الشيخ يوسف ياسين وزير الدولة ، ونائب وزير الخارجية .

عن الجمهورية اللبنانية .

صاحب الدولة رياض الصلح بك رئيس مجلس الوزراء .

عن المملكة المصرية .

صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء ، ومعالى الدكتور محمد صلاح الدين بك وزير الخارجية .

عن المملكة المتوكلية اليمنية .

سعادة السيد على المؤيد المندوب الدائم لدى الجامعة العربية .

الذين بعد تبادل وثائق التفويض التى تخولهم سلطة كاملة والتى وجدت صحيحة ومستوفاة الشكل ، قد اتفقوا على ما يأتى :

المادة الأولى

تؤكد الدول المتعاقدة ، حرصاً منها على دوام الأمن والسلام واستقرارهما ، عزمها على فض جميع منازعاتها الدولية بالطرق السلمية ، سواء فى علاقاتها المتبادلة فيما بينها أو فى علاقاتها مع الدول الأخرى .

المادة الثانية

تعتبر الدول المتعاقدة كل اعتداء مسلح يقع على أية دولة أو أكثر منها ، أو على قواتها ، اعتداء عليها جميعا ، ولذلك فإنها ، عملا بحق الدفاع الشرعى ـ الفردى والجماعى ـ عن كيانها ، تلتزم بأن تبادر إلى معونة الدولة أو الدول المعتدى عليها ، وبأن تتخذ على الفور ، منفردة ومجتمعة ، جميع التدابير وتستخدم جميع ما لديها من وسائل ، بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة لرد الاعتداء ولإعادة الأمن والسلام إلى نصابهما .

وتطبيقاً لأحكام المادة السادسة من ميثاق جامعة الدول العربية ، والمادة الحادية والخمسين من ميثاق الأمم المتحدة ، يخطر على الفور مجلس الجامعة ومجلس الأمن بوقوع الاعتداء وما اتخذ فى صدده من تدابير وإجراءات .

المادة الثالثة

تتشاور الدول المتعاقدة فيما بينها ، بناء على طلب إحداها ، كلما هددت سلامة أراضى أية واحدة منها أو استقلالها أو أمنها .

وفى حالة خطر حرب داهم أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها ، تبادر الدول المتعاقدة على الفور إلى توحيد خططها ومساعيها فى اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التى يقتضيها الموقف .

المادة الرابعة

رغبة فى تنفيذ الالتزامات السالفة الذكر على أكمل وجه تتعاون الدول المتعاقدة فيما بينها لدعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها . وتشترك بحسب مواردها وحاجاتها ، فى تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أى اعتداء مسلح .

المادة الخامسة

تؤلف لجنة عسكرية دائمة من ممثلى هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه .

وتحدد فى ملحق هذه المعاهدة اختصاصات هذه اللجنة الدائمة ، بما فى ذلك وضع التقارير اللازمة المتضمنة عناصر التعاون والاشتراك المشار إليهما فى المادة الرابعة .

وترفع هذه اللجنة الدائمة تقاريرها عما يدخل فى دائرة أعمالها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عنه فى المادة التالية .

المادة السادسة

يؤلف ، تحت إشراف مجلس الجامعة ، مجلس للدفاع المشترك يختص بجميع الشئون المتعلقة بتنفيذ أحكام المواد ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ من هذه المعاهدة ، ويستعين على ذلك باللجنة العسكرية الدائمة المشار إليها فى المادة السابقة .

ويتكون مجلس الدفاع المشترك المشار إليه من وزراء الخارجية والدفاع الوطنى للدول المتعاقدة أو من ينوبون عنهم ،

وما يقرره المجلس بأكثرية ثلثى الدول يكون ملزما لجميع الدول المتعاقدة .

المادة السابعة

استكمالا لأغراض هذه المعاهدة وما ترمى إليه من إشاعة الطمأنينة وتوفير الرفاهية فى البلاد العربية ورفع مستوى المعيشة فيها ، تتعاون الدول المتعاقدة على النهوض باقتصاديات بلادها واستثمار مرافقها الطبيعية وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية ، والزراعية ، والصناعية ، وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادى وتنسيقه وإبرام ما تقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الأهداف .

المادة الثامنة

ينشأ مجلس اقتصادى من وزراء الدول المتعاقدة المختصين بالشئون الاقتصادية ،

أو من يمثلونهم عند الضرورة لكى يقترح على حكومات تلك الدول ما يراه كفيلا بتحقيق الأغراض المبينة فى المادة السابقة .

وللمجلس المذكور أن يستعين فى أعماله بلجنة الشئون الاقتصادية والمالية المشار إليها فى المادة الرابعة من ميثاق جامعة الدول العربية .

المادة التاسعة

يعتبر الملحق المرفق بهذه المعاهدة جزءا لا يتجزأ منها .

المادة العاشرة

تتعهد كل من الدول المتعاقدة بأن لا تعقد أى اتفاق دولى يناقض هذه المعاهدة .

وبأن لا تسلك فى علاقتها الدولية مع الدول الأخرى مسلكا يتنافى مع أغراض هذه المعاهدة .

المادة الحادية عشرة

ليس فى أحكام هذه المعاهدة ما يمس ، أو يقصد به أن يمس بأية حال من الأحوال ، الحقوق والالتزامات المترتبة ، أو التى قد تترتب للدول الأطراف فيها بمقتضى ميثاق هيئة الأمم المتحدة أو المسئوليات التى يضطلع بها مجلس الأمن فى المحافظة على السلام والأمن الدولى .

المادة الثانية عشرة

يجوز لأية دولة من الدول المتعاقدة ، بعد مرور عشر سنوات من نفاذ هذه المعاهدة ، أن تنسحب منها فى نهاية سنة من تاريخ إعلان انسحابها إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية .

وتتولى الأمانة العامة إبلاغ هذا الإعلان إلى الدول المتعاقدة الأخرى .

المادة الثالثة عشرة

يصدق على هذه المعاهدة وفقا للأوضاع الدستورية المرعية فى كل من الدول المتعاقدة .

وتودع وثائق التصديق لدى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية . وتصبح المعاهدة نافذة قبل من صدق عليها بعد انقضاء خمسة عشر يوما من تاريخ استلام الأمانة العامة وثائق تصديق أربع دول على الأقل . (١)

حررت هذه المعاهدة باللغة العربية فى الاسكندرية بتاريخ ٢ رمضان المبارك سنة ١٣٦٩ الموافق ١٧ يونيه سنة ١٩٥٠ من نسخة واحدة تحفظ فى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية ، وتسلم صورة منها مطابقة للأصل لكل دولة من الدول المتعاقدة .

---

(١) لقد تم إلى الآن (نهاية شهر ديسمبر سنة ١٩٥٢ م) تصديق ست دول على المعاهدة وإيداعها لوثائق التصديق لدى الأمانة العامة ، وهذه الدول هى على التوالى : سوريا ، ومصر ، والمملكة الأردنية الهاشمية ، والعراق ، والمملكة العربية السعودية ، ولبنان . أما اليمن فهى لم تصدق بعد ، وما زالت فى طريق التصديق على المعاهدة .

الملحق العسكرى

البنـــد الأول

تختص اللجنة العسكرية الدائمة المنصوص عليها فى المادة الخامسة من معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية بالأمور الآتية .

(ا) إعداد الخطط العسكرية لمواجهة جميع الأخطار المتوقعة أو أى اعتداء مسلح يمكن أن يقع على دولة أو أكثر من الدول المتعاقدة أو على قواتها ، وتستند فى إعداد هذه الخطط على الأسس التى يقررها مجلس الدفاع المشترك .

(ب) تقديم المقترحات لتنظيم قوات الدول المتعاقدة ، ولتعيين الحد الأدنى لقوات كل منها ، حسبما تمليه المقتضيات الحربية وتساعد عليه إمكانيات كل دولة .

(جـ) تقديم المقترحات لزيادة كفاية قوات الدول المتعاقدة ، من حيث تسليحها وتنظيمها وتدريبها ، لتتمشى مع أحدث الأساليب والتطورات العسكرية ، وتنسيق كل ذلك وتوحيده .

(د) تقديم المقترحات لاستثمار موارد الدول المتعاقدة الطبيعية والصناعية والزراعية وغيرها ، وتنسيقها لصالح المجهود الحربى والدفاع المشترك .

(هـ) تنظيم تبادل البعثات التدريبية ، وتهيئة الخطط للتمارين والمناورات المشتركة بين قوات الدول المتعاقدة ، وحضور هذه التمارين والمناورات ودراسة نتائجها بقصد اقتراح مايلزم لتحسين وسائل التعاون فى الميدان بين هذه القوات والبلوغ بكفايتها إلى أعلى درجة .

(و) إعداد المعلومات والإحصائيات اللازمة عن موارد الدول المتعاقدة وإمكانياتها الحربية ومقدرة قواتها فى المجهود الحربى المشترك .

(ز) بحث التسهيلات والمساعدات المختلفة التى يمكن أن يطلب إلى كل من الدول المتعاقدة أن تقدمها وقت الحرب إلى جيوش الدول المتعاقدة الأخرى العاملة فى أراضيها تنفيذاً لأحكام هذه المعاهدة .

البند الثانى

يجوز للجنة العسكرية الدائمة تشكيل لجان فرعية دائمة أو مؤقتة من بين أعضائها لبحث أى موضوع من الموضوعات الداخلة فى نطاق اختصاصاتها .

ولها أن تستعين بالإخصائيين فى أى موضوع من هذه الموضوعات ترى ضرورة الاستعانة بخبرتهم أو برأيهم فيه .

البند الثالث

ترفع اللجنة العسكرية الدائمة تقارير منفصلة عن نتيجة بحوثها وأعمالها إلى مجلس الدفاع المشترك المنصوص عليه فى المادة السادسة من هذه المعاهدة . كما ترفع إليه تقارير سنوية عما أنجزته خلال العام من هذه البحوث والأعمال .

البند الرابع

تكون القاهرة مقراً للجنة العسكرية الدائمة . وللجنة مع ذلك أن تعقد اجتماعاتها فى أى مكان آخر تعينه .

وتنتخب اللجنة رئيسها من بين أعضائها لمدة عامين ، ويمكن تجديد انتخابه . ويشترط فى الرئيس أن يكون على الأقل من الضباط القادة (من الضباط العظام) .

ومن المتفق عليه أن يكون جميع أعضاء هذه اللجنة من ذوى الجنسية الأصلية لإحدى الدول المتعاقدة .

البند الخامس

تكون القيادة العامة لجميع القوات العاملة فى الميدان من حق الدولة التى تكون قواتها المشتركة فى العمليات أكثر عدداً وعدة من كل قوات الدول الأخرى ، إلا إذا تم اختيار القائد العام على وجه آخر بإجماع آراء حكومات الدول المتعاقدة .

ويعاون القائد العام فى إدارة العمليات الحربية هيئة ركن مشتركة .

فهرس الموضاعات

الصفحة

عوامل قيام النهضات الحديثة في الشرق الاسلامى ١٣ — ٣٨

العامل الدينى ١٣ — ٢٨

العرب قبيل الإسلام ١٥

العرب بعد اعتناقهم للإسلام ١٦

المسلمون من عصر الرسول إلى قيام الدولة العباسية ١٧

المسلمون فى عصر الدولة العباسية ٢٠

الأتراك العثمانيون يحملون راية الإسلام ٢١

المسلمون بعد الحروب الصليبية ٢٢

الغربيون فى نهوض وتقدم ٢٣

الشرق والغرب يلتقيان من جديد ٢٤

الدولة العثمانية فى انحلال ٢٥

المسلمون يسعون للنهوض ٢٦

	الصفحة
العامل القومى	٢٨
النهضة العربية السعودية	٢٩ — ٣٣١
محمد بن عبد الوهاب	٤٠ — ٥٠
نشأته ورحلاته	٤٣
بدؤه بالإصلاح فى نجد	٤٥
اشتداد الخصومة بينه وبين الشعب النجدى	٤٧
اتصاله بآل سعود	٤٨
نجاحه فى نشر دعوته ووفاته	٥٠
المبادىء الوهابية	٥١ — ٧٠
المذهب الوهابى فى الأصول	٥١
المذهب الوهابى فى الفروع	٥٢
ما أشيع عن المذهب ، وجواب الوهابيين عنه	٥٤
الأسباب التى دعت إلى التشنيع بالوهابيين	٥٦
تطور المذهب الوهابى	٦١
انتشاره خارج الجزيرة العربية	٦٢

الصفحة

آل سعود ٧٣

عصر الدولة السعودية الأول ٧٥ — ٨٠

محمد بن سعود ٧٦

عبد العزيز بن محمد بن سعود ٧٦

سعود بن عبد العزيز ، الملقب بسعود الكبير ٧٧

عبد الله بن سعود الكبير ٧٨

عصر الدولة السعودية الثاني ٨١ — ٨٤

تركي آل سعود ٨٢

فيصل بن تركي ٨٣

الخلاف بين أبناء فيصل ٨٣

عصر الدولة السعودية الثالث
أو النهضة السعودية الحديثة ٨٥ — ٣٣١

الصفحة

المرحلة الأولى في تاريخ عبد العزيز آل سعود ٨٧ — ١٠٤

نشأة عبد العزيز آل سعود ٨٧

معيشته في الكويت ٩٠

فتح الرياض ٩٥

المرحلة الثانية في تاريخ عبد العزيز آل سعود ١٠٥ - ١٣٣

الاستيلاء على القسم الجنوبي من نجد ١٠٦

الحرب في جهات الشمال والاستيلاء عليها ١٠٨

الحكومة العثمانية تتدخل وتساعد ابن رشيد ضد ابن سعود ١٠٩

الأتراك يغيرون موقفهم ويعملون للصلح ١١٣

قتل ابن رشيد وانسحاب الأتراك من نجد ١١٥

تكوين جماعة « الاخوان » ١١٨

الاستيلاء على الأحساء ١٢٣

موقف ابن سعود بعد فتح الأحساء ١٢٧

موقعة جراب وثورة العجمان ١٣٠

معاهدة القطيف ١٣٢

الصفحة

المرحلة الثالثة في تاريخ عبدالعزيز آل سعود ١٣٥ — ١٦٨

ابن سعود وابن رشيد ١٣٦ — ١٤١

سقوط حائل والقضاء على آل رشيد ١٣٩

تطور العلاقات بين ابن سعود والأشراف ١٤١ — ١٦٤

الخلاف على واحتى تربة والخرمة ١٤٥

مشاكل الحدود بين ابن سعود وجيرانه الأشراف ١٥٠

مؤتمر الكويت ١٥٢

الحرب بين نجد والحجاز ١٥٤

فتح الطائف ودخول مكة ١٥٧

حصار جدة والمدينة والقضاء على حكومة الأشراف ١٦٢

العدول عن فكرة المؤتمر وانتخاب ابن سعود ملكا للحجاز ١٦٤

المرحلة الرابعة في تاريخ عبدالعزيز آل سعود ١٦٩ — ٣٣١

علاقات ابن سعود بالدول بعد فتح الحجاز ١٦٩

ابن سعود والوحدة العربية ١٧٢ — ٢١٤

اجتماع رضوى ١٧٧

الصفحة

زيارة عبد العزيز آل سعود لشعب مصر وملكها ١٨١
اجتماع أنشاص ١٨٩
موقف ابن سعود من قضية فلسطين ٢٠١
محنة ! ٢١٢

عبد العزيز ابن سعود وعبد الله بن الحسين ٢١٤ — ٢٢٧

زيارة الملك عبد الله للملك عبد العزيز ٢١٦

مشروع « سوريا الكبرى » ٢٢٧ — ٢٤٢

أصل الفكرة فى المشروع ٢٢٨
مملكة سوريا الكبرى ٢٣٣
عبد الله بن الحسين ومشروع « سوريا الكبرى » ٢٣٧
مذكرة « الأمير » عبد الله إلى الحكومة البريطانية ٢٣٩
المشروع الأول ٢٤٠
المشروع الثانى ٢٤٣
مؤتمر أريحا إحدى مراحل التطور للمشروع ٢٥٣
الإصبع الإنكليزية ٢٥٩
موقف ابن سعود من مشروع « سوريا الكبرى » فى تطوراته المختلفة ٢٦٦

	الصفحة
ابن سعود بين انكلترا وأمريكا	٢٧٤
بترول المملكة العربية السعودية	٢٩٣—٣١٨
الحصول على عقد الامتياز وتطوراته	٢٩٥
عملية الكشف عن البترول	٢٩٩
أنابيب البترول	٣٠٣
معمل التكرير فى رأس تنوره	٣٠٤
نشاط الشركة الاجتماعى بالبلاد العربية السعودية	٣٠٧
نصيب الحكومة السعودية فى ريع البترول	٣١١
نظام الحكم فى المملكة العربية السعودية	٣١٩
ولاية العهد	٣٢٦
اصلاحات ابن سعود	٣٢٧
ملحق الوثائق والمعاهدات	٣٣٣—٤٥٠
القسم الاول	٣٣٥ - ٤١٦
معاهدة جدة	٣٣٧
الكتب التى تبودلت مع المعاهدة	٣٤٣
تمديد معاهدة جدة ، وتعديل بعض أحكام فيها	٣٥١

الصفحة

التجديد الأخير لمعاهدة جدة ، الذى يتكرر من تلقاء نفسه ٣٦٠

الاتفاقية الإيطالية الإنكليزية ، وعلاقتها بالمملكة
العربية السعودية ٣٦٥

اتفاقية مؤقتة بين المملكة العربية السعودية
والولايات المتحدة الأمريكية ٣٦٩

معاهدة صداقة بين المملكة العربية السعودية
والمملكة المصرية ٣٧٣

الكتب المتبادلة مع هذه المعاهدة ٣٧٨

اتفاقية المشاريع العمرانية فى البلاد المقدسة المعقودة
بين الحكومة العربية السعودية والحكومة المصرية ٣٨٩

المذكرات المتبادلة بخصوص المعاهدة السابقة ٣٩٢

اتفاقية تسليم جدة بين الملك على «والسلطان» عبدالعزيز آل سعود ٤١٣

القسم الثانى ٤١٧ — ٤٥٠

قرارات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربى العام ومن بينها

« بروتوكول » جامعة الدول العربية ٤١٩

ميثاق جامعة الدول العربية ٤٢٧

معاهدة للدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى
بين دول الجامعة العربية « معاهدة الضمان الجماعى » ٤٤١

فهرس الخرائط والصور

الخرائط

	صفحة
مدى انتشار المذهب الوهابى	٦٣
مشروع سكة حديد بغداد	٩١
قطاع من نجد	١٠١
مقاطعة الأحساء	١٢١
مراحل تكوين المملكة العربية السعودية	١٦٥
مناطق استخراج البترول الحالية فى المملكة العربية السعودية	٢٩٧

الصور

رؤساء دول الجامعة العربية فى اجتماع أنشاص	١٩١
قائد الفرقة السعودية التى اشتركت فى حرب فلسطين يدرس مع ضباطه بعض الخطط	٢٠٩
جلالة الملك عبد الله مع جلالة الملك عبد العزيز أثناء توقيع البيان الملكى المشترك عند زيارة الملك الهاشمى للرياض	٢٢٣
أنابيب البترول فى المملكة العربية السعودية وهى تأخذ طريقها عبر الصحراء .	٣٠١
معمل تكرير رأس تَنُّورة	٣٠٥
جزء من مساكن مدينة الظهران	٣٠٩

Библиотека
Академии медицинских наук СССР

AUC - LIBRARY

DATE DUE

MAY 9 1988

AUG

18 MAR 1997

DEC 1974

